نحو وعي سياسي

رسائل إلى الشباب عن
الخلافة الإسلامية وحضارة الإسلام

للدكتور/ مصطفى حلمي



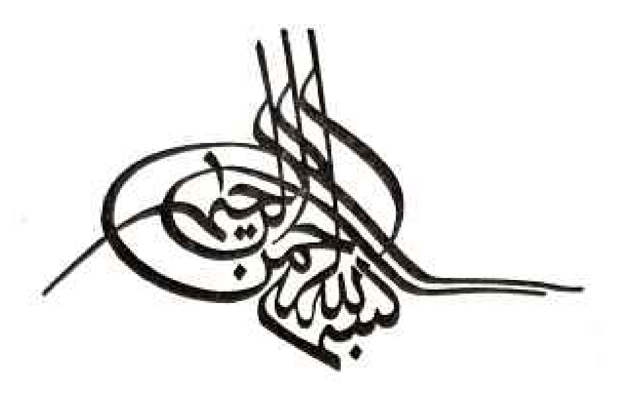
نحو وعي سياسي..

رسائل إلى الشباب عن الخلافة الإسلامية وحضارة الإسلام

د. مصطفى حلمي

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة





رقم الإيداع

٢٠١١/٢١٠٧٠



www.alamal-publications.com

دار الأمل للنشر والتوزيع والترجمة

بجوار مسجد الإمام محمد بن عبد الوهاب - محطة ترام باكوس

الإسكندرية - مصر

٠١٢٢٩٦٠٦٣٥ - ٠١١١٨١٩٤٨٠

قال تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

[التوبة: ٣٢]

وقال تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

[الصف: ٨]

من وصية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى أهل مصر :

« واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة

لكثرة الأعداء حولكم ،

وتشوُّف قلوبهم إليكم وإلى داركم »[1] .

---

(١) الإمام أبو الحسن الندوي (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) ص ١٤٨ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٦ ـ ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد ؛

فنحن أمام مسئوليات جمّة لإزالة آثار ركام هائل من المفاسد والانحرافات والأكاذيب والانحلال الأخلاقي ألقت بمصر إلى الحضيض طوال نحو ستين عامًا - أي منذ حركة الانقلاب العسكري في ٢٣ / ٧ / ١٩٥٢، وامتدادًا للعهد السابق .

وكان التردّي عامًّا في مجالات السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم والصحة والزراعة والصناعة والعلاقات الدولية ، وكأن الهدف الكلّي هو تحطيم مصر عقب انتصار جيشها الباسل في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م ، وحتى لا تعيد الكرّة بحرب مع إسرائيل مرة أخرى !

وقد أصبح على عاتقنا جميعًا الإسهام في محاولة الإنقاذ وإلا ستغرق بنا السفينة ، ونحتاج إلى تضافر الجهود - كلّ في موقعه - بلا استثناء في تلك المجالات جميعًا ، مع التواصي بالتكاتف والصبر والتخطيط العلمي بواسطة ذوي الكفاءات ، وما أكثرهم ، إنهم فقط يحتاجون إلى التشجيع وإتاحة الفرص أمامهم للإبداع ، وهم كفيلون بإنقاذ مصر .

ولعلي أُسهم من موقعي بهذه الرسائل المحدودة في تصحيح بعض المفاهيم والارتقاء بالوعي السياسي ، ونشر الثقافة الإسلامية المبرّأة من انحرافات أصحاب النوايا السيئة ، أو الملتزمين بأجندة خارجية ، وأقدّمها إسهامًا في تثقيف كوادر الأحزاب السياسية والجماعات الدعوية وشباب المسلمين عامةً في إطار (برنامج تعليمي وتثقيفي مكثف) نحتاج إليه كتوجيه الرئيس علي بيجوفيتش رحمه الله ، وأشاركه

الرأي في قوله : (... وأن ثمة مخرجًا وحيدًا للعالم الإسلامي مما يتخبط فيه : هو الرجوع إلى أصوله الروحية والمادية الخاصة به أي الرجوع إلى الإسلام ... وينبغي أن يتحول التعلُّق بالقرآن إلى تصميم على تطبيقه في الحياة العملية ، وأن يتحول المجتمع الإسلامي العاطفي إلى مجتمع منظم واعٍ ... إن جيل الشباب لن يكون قادرًا على النهوض بمهمة إنجاز النهضة إلا إذا وضع طموحه ومثاليته في قالب حركة منظمة تقترن فيها حماسة الأفراد وقيمهم الشخصية بأساليب العمل المنسق المشترك) [١] .

وهو يرى أن العالم الإسلامي يمر بمرحلة تغيّر وولادة ، ومهما كانت نتائج هذه التغيرات ، فإنها لن تبقي العالم الإسلامي حسب ما كان عليه في النصف الأول من القرن الجاري ... [٢] .

ويضع ثلاث قواعد للانبعاث الإسلامي وهي :

١. النهضة الإسلامية فقط هي التي تستطيع أن تقودنا نحو الهدف الصحيح ، وهذا لن يتأتي إلا بالتمسك بالقرآن ، أي لا طريق واشنطن أو طريق أوروبا وموسكو .

٢. وجود الاستعداد لدى المسلمين للتضحية من أجل الانبعاث .

٣. بسبب التخلف في المجتمعات الإسلامية لابد من وضع برنامج تعليمي وتثقيفي مكثف [٣] .

ويحتوي الكتاب على عدة رسائل لشباب الصحوة الإسلامية تدور حول قضيتي : (الخلافة الإسلامية) ، و(حضارة الإسلام) ، ونهدف به تحقيق غرضين :

---

(١) من كتاب (مقومات العمل الإسلامي ـ اتجاهات وبرامج وآراء للحركة الإسلامية) إعداد جماعة مسلمي يوغوسلافيا ـ ص (٦٦ ـ ٦٨) ـ شركة الشعاع للنشر ـ الكويت ١٩٨١م .

(٢) نفسه ص ١٥٨ .

(٣) نفسه ص ١٦٧ .

الأول : تصحيح بعض المفاهيم التي تسربت إلى عقولهم من خلال موجات الغزو الثقافي .

الثاني : الارتفاع بمستوى الوعي السياسي للأجيال الصاعدة ، داعين الله ﷻ قيامهم بإنقاذ أمتنا من المهاوي التي تردَّت إليها بسبب عقوق بعض أبنائها الذين سلكوا بها طريق التهلكة .

وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يجمع شمل الأمة الإسلامية في ظل خلافة تؤهلها لتجديد حضارة الإسلام ؛ لكي تصبح منارة لهذا العالم الباحث عمَّن ينقذه من أزماته الخانقة ، ويقوده للحياة الإنسانية السعيدة .

كما أسأله ﷻ أن يتقبل مني هذا الكتاب ، وينفع به المسلمين ، ويجعله ذخرًا لي بعد مماتي .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مصطفى بن محمد حلمي

الإسكندرية

في ٦ رمضان ١٤٣٢ هـ

٦ أغسطس ٢٠١١م

❋ ❋ ❋

تمهيد

تتضمن هذه الرسائل في مجملها عرضًا لتاريخ (الخلافة الإسلامية) ودراسة جوانب الحضارة الإسلامية مع مناقشة آراء العلمانيين والليبراليين والحداثيين الذين يتخذون موقفًا معارضًا ـ بل معاديًا ـ لكل ما هو إسلامي ـ عقيدةً أو فكرًا أو نظمًا أو زعماء وقادة ـ ويتبنون عن قصد ـ أو بدون قصد ـ الاتجاه الاستشراقي الذي أفسد حياتنا الثقافية مغلّبًا الاتجاه التغريبي، والذي دفع الاستعمار (الإنجليزي والفرنسي) ـ وبعده السلطات الحاكمة ـ إلى وضع تلامذته في مكان الصدارة، بمجالات التعليم والأدب والثقافة والصحافة، فقويت شوكتهم، وارتفعت أصواتهم، واتسع سلطانهم وامتد عبر أجيال حتى يومنا هذا، فلا غرابة ـ إذن ـ من تجدّد المعارك بخاصة بعد ثورة يناير ٢٠١١م.

يقول الأستاذ محمد جلال كشك رحمه الله: (وعملاء الغزو قد عملوا منذ نهاية القرن التاسع عشر منذ أن تقرر في أوكار الصهيونية والاستعمار تدمير الخلافة الإسلامية، عملوا على تخريب الفكر الإسلامي، وتشويه عقل المسلمين .. وهم ما زالوا يعملون .. الأسماء تتغير، والشعارات تتلون .. ولكن الهدف واحد .. تجريد الشعب العربي من أقوى سلاح .. من إيمانه بالله .. والكتائب واحدة .. كتائب الغزو الفكري .. الطابور الخامس الذي يعمل داخل صفوفنا؛ ليجهز على مقاومتنا) [١].

والقضايا متشابكة الحلقات، فإن لطفي السيد رائد العلمانيين كان معارضًا لانتماء مصر للخلافة العثمانية وتابعه طه حسين وسعد زغلول وسلامة موسى وغيرهم من روّاد التغريب، وقام الشيخ علي عبد الرازق؛ ليدافع عن قيام أتاتورك اليهودي بهدم الخلافة ثم تغريب تركيا ومحاربة الإسلام بعنف شديد لا يُفسَّر قسوته

---

(١) محمد جلال كشك (الغزو الفكري) ص ٣ ـ ط٣ ـ مكتبة الأمل ـ الكويت ـ رجب ١٣٨٧ هـ ـ أكتوبر ١٩٧٦م.

إلا صدوره من قلب يهودي عدو ، قال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة: ٨٢] ، ولم يكن دفاع الشيخ علي عبد الرازق بشكل مباشر ولكن الآراء التي بثها بكتابه (الإسلام وأصول الحكم) دعمت موقف أتاتورك بينما قامت الأمة الإسلامية عن بكرة أبيها ؛ لتعارضه وتجرّمه ؛ إذ أقدم على فعل لم يجرؤ عليه أحد منذ خلافة أبي بكر رضي الله عنه للرسول ﷺ[1].

وقامت بمصر حركة إحياء فكرة الجامعة الإسلامية بواسطة الزعيم الوطني المخلص مصطفى كامل الذي فضَّل التحالف مع الخلافة العثمانية ؛ لإجلاء الجيش الإنجليزي عن مصر حينذاك .

وسنواصل خلال رسائلنا الطرح للمسائل المتصلة بالخلافة والحضارة الإسلامية حيث نسعى إلى تأصيل للقضايا المطروحة على الساحة في وقتنا الحالي وتصحيح بعض المفاهيم والتوعية السياسية ، وبغرض إقناع المخالفين بالأدلة ، آملين إعادة النظر في مواقفهم المتصلبة المتوارثة من أساتذتهم بالمراكز البحثية التي تتبع عادة المناهج الغربية ، متأثرة بالاصطلاحات الوافدة من أوروبا ، وهي ناشئة من مراحل التاريخ الغربي الثقافي والديني والسياسي ، ومن الانحراف المنهجي : إنزالها على تراثنا الإسلامي ودراسة تاريخنا وحضارتنا بمناهج المستشرقين من اليهود والنصارى بعد أن افتضح أمرهم وتبين أنهم كانوا طلائع الاستعمار .

وباديء ذي بدء ، نلاحظ أن هناك حواجز تحول بين الإسلاميين وغيرهم من العلمانيين واليساريين والحداثيين ، وتتعدد هذه الحواجز وتأخذ أشكالاً : إما حواجز

---

(١) ارتج العالم الإسلامي لطرد أتاتورك للخليفة العثماني ، وقامت (جمعية الخلافة) في الهند تنادي بأن الخلافة من أمر المسلمين دون سواهم ، وتنادي الناس من البلاد المختلفة أن أمر المسلمين في شئونهم الدينية يجب ألا تتدخل فيه دولة مسيحية . د/ محمد حسين هيكل (في منزل الوحي) ص١٥٨ ط. دار المعارف ٢٠٠٢ .

وعقد مؤتمر في مكة المكرمة ، ودعا الملك فؤاد بمصر إلى مؤتمر للنظر في مسألة الخلافة . ص١٦٠ .

عامة وفدت مع نظم التعليم الغربي وفرض ثقافة المستعمر على الأجيال الناشئة ، فتربت متشربة بثقافته بحيث يصعب عليها التخلص منها إلا بعد جهد خارق ، وإما حواجز نفسية تتسم إما بالتعالي على الغير والظن بأنها تحمل ثقافة الأرقى ورفض التفريط فيها أفنت فيه الأعمار لاكتسابه .. أو برفض الاتصاف بالأمية الدينية حيث اكتفت بما تلقته بمناهج التعليم الديني المكتفي بالحد الأدنى كالتعريف بالعبادات والأخلاق على المستوى الفردي دون التعريف بنظم الإسلام وحضارته واتساع دائرته لجوانب الحياة الإنسانية والاجتماعية والسياسية والتربوية جميعًا .

ولكن هناك الكثير من مثقفينا[1] مَنْ تخطوا هذه الحواجز في جهادهم لمعرفة الحقيقة في ظل مكابدتهم للبحث عن حل لمشاكل أوطانهم ، ثم ملاحظتهم للهوة الواسعة بين المذاهب الفلسفية النظرية في أذهان الفلاسفة المغربين ، وبين الواقع المتردّي للحضارة الغربية وجرائم ساستها وزعمائها في حق الشعوب المستعمَرة المقهورة وأغلبها في بلاد العرب والمسلمين .



(١) نذكر منهم : الدكتور زكي نجيب محمود الذي أفردنا له مقالاً ، و د/ عبد الرحمن بدوي ، ود/ عبد الوهاب المسيري ، ود/ عبد العزيز حمودة ، ود/ محمد عمارة ، ود/ محمد حسين هيكل والأستاذ خالد محمد خالد ، والأستاذ منصور فهمي ، ود/ مصطفى محمود ، والأستاذ محمد جلال كشك ، والأستاذ طارق بشري ، ود/ طه حسين (في بعض آرائه) ، والأستاذ عادل حسين .

آثار الانشطار الثقافي على الساحة السياسية :

إن ما نعاني منه عقب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م من انقسام حاد ونقاش ساخن بين الإسلاميين من جانب والعلمانيين والمستغربين والحداثيين من جانب آخر ما هو إلا الثمرة المرّة للاستعمار الثقافي الغربي الذي فُرض علينا وأحدث في حياتنا هذا الانشطار الثقافي الذي تتبّع جذوره العلامة محمود شاكر ، وشخّصه بقوله : (وانشطر تعليم الأمة شطرين ـ ونمت هذه المدارس وتكاثرت ـ وهي التي وضع أساسها رفاعة الطهطاوي في مدرسة الألسن ، يدخلها أبناء الموسرين والمستورين ، وجعلت الهوة بين الأزهر والمدارس تتسع ، وأصبحت المناهج تتباين تباينًا شديدًا .

أما مناهج الأزهر في عزلته ، فجعلت تضعف وتذوي وهي على بنائها القديم ، وأما مناهج المدارس فجعلت تنمو ولكن نموها قائم على القشور التي تغُرُّ ولا تغني فتيلًا ، على نفس الأساس الذي وضعه رفاعة الطهطاوي ، وجعلت تزداد تباعدًا مقطوع الأواصر من « الثقافة المتكاملة » التي عاشت بها الأمة قرونًا متطاولة .

لم تكن هذه المدارس (وجاءت بعدها الجامعات) نابعة من « الثقافة المتكاملة » التي تجدِّد نفسها تجديدًا يزيدها قوة ووضوحًا ، بل كانت غراسًا غريبًا يزيدها بعدًا وانقطاعًا عن أصول « الثقافة المتكاملة » لدار الإسلام في مصر ، ولا تكسبها قوة ووضوحًا بل تكسب أبناءها تنكرًا وإعراضًا واحتقارًا ـ أيضًا ـ لتلك « الثقافة المتكاملة » التي عاشت بها أمتهم ، وكذلك صار أبناؤها حزبًا جديدًا ، ميله وحبه وإكباره للمصدر الذي صدر عنه ما تعلموه ولم يتعلموا غيره ، كما أراد نابليون بمشروعه الذي عهد به إلى كليبر خليفته ، وطوَّره تطويرًا كبيرًا المسيو جومار ، وتم بذلك البلاء الماحق ، والأمر لله من قبل ومن بعد) (١) .

---

(١) محمود شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ص (٢١٦ ـ ٢١٧) .

ويبدو أن الاستعمار كان يتعهد هذا الانشطار الثقافي بواسطة أذنابه وعملائه من وراء الستار، ويرقب نتائجه على الأجيال الجديدة، فلما اتضح أن الاستجابة لم تحقق نتائجها بالسرعة التي يريدها؛ أيَّد حركات الانقلابات العسكرية في البلاد العربية والإسلامية (التي سُمِّيت زورًا بالثورات)؛ لترسّخ الانشطار الثقافي، وتدعم المشروع الغربي في التعليم والنظم السياسية والاقتصادية والتربوية، وتضع رواده في مكان الصدارة في أجهزة الإعلام ومواقع إصدار القرارات، وفي الوقت نفسه تعتقل وتستبعد وتلقي في السجون أصحاب المشروع الإسلامي للنهضة.

❋ ❋ ❋

تعليل مرحلة القلق الفكري الذي مرت به الأمة :

تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ رحمها الله تعالى ـ : [لقد ظهرت الجامعة الأهلية ـ أي : جامعة القاهرة ـ ؛ لتحرير العقلية المصرية من أغلال الجمود ، ففتحت الأبواب للبعثات التبشيرية والإرساليات الأجنبية من كل جنس وملة لتتغلغل في صميم الوجود الفكري للأمة ، ولسلخ من استطاعت من أبنائها بما توصل فيهم من عقدة الشعور بالنقص وما تلقي في روعهم من أن الشرقية سمة التخلف والانحطاط ، وأن الاتصال بالقديم ظاهرة جمود وتحجر .

وتدفق سيل الغزو الفكري يجتاح الحمى المستباح دون أن تصده سدود أو حواجز ، وكانت الجامعة محاولة لتحرير الشباب من سان مارك والفريد (الجزويت) وفيكتوريا والأمريكان وما لا يحصى من مدارس الإرساليات ، ثم جرى تحويل الجامعة الأهلية إلى جامعة رسمية .

وكان لثنائية التعليم التي حددت للموهوبين الطامحين طريقًا لا يُلغى أبدًا مع طريق المدرسة الابتدائية الموصل وحده إلى الجامعة ، والمخصص لأبناء الطبقة القادرة ماديًا ، وبهذا حيل بين الفقراء وبين الجامعة ، وتعلم عدد قليل في الكتاتيب واجتازوا الطريق بكل عناء ، وكانت النكسة التي أعقبت ثورة ١٩١٩م قد عزلت قادة الثورة عن الشعب وانحرفت بالسياسة في حزبية محترفة قد ألقت ظلالها على الطريق .. وواجهت الجامعة محنة الحزبية ومحنة تغلغل النفوذ الاستعماري الذي اتخذ من مناطق معينة فيها قاعدة ؛ لتدمير معنويات الأمة ومجال غزو فكري يضاهي ما اجتاح وجودنا العام من غزو مثله عن طريق مؤسسات الثقافة الأجنبية وأجهزة دعايتها المدربة ..

وشغلت الأمة بنظامها السياسي عن وجودها الفكري فازدادت (أزمة فقدان التعاصر) بين أبناء الجيل حدّة وتعقيدًا ، وضج الميدان بدوي الصدام بين قديم

وجديد ، ويمين ويسار ، وشرق وغرب ، وفي دوامته العنيفة ضلت المقاييس ، واختلطت المفاهيم ، واضطربت القيم ، فلم تعد على الصعيد الفكري تميز بين الرجعية والمحافظة ، أو بين الجمود والأصالة ، أو بين الاقتباس الواعي والتقليد المردد للأصداء .

ومن عجب أن الأمة لم تفقد رشدها في دوامة الإعصار ، ولا ريب أن كل آثار الإنتاج الفكري للربع الثاني من هذا القرن تحمل أثرًا قويًا أو ضعيفًا من ذلك الصراع ، وتعبر عمدًا ودون قصد عن مرحلة القلق الفكري التي مرت بها الأمة في فترة تحملها للانطلاق .

وقد سجل مدى ما تعرض له وجودنا من زيف وضلال ونفاق ودوار ، ومن ضغط فادح ، ورصد بكل دقة ذبذبة الخيوط في الأيدي المحركة للدمى ، وكشف مجال التصدّع الثقافي الذي كان سببًا مباشرًا في فقدان التعاصر العقلي والانسجام الفكري بين أبناء جيل واحد] [1] .

والدكتورة عائشة عبد الرحمن شاهدة على العصر فهي تلميذة الدكتور طه حسين وزوجة الشيخ أمين الخولي ، وهي خريجة جامعة القاهرة ، ولهذا كله ؛ فإن معاصرتها لأساتذة الجامعة ومعرفتها بمناهجها يجعلنا نضع شهادتها موضع الاعتبار في تعليل أحوالنا الثقافية التي وصفتها (بالتصدع الثقافي) ، كما سجلت الغزو الفكري الذي بلغ أشده أثناء الحكم الناصري ؛ حيث فُرضت قسرًا الفلسفة الماركسية ثقافيًا وسياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا .

ومما يثير الغرابة في مضمون شهادتها أن الجامعة التي كان المأمول فيها إنقاذ الشباب خريجي مدارس الإرساليات والمدارس الأجنبية ، هم أنفسهم تعرضوا لما هو

---

(١) أنور الجندي (معالم التاريخ الإسلامي المعاصر ، من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية ظهرت خلال القرن الرابع عشر الهجري) ص ٨٤/ ٨٥ ـ دار الاصلاح بالقاهرة ١٩٨١م .

أسوأ على أيدي واضعي مناهج الجامعة من البعثات التبشيرية والإرساليات الأجنبية من كل جنس وملة .

وعلى أية حال ، فإنها علّلت أسباب المعارك الثقافية الدائرة الآن بين علماء الصحوة الإسلامية ومعارضيهم ، وجعلتنا ندرك أهمية إعادة النظر في مناهج التعليم بمراحله المختلفة .

ولم يفت الأستاذ أنور الجندي في تعليقه على النص المقتبس من الدكتورة عائشة عبد الرحمن أن يقول : (ولست أدري لماذا لم تفصح الدكتورة بنت الشاطىء عن هذه المؤامرة بأكثر من ذلك ، وتكشف دور أمثال طه حسين ولطفي السيد وغيرهم .

هل هذا الغموض يرجع ـ مثلًا ـ إلى الدور الذي شارك فيه الشيخ أمين الخولي مع طه حسين في هذا العمل أم لأسباب أخرى ؟ لقد كشف ذلك بأكثر وضوحًا أمثال محمود محمد شاكر ومحمد نجيب البهبيتي وغيرهم .

ثم ختم بقول جورج طنوس (في نفس الوقت الذي كانت النخبة العربية المكافحة تعمل للتحرر من نير الغرب السياسي والعسكري ، كانت تسعى إلى إدخال القيم الغربية في الحياة العربية مكان القيم الإسلامية للأمة ... ويقصد سعد زغلول والمدرسة الفرنسية)[1] .



(١) نفس المصدر .

التفسير الديني للتاريخ

عندما ندعو إلى قيام نهضة على أساس إسلامي توطئة لاستئناف حضارتنا التي أضاءت العالم لعدة قرون ؛ فإننا بذلك نتوافق مع روح العصر الحديث ـ ولا نخالفه كما يتهمنا المستغربون ـ ؛ إذ أجمع فلاسفة تاريخ الغرب على تفسير قيام الحضارات وسقوطها تفسيرًا دينيًا .

يقول القس إكرام لمعي : (لم يحدث في عصر من العصور أن كان الدين محورًا للاهتمام للدرجة التي اختلط فيها الدين بالأسس والمبادئ التي تبنى عليها معظم النظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كعصرنا الحالي ... وقد أصبح الدين هو الملجأ الأخير الثابت الذي تتعلق به حضارات تنهار ، وحضارات تريد أن تستيقظ من جديد)[١] .

ومن هنا يأتي هذا المقال ليؤكد الصبغة الدينية للحرب الصليبية المعاصرة باستخدام نصوص الكتاب المقدس ، ودليلنا على ذلك : ارتفاع صوت القس (مايكل بريور) معارضًا استخدامها لتبرير الحروب والاستعمار فقال : (لقد قمت بهذه الدراسة وقرأت نص الكتاب المقدس بأعين الكنعانيين وسجلتُ اعتراضي على استخدام الكتاب المقدس كوسيلة لقمع الشعوب)[٢] .

كذلك أبدى اعتراضه الشديد على توظيف نصوص الكتاب المقدس في المأساة الفلسطينية وتبرير الاستعمار في القرن التاسع عشر (حيث أدى قيام الدولة اليهودية إلى استبعاد أغلب الفلسطينيين ونفيهم ، وتدمير معظم قراهم ، واللجوء الدائم للعنف وإرهاب الدولة بالحروب والعمليات العسكرية ، كما تلطخ الإهانة الدائمة للشعب الفلسطيني والقائمة الطويلة للأعمال الوحشية والإذلالية التي لحقتهم

---

(١) القس إكرام لمعي (الاختراق الصهيوني للمسيحية) ص٧ ـ دار الشروق ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

(٢) القس مايكل بريور (الكتاب المقدس والاستعمار) ص١٠ ـ ترجمة وفاء بجادي ـ مراجعة وتقديم أحمد الشيخ ـ مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .

إنجازات الحلم اليهودي العرقي والقومي والاستعماري في القرن التاسع عشر . والأكثر إيلامًا من الناحية الأخلاقية والدينية أن الأساس الأيدولوجي في دعم الإمبريالية الصهيونية والعائق الرئيسي أمام احترام حقوق السكان الفلسطينيين يأتي من الدوائر الدينية التي ترى روايات الكتاب المقدس عن الأرض أوامر واجبة التنفيذ) [١] .

سنن الله تعالى في قيام الأمم وتدهورها :

نعرض في هذا البحث للتفسير الديني للتاريخ ، إذ اهتم علماء الإسلام قديمًا وحديثًا بالكشف عن سنن الله ـ تعالى ـ في قيام الأمم وتدهورها بناء على تدبرهم لقصص الأمم السابقة في القرآن الكريم مع تطبيق هذه السنن ـ أيضًا ـ على الأمة الإسلامية في تاريخها منذ قيامها .

ولم يقتصر التفسير الديني للتاريخ على علماء الإسلام وحدهم ، بل شاركهم فيه بعض فلاسفة ومؤرخي الغرب الذين لم يقف الأمر عندهم عند التفسير فحسب ، بل تعداه إلى التنبؤ بالمستقبل ـ أيضًا ـ وما يتوقع من سير التاريخ إلى نهاية العالم كما سنرى .

ومنهج التفسير الديني في الغرب المعتمد عند بعض المؤرخين والفلاسفة ، يستند إلى أن العبرة عند (شبينجلر وتوينبي ليست بالمظهر المادي للحضارة من آلة ومتاع ، وإنما العبرة بالروح والقوة الكامنة والإقدام على مواجهة الصعاب) ، ويميل توينبي ـ بخاصة ـ في تفسيره للتاريخ إلى الإيمان بالله القادر المصرِّف للأمور [٢] ويتفق معه شبينجلر في الرأي (حول دور الدين في إنقاذ الحضارات) [٣] .

---

(١) نفسه ص ٢١٠ ـ ٢١١ وللاستزادة يُنظر مقالنا بعنوان : (خدعونا فقالوا : إن الغرب تخلى عن دينه) ص٨٩ وما بعدها ـ من كتاب (المنهج السلفي لا الحداثة طريق النهضة) دار العقيدة ـ باكوس بالإسكندرية ودرب الأتراك خلف جامع الأزهر بالقاهرة .

(٢) د . حسين مؤنس ـ كتاب (الحضارة) ، ص (٣٥٤ ـ ٣٥٥) ـ سلسلة (عالم المعرفة) الكويت يناير سنة ١٩٧٨م ـ محرم/ صفر سنة ١٣٩٨هـ .

(٣) لمعي المطيعي (أرنولد توينبي) دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٧م ـ العدد ١٤٨ .

وهكذا فعل هانتنجتون الذي جعل الدين أكثر أهمية من التاريخ واللغة والثقافة والتقاليد في إقامة الحضارات ، وهو يقول : (إن الصراع بين الغرب والإسلام لا مفر منه) [١] .

وسنبدأ ـ أولًا ـ بنظرية ابن خلدون ، ثم نعرض ـ بإيجاز ـ لآراء بعض العلماء والفلاسفة في الغرب الذين التزموا بالتفسير الديني للتاريخ ، مع العناية بنظرية صدام الحضارات عند هانتنجتون ، ونختم البحث بالحديث عن التنبؤات بالمستقبل عند بعض الفلاسفة والساسة بالغرب .

نظرية ابن خلدون :

لا يسع الباحث في تفسير التاريخ ـ أو فلسفة التاريخ ـ إغفال العلامة ابن خلدون ، يقول المؤرخ الإنجليزي (روبرت فلينت) : (إذا نظرنا إلى ابن خلدون كمؤرخ ؛ وجدنا من يتفوق عليه من كتاب العرب أنفسهم ، وأما كواضع لنظريات في التاريخ ؛ فإنه منقطع النظير في كل زمان ومكان) [٢] .

ونرى أن وصف المؤرخ الإنجليزي بأن ابن خلدون هو واضع النظريات في التاريخ ، هذا الوصف لم يصدر من فراغ ، بل لا شك أنه مبني على دراسة عميقة للمقدمة ، فقد حدد ابن خلدون المنهج الذي رآه صحيحًا لكتابة التاريخ ، فقال :

(لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب ؛ فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق) .

---

(١) رجب البنا (الغرب والإسلام) ص١٢٣ ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٩٧م ، وسيأتي وصف هيلموت شميت المستشار الألماني السابق لنظرية هانتنجتون بأنها أكبر خطورة مما نظن ، ولعله تنبه مبكرًا إلى دوافع غزو أفغانستان والعراق تحت راية (الحرب الصليبية) .

(٢) د. علي عبد الواحد وافي (عبد الرحمن بن خلدون) ص٢٣٧ ، سلسلة (أعلام العرب) العدد رقم ٤ مكتبة مصر بالفجالة سنة ١٩٦٢م .

. . . (ويعلل الأخطاء بأن المؤرخين اعتمدوا على مجرد النقل غثًا أو سمينًا لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكّم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط . .) (١).

أما عن التفسير الديني فيرى ابن خلدون أنه (لا يحصل للعرب الملك إلا بصبغة دينية من نبوة، أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين على الجملة، وذلك؛ أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادًا بعضهم لبعض وخضوعًا لنظم الحكم، ولا يذللهم لهذه النظم إلا عقيدة دينية تربطهم بخالقهم وتؤلف بينهم، وهم في ذلك أسرع الناس قبولًا لهذه العقيدة؛ لبقائهم على الفطرة) (٢).

ويرى ابن خلدون أن الصبغة الدينية كانت سبب الفتوحات في صدر الإسلام بالرغم من قلة عدد المسلمين أمام أعدائهم (فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعًا وثلاثين ألفًا في كل معسكر، وجموع فارس مائة وعشرين ألفًا بالقادسية، وجموع هرقل - على ما قاله الواقدي - أربعمائة ألف، فلم يقف للعرب أحد من الجانبين، وهزموهم وغلبوهم على ما بأيديهم) (٣).

وفي التحليل النفسي لسبب عظمة الدولة إذا اعتمدت على الدين، يستشهد ابن خلدون بقوله - تعالى - : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

---

(١) مقدمة ابن خلدون، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور علي عبد الواحد وافي، جـ١، ص٢٩١، ط نهضة مصر، يناير سنة ٢٠٠٤م.

(٢) مقدمة ابن خلدون، جـ٣، ص ١٢٦٢، دراسة وتحقيق وتعليق: دكتور د. علي عبد الواحد وافي، ط نهضة مصر يناير سنة ٢٠٠٤م.

(٣) نفسه، جـ٢، ص٥٢٠.

فيقول : (وسره أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا ؛ حصل التنافس ونشأ الخلاف ، وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا وأقبلت على الله ؛ اتحدت وجهتها ، فذهب التنافس ، وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد ، واتسع نطاق الكلمة لذلك ؛ فعظمت الدولة) (١) .

ويستند إلى تاريخ الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، فقد كان (وازع كل أحد فيهم من نفسه وهو الدين ، وكانوا يؤثرونه على أمور دنياهم ، وإن أفضت إلى هلاكهم دون الكافة . . . وهكذا كانت أحوالهم في إصلاح دينهم بفساد دنياهم) (٢) .

التفسير الديني للتاريخ في ثقافة الغرب :

لا يتسع المقام لعرض مذاهب التفسير الديني بشكل موسع ، وهو ظاهرة واضحة في التاريخ اليهودي كما سنرى ، كذلك سنكتفي بعرض بعض النماذج المنتقاة من كتابات وبحوث بعض العلماء والفلاسفة الذين أعطوا عنايتهم لدور الدين في التاريخ ، وأثبتوا أنه من أكبر المحركات لعجلة التاريخ ، وأبرزهم من يُعرفون (بأصحاب المذهب الربوبي) في القرنين ١٧ ، ١٨ الذين ركزوا على تأكيد الدين في التاريخ ، فمنهم :

ـ **هيجل** : الذي عُني بالدين ؛ لأنه ـ حسب رأيه ـ (ليس مهمًا فقط ولا بصفة رئيسية ببلوغ الغايات الخلقية في الزمان ، ولكنه في جوهره علاقة مباشرة بين المحدود المتناهي وغير المحدود اللا متناهي ، أعني : الأبدي ، بل اعتبر (التاريخ العام) أحد الآيات الجديرة بإعجاب الناس فكتب : (وقد جرت عادة الناس ردحًا من الزمان بالتعبير عن الإعجاب بحكمة الله ، كما تتجلى في الحيوان والنبات وفي الأحداث

---

(١) نفسه ، جـ٢ ، ص٥١٩ .

(٢) نفسه ، ص (٥٨٧ ـ ٥٨٨) ويستطرد ساخرًا ونحن :

نُرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نُرقّع .

الفريدة ، ولكن إذا جاز أن تلك (العناية) تجلِّي نفسها في أشياء وأشكال كهذه من الوجود ، فلماذا لا تجلِّي نفسها ـ أيضًا ـ في « التاريخ العام » ؟

ـ كذلك اعترف (ويلز) بالدين في التاريخ .

ـ وجاء أكبر مؤرخي العصر : توينبي فجعل المتغير النهائي الذي قدمه للتاريخ تفسيرًا دينيًا في أساسه [1] .

ولا ينبغي أن نغض الطرف عن التفسير الديني اليهودي والذي يعمل بموجبه الكيان الصهيوني في إسرائيل ـ منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن ـ وهو ما أثبته توينبي بناء على دراسة تاريخ اليهود في موسوعته التاريخية ؛ إذ فضح نواياهم وأطماعهم التي لا تقنع بفلسطين وحدها (بل إن هدفهم النهائي تكوين إمبراطورية مركزها القدس ، وتتحكم في أقدار العالم الاقتصادية والسياسية بفضل سيطرتهم على موارد الشرق الأوسط الغنية وتحكمهم في موقعه الاستراتيجي الحيوي) [2] .

ويقول توينبي بعد سرده لمحاولات اليهود منذ تدمير بختنصر المتتالية لإقامة الدولة التي باءت كلها بالفشل فطرحوا جانبًا (التقليد المقدس القديم الذي يحتم على مؤسس الدولة الجديدة أن يكون من ذرية داود . ولما أن رأى اليهود أن الكوارث تحل بهم ؛ كلما رغبوا في تحقيق حلمهم في إقامة دولة يهودية في فلسطين باستخدام القوة المجردة ؛ أقنعوا أنفسهم بأن ربهم (يهوه) هو الذي يهبط من عليائه فيتجسد في شكل بشر ويتولى دور المخلص للشعب اليهودي ، ويتم الخلاص عن طريق تمكين هذا الشعب من إقامة مملكة دنيوية قوامها إمبراطورية كبرى تكون أورشليم عاصمتها ، ويكون اليهود فيها الجنس السيد) [3] .

---

(١) التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي ، تأليف : ج . ويدجري ، صفحات ١٥٢، ١٦٩، ١٧٠، ٢١٠، ٢٣٥ ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م .

(٢) حضارة الإسلام في دراسة توينبي ، تأليف فؤاد محمد شبل ، ص٧٨ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١/ ٢/ ١٩٦٨م .

(٣) نفسه ، ص ٨٠ .

ويذكر هـ . ج . ويلز الأفكار الرئيسية التي تناقلتها كتب اليهود ، منها : تفضيل الشعب اليهودي على جميع الأجناس الأخرى ، وبأنهم الشعب المختار للرب الأوحد للكون كله . . . والقول بزعيم منتظر مخلّص للعالم ، ومسيح يحقق ما ترامى به الـزمن من وعود (يهوه) التي طال الأمد عليها [1] .

ويلاحظ الأستاذ روبرت فلنت أن اليهود كانوا ينظرون إلى الأحداث من وجهة نظر دينية ، وكان الله ـ في رأيهم ـ هو العامل المحرك الأسمى للتاريخ ، وأن إرادته هي محك الحكم التاريخي ، وأن مملكته هي الغاية التي يتجه إليها التطور التاريخي ... إلى أن يقول : وقد (عُرف اليهود بشدة اعتزازهم بماضيهم وإكبارهم لتاريخهم) [2] بالرغم من الأساطير المبثوثة في هذا التاريخ ، ولا يتورع اليهود عن نشر الرواية الخرافية وخلاصتها (أنهم شعب الله المختار تعلّم من الله بطريقة مباشرة ومنحه الله بصيرة كاملة ، وحكمة ومعرفة تامة بجميع القوانين الطبيعية وبالحقيقة الروحية ... بل إنهم يتمادون في رواياتهم فيزعمون أن الله تحدث إلى آدم عليه السلام باللغة العبرية) [3] .

ويرى وايتهد أن بواكير التحضر ترجع إلى أنبياء العبرانيين الذين غيروا مجرى التاريخ تغييرًا حاسمًا ، وذلك بسبب إلحاحهم الزائد على المشاعر الأخلاقية ، ثم يستطرد قائلًا : (وفي سياق هذا الموروث النبوي يقف يسوع الناصري عليه السلام ، وهو شخص ذو أهمية فائقة) [4] .

---

(١) ص ٢٥٥ من كتاب معالم تاريخ الإنسانية جـ٢ ، هـ . ج . ويلز ، تعريب عبد العزيز توفيق جاويد ، راجعه زكي علي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٩٤٨م .

(٢) كتاب (تاريخ التاريخ) ، علي أدهم ـ سلسلة (كتابك) رقم (٦) دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧ ولم نقرأ لأحد الكتاب الذي يصف المسلمين (بالماضوية) بأن هذا الوصف ينطبق ـ أيضًا ـ على أصدقائه من اليهود .

(٣) ص ٥٧/ ٥٨ من مقدمة كتاب (محاضرات في فلسفة التاريخ) بقلم د . إمام عبد الفتاح الذي ترجم الكتاب . وراجعه د . فؤاد زكريا ـ دار الثقافة بالقاهرة ـ سنة ١٩٨٠م .

(٤) ص ٦٣ من كتاب (فلسفة وايتهد في الحضارة) تأليف أ. هـ . جونسون ـ ترجمة د . عبد الرحمن ياغي ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ سنة ١٩٦٥م .

(وذهب المؤرخون المسيحيون الأوائل إلى أن الحركة التاريخية جزء من الحركة الكونية التي يشترك فيها الله والإنسان، وقد تجلى التعبير عن هذا الاعتقاد في أوضح صورة في كتاب « مدينة الله » الذي كتبه القديس أوغسطين، وكانت الفلسفة التاريخية التي ضمنها هذا الكتاب مستمدة من أصول فارسية وهيلينية وعبرية.

فالحركة التاريخية صراع بين قوى الخير وقوى الشر، وهي في معناها التاريخي الأرضي صراع بين « مدينة الله » وهي نخبة المؤمنين بإله اليهود والمسيحيين و« مدينة الشيطان » وهو الاسم الذي أطلق عليه أشياع الوثنية المعاصرة والسابقين، وسيسفر هذا الصراع عن انتصار المدينة الأولى وهدم المدينة الأخرى [١].

وفي النهاية نشير إلى أننا لسنا بدعًا إذا فسرنا التاريخ تفسيرًا دينيًا كما دأب علماؤنا، ونذكر منهم في العصر الحديث الإمام الندوي عند تفسيره للزحف التتاري على العالم الإسلامي، إذ يعلله بأنه يخضع لسنة الله ـ تعالى ـ في الأرض، أي: بمثابة الإنذارات السماوية الباعثة للناس على التوبة والإنابة إلى الله وإصلاح أحوالهم [٢].

ويقول الإمام الندوي (إذا تدبرنا في ضوء القانون العام الخالد لنتائج الأعمال والأخلاق، وازدهار الأمم وانحطاطها الذي أشار إليه القرآن، ولا سيما ما ذكره في بدء سورة الإسراء من تدهور بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض وعلوهم وتمردهم وما جرّ ذلك إلى زحف الملوك الظالمين، وتسلطهم على بني إسرائيل ..) [٣].

---

(١) (تاريخ التاريخ) علي أدهم، ص ٤٠.

(٢) كتاب (غارة التتار على العالم الإسلامي وظهور معجزة الإسلام) أبو الحسن الندوي، ط المختار الإسلامي بمصر سنة ١٩٨٥م، ص ٥، ٧.

(٣) نفس المرجع السابق والصفحات.

نظرية (صدام الحضارات) لصامويل هنتنجتون :

تتلخص النظرية في أن صدام الحضارات سوف يسيطر على اليابسة العالمية ، وسوف يكون الصدام بين الحضارات هو الطور الأخير في منحنى تطور الصراع في العصر الحديث .

وإذا كانت الحضارة تشتمل على عناصر ثقافية مثل التاريخ واللغة والتقاليد ، فإن الدين هو الأكثر أهمية ، ويلفت الأنظار إلى أن الإحياء الديني يوفر مرتكزًا للهوية والتزامًا يتجاوز الحدود القومية ، وهو مقتنع بأن اقتلاع العلمانية في العالم هو إحدى حقائق الحياة الاجتماعية المهيمنة في أواخر القرن العشرين .

والدين يميز ـ كليًا وبجد ـ بين البشر من الانتماء العرقي بصورة جادة ؛ إذ يمكن للشخص أن يكون نصف فرنسي ونصف عربي ، ويكون مواطنًا في بلدين ، ولكن من الصعوبة بمكان أن يكون نصف كاثوليكي ونصف مسلم [1] .

ويرى أنه في الحروب تذوى الهويات متعددة العناصر ، وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هي السائدة ، وغالبًا ما تتحدد هذه الهوية ـ دائمًا ـ باسم الدين [2] .

ويضرب على ذلك مثالًا فيما حدث بعد انهيار الهوية اليوغسلافية العريضة ، استعادت تلك الهويات الدينية أهميتها ، وبمجرد أن بدأ القتال . . . زادت قوتها . . . صرب البوسنة أصبحوا صربًا قوميين متشددين يربطون أنفسهم بالصرب الكبرى والكنيسة الصربية الأرثوذكسية . . كروات البوسنة أكدوا كاثوليكيتهم . . رفض

---

(١) باختصار من كتاب (الإسلام والغرب ـ آفاق الصدام) تأليف صموئيل هانتنجتون ، ترجمة مجدي شرشر ، مكتبة مدبولي بالقاهرة ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

(٢) صموئيل هانتنجتون (صدام الحضارات ، إعادة صنع النظام العالمي) ص ٤٣٣ ، ترجمة طلعت الشايب ، تقديم د . صلاح قنصوة . ط سطور بالقاهرة ، سنة ١٩٩٨م .

المسلمون الأحزاب ذات التعددية المجتمعية وصوتوا بأغلبية ساحقة لصالح حزب العمل الديموقراطي الإسلامي بزعامة (علي بيجوفيتش) الذي أعلن عدم إمكانية تمازج الإسلام مع الأنظمة غير الإسلامية [١].

كذلك يذكر وقائع أخرى لتأكيد رأيه، نقتطف بعضها :

١. إن الهجرة من شمال أفريقيا إلى فرنسا تولّد عداوة بين الفرنسيين، وتجد قبولًا متزايدًا بهجرة البولنديين الكاثوليك [٢].

٢. والرئيس بوش الأب أثناء حرب الكويت يكثر من ذكر الله والتضرع إليه باسم الولايات فقوّى من شعور الغرب بأنها كانت (حربًا دينية) [٣].

٣. و(... العداوات الحادة والصراعات العنيفة متغلغلة بين الشعوب الإسلامية المحلية والشعوب غير الإسلامية، في البوسنة خاض المسلمون حربًا دموية ومدمرة مع الصرب الأرثوذكس واشتبكوا في عنف آخر مع الكروات الكاثوليك) [٤].

٤. ويعلن الزعيم الصربي إحياء الذكرى الستمائة للمعركة الكبرى، كرمز للحرب المستمرة مع المسلمين [٥].

---

(١) نفس المرجع السابق، ص (٤٣٥ ـ ٤٣٦).

(٢) نفس المرجع السابق، وينظر صفحات ١١٢، ٤٠٤، ٤٢٤، ٤٣٨، ٤٥٨، وهو يرى أنه في أواخر القرن العشرين شهد العالم انبعاثًا أو صحوة دينية في كافة أرجائه، هذا الانبعاث تضمن اتساع الوعي الديني وبروز الحركات الأصولية وأدى ذلك إلى تقوية الخلافات بين الأديان ص ١٠٦.

كذلك يقرر أن الدين قوة مركزية، وربما كانت هي القوة الرئيسية التي تعبئ الناس، وتدفعهم، ص ٩١٠.

هذا؛ وقد أقلقت النظرية هيلموت شميت المستشار الألماني السابق، لأن هنتنجتون يقول للأمريكيين إن الصراع بين الغرب والإسلام لا مفر منه.. هذه الفكرة غرسها في أرض خصبة لأن الأمريكيين منذ وقت طويل يساندون إسرائيل، ويرى شميت أن خطورة النظرية أكبر مما نظن.

رجب البنا، الغرب والإسلام، ص١٢٣، ط دار المعارف بمصر، سنة ١٩٩٧م.

(٣)، (٤)، (٥) المصدر السابق.

٥. (عندما أصبحت العقيدة الأرثوذكسية والكنيسة الأرثوذكسية مرة أخرى ، عوامل مركزية في الهوية القومية الروسية ، التي ضغطت بدورها العقائد الروسية الأخرى إلى الخارج وأهمها : الإسلام) [١] .

٦. وعقب تفكك يوغسلافيا سنة ١٩٩١م تحركت كل من « سولوفنيا » و« كرواتيا » نحو الاستقلال واللجوء إلى القوة الغربية بحثًا عن التأييد . . وأمام ضغط الرأي العام الألماني اعترفت الحكومة بهما ـ وضغطت على الاتحاد الأوروبي ؛ ليعترف باستقلال الدولتين . كما لعب الفاتيكان دورًا رئيسيًّا ، فأعلن الباب أن (كرواتيا) هي (متراس المسيحية الغربية) [٢] .

وما لم يذكره هانتنجتون ـ لأن كتابه صدر منذ سنوات ـ الزيارة الأخيرة للبابا لأرض فلسطين وحرص الإسرائيليين على إعداد برنامج خاص ؛ لاستغلال الزيارة سياسيًّا (وفرضوا عليه زيارة أماكن تحمل أبعادًا سياسية مثل النصب التذكاري لما سمّي بالمحرقة في مدينة القدس وزيارة حائط المبكى الذي هو في الأصل الحائط الغربي لسور المسجد الأقصى والذي يطلق عليه : « حائط البراق » ؛ لأن النبي محمد ﷺ ربط البراق عنده حينما صعد إلى السماوات العلا في ليلة الإسراء والمعراج [٣] .

كذلك صرح رئيس أمريكا الأسبق بأهمية عامل الدين ، إذ عندما سُئل كلينتون عن وضع الدين في المجتمع ، أجاب : (إننا جميعًا جزء من مجتمع عالمي في تطور دائم ، وقد شهد هذا المجتمع تغيرات سياسية وتقدمًا تكنولوجيًا وتصاعدًا في التنمية الاقتصادية غير أنه بالإضافة إلى ذلك نواجه بأخطار قديمة وجديدة من أبرزها : الإرهاب ، وأسلحة الدمار الشامل ، ومخاطر البيئة ، والفقر والجوع والصراعات

---

(١) المصدر السابق .

(٢) ، (٣) المصدر السابق وجاء بوش الابن ليعلن (الحرب الصليبية) منذ غزو العراق .

الحادة . وفي إطار مواجهتنا لهذه التحديات والمتغيرات هناك شيء ثابت يتخطى الحواجز الجغرافية وحدود الجنس واللون وهو الدين ، ولا شك أن له دورًا بارزًا في إضفاء روح المسئولية وبث اليقين على القدرة على مواجهة المشكلات ، نحن في حاجة للدين كمصدر من مصادر القوة ، ومنبع من منابع اليقين) (١) .

وكانت إجابته عن سؤال في شكل عبارة أحد القسس من أن (صلواتنا هي التي تساعد على تماسك العالم) .

إن تجدد النكبة المستمر ، ومن أبلغها دلالة على ما نحن بصدده : إعادة احتلال الأراضي الفلسطينية وتدمير مخيم جنين ، مثلما حدث في (محرم سنة ١٤٢٣هـ ـ مارس سنة ٢٠٠٢م) ؛ لأنه دال على التحام التيارين الديني والعلماني في موقف موحد اعتقادًا بالأساطير في معركة الحرم الشريف التي كنّا نظن أنها وقف على بعض الجماعات اليهودية المتطرفة ، ثم اتضح أن (بعض القادة العلمانيين في حزب العمل ـ بمن فيهم بعض من كانوا محسوبين على تيار أنصار السلام ـ ضمُّوا أصواتهم إلى أصوات عتاة اليمين المتطرف الديني منه وغير الديني ؛ ليخوضوا المعركة سويًّا على أرضية دينية في جانب كبير منها) (٢) .

ويبدو أن هانتنجتون لا يعبر بآرائه عن موقف عامة المثقفين الغربيين ، فهناك من خالفوه في الرأي أمثال إرسكين ب . تشيلدرز ، وبول كينيدي ، وفريدها ليداي ، مؤلف كتاب (الإسلام وخرافة المواجهة) ، وقد خصص بحثًا ضمن كتابه بعنوان (خطر الإسلام أم خطر على الإسلام ؟) وكان ضمن ما قاله : (فقد اختفى منذ أمد

---

(١) من مقال بعنوان : (رؤية إمبراطورية) بقلم السيد يسين ، جريدة الأهرام في ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٠م .

(٢) مقال بعنوان : (عن البعد المسيحي في المعركة الراهنة) بقلم صلاح حزين ، (جريدة الحياة) ـ لندن ـ ١٤/ ٤/ ٢٠٠٢م .

طويل الخطر العسكري الذي تثيره قوات إسلامية موحدة (في ظل الإمبراطورية العثمانية) ولكن خطورة رأي هانتنجتون في تبنيه لفكرة (ضرورة تدشين القوة داخل صفوف الغرب، وخلخلة قوة الإسلاميين) [(١)].

مناقشة النظرية في ضوء الفكر الإسلامي :

في مناقشة فكرة الصدام، يذكر د. مانع الجهني ـ الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ أن سبب الصدام والتدافع بين الشعوب والأمم هو الاختلاف في المعتقدات والعادات والأفكار، وبسبب المطامع السياسية والاقتصادية وغيرها، ولكن هذا الصراع لا يمانع من التعاون والتعايش بين الحضارات، ويرشح حضارة الإسلام بين الحضارات؛ لتحقيق السلم والوئام بينها لسببين :

الأول : نظرة الإسلام إلى الإنسانية على أنها أسرة واحدة وأنهم كلهم خلق الله ﷻ، والاختلافات الموجودة بينهم في العقائد والأفكار والألسن والعادات هي اختلافات طبيعية لا بد أن تحصل .

الثاني : اعتراف الإسلام بالأديان الأخرى فلها الاحترام ويوفر الحرية لأتباعها، والتعايش بينها أمر وارد [(٢)].

وشاركه في الرأي الدكتور أحمد القديري الذي يقترح إقامة حوار هادئ بين الحضارات الأخرى باستخدام السلاح الثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي

---

(١) مقال منى ياسين : (الإسلام في عيون الغرب) ص٤٢، من كتاب (الغرب والإسلام)، دار جهاد بالقاهرة، فبراير ١٩٩٤م، وينظر كتاب (الإسلام وخرافة المواجهة) ترجمة محمد مستجير، مكتبة مدبولي سنة ١٩٩٧م. وقد مر بنا تعليق هيلموت شميت المستشار الألماني الأسبق بقوله : (إن خطورة النظرية أكبر مما نظن) !

(٢) د . مانع الجهني، مقال (الصراع بين الحضارات سنة كونية والهجوم عليه وليد العصر)، ص٩٧ مجلة الحرس الوطني بالرياض، ذو القعدة، ذو الحجة ١٤١٦هـ، مارس، أبريل ١٩٩٦م، (ملف العدد : الإسلام وصدامات الحضارات) .

في الصراع المقبل ، ويقول : (وإن النصر الذي ننشده للمسلمين في هذا الصراع الحضاري ، ليس نصرًا عسكريًا ، فنحن نأبى أن نختزل مجد الإسلام في قوة حربية ، وهو دين اتخذ السلام منهجًا ، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى ، كما أن النصر الذي نأمله ليس طغيانًا على الحضارات الأخرى ، أو إرادة هيمنة على شعوب سوانا بقدر ما هو دفاع مشروع عن أصولنا الروحية ، وثوابتنا الحضارية ، حتى نعتمدها في تحديد مصيرنا ، وصيانة استقلالنا وإنشاء تضامننا) [١] .

ومن ملاحظات الدكتور أحمد القديري على آراء هانتنجتون : أنه يهمل التحدِّي الأكبر المفروض على الشرق الإسلامي بسبب توسع الدولة اليهودية لا على فلسطين وحدها ، بل على حساب أراض عربية مسلمة عديدة مما يجعل المعركة الفلسطينية أخطر مواطن صراع الحضارات مستقبلًا ، ويستطرد قائلًا : (وإننا نعتقد أن إهمال الكاتب اليهودي لهذا الصراع القادم الحتمي ليس بسبب نقص في ثقافته ، بل هو إهمال مقصود عن أيديولوجية ؛ لأن هانتنجتون يريد إيهام قرائه والرأي العالمي بأن هذه المسألة محسومة ؛ لأنه يضع الثقافة اليهودية فيما يسميه بالمنظومة الثقافية الشرقية التي يضع فيه الإسلام - أيضًا - هو ضرب من ضروب التضليل يندرج في المخطط ، بينما الواقع أن الثقافة اليهودية انفصلت في أواخر القرن التاسع عشر عن جذورها الشرقية ، واندمجت في المشروع الاستعماري الإمبريالي الفكري والسياسي ، ضد العدو المشترك : (الخلافة الإسلامية) [٢] .

* * *

(١) ص ٥٠ (الإسلام وصراع الحضارات) ، د. أحمد القديري ، كتاب الأمة ، قطر - ذو الحجة ١٤١٥هـ ، مايو ١٩٩٥م.
(٢) نفس المرجع السابق ص٥٨ .

التنبؤ بالمستقبل :

تتسع مساحة التفسير الديني لتاريخ اليهود ، ويشارك فيه فلاسفة وأدباء ورجال السياسة مع تغلغله في الثقافة الغربية ، بل يتعداه ـ أيضًا ـ إلى التنبؤ بالمستقبل [1] ، فقد أخذت إسرائيل مكانة بارزة في كتابات جان جاك روسو وهو مواطن من جنيف ينحدر من أسرة بروتستانتية ، وبليز باسكال فيلسوف الكاثوليكية في القرن السابع عشر ، فقد جاء في كتاب روسو عن التعليم عام ١٧٦٢م :

لن نعرف الدوافع الداخلية لليهود ـ أبدًا ـ حتى تكون لهم دولتهم الحرة ومدارسهم وجامعاتهم .

وكان باسكال (ضليعًا في الأدب اليهودي الديني والفلسفي ، وكان يفكر في دور الشعب اليهودي ، ويرى أن إسرائيل هي البشير الرمزي للمسيح المنتظر ، وعبّر عن احترامه الشديد لإنجازات اليهود الأمة الأولى وتمسكهم الصادق بدينهم) .

وجون لوك واضع النظرية السياسية الليبرالية كتب بالحرف : (إن الله قادر على جمع اليهود في كيان واحد وجعلهم في وضع مزدهر في وطنهم) وسيطرت العقيدة الدينية على الروايات المسرحية .

(وغدت أفكار العهد القديم أكثر مصادر الإلهام لفناني وشعراء العهد الجديد لا في إنجلترا فحسب ، بل في القارة الأوروبية كذلك..) .

وتحدثت قصيدة ملتون الشهيرة : « الفردوس المستعار » عن عودة إسرائيل :

« لعل الله الذي يعرف الوقت المناسب جدًا سيذكر إبراهيم عليه السلام وسيعيدهم نادمين وصادقين ، وسيشق لهم البحر وهم عائدون مسرعين جذلين إلى وطنهم كما

---

(١) من المصادر الموثقة في هذا المجال ، كتاب الدكتورة ريجينا الشريف (الصهيونية غير اليهودية) سلسلة (عالم المعرفة) الكويت ـ ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ / ديسمبر سنة ١٩٨٥م .

شق البحر الأحمر ونهر الأردن عندما عاد آباؤهم للأرض الموعودة . إنني أتركهم لعنايته وللزمن الذي يختاره » .

كما استوحى قصيدة أخرى مباشرة من كتاب القضاة في العهد القديم (وهي الصورة التي كررها اللورد بايرون وكولردج في القرن التاسع عشر وجيمس جويس في القرن العشرين) .

وفي المجال العلمي لم يخل ـ أيضًا ـ ممن جاء ليؤيد الشعب اليهودي ويتوقع إقامة دولته فقد كتب نيوتن يقول : (إن اليهود سيعودون إلى وطنهم ، وحاول أن يضع جدولًا زمنيًّا للأحداث التي تفضي إلى العودة ، وتوقع تدخل قوة أرضية من أجل إعادة اليهود المشتتين) .

وجاء بعده الطبيب الفيلسوف دافيد هارتلي فأخضع قضية عودة اليهود إلى دراسة منظمة في كتابه العلمي العام (ملاحظات حول الإنسان وواجباته وتوقعاته) .

وزاد الاهتمام في القرون التالية بقضية اليهود وأصبح وصف التاريخ الإنجليزي حسب تقسيم بربارة تخمان هو : (بعد الفترة الهلينية في القرن الثامن عشر عاد الرقاص ثانية لفترة عبرية أخرى ، إذ حلت حركة التقوية الفيكتورية محل مذهب الشك الذي كان سائدًا في القرن الثامن عشر ، كما حلت حركة سفر الرؤيا محل المذهب العقلي) .

وامتدت الفترة الإنجيلية الجديدة حتى نهاية عهد الملكة فيكتوريا (١٨٧٣م ـ ١٩٠٠م) ، وكان من أبرز الشخصيات حينذاك شافتسبري « مبشر المبشرين » والذي كان يعتبر شخصية رئيسية في الصهيونية غير اليهودية ، وكان مهتمًا ـ مثل كرومويل ـ باليهود كشعب (ولكن تركيزه كان منصبًا على إعادة هذا الشعب لفلسطين) ، وعمل معه بجدية نبلاء إنجليز وكثير من أعضاء مجلس اللوردات .

وإذا مضينا لنسرد قصة الصهاينة من غير اليهود في الغرب ؛ لنقلنا كتاب الدكتورة ريجينا الشريف بأكمله ؛ لأهميته القصوى في هذا الغرض ، ولأنها اقتحمت مجالًا دراسيًّا كان مجهولًا لنا تمامًا . .

ولكن نكتفي بهذا القدر ؛ ليتبين لنا جميعًا كيف أسهم الأدباء والفلاسفة والساسة الغربيون في التبرير ووضع النظريات التي أصبحت تراثًا دينيًّا ضخمًا ، استند إليه الصهاينة وحفزهم للمضي قُدُمًا في تحقيق أحلامهم ، وكيف يجمع التاريخ الاستعماري بصفحاته بين الأدوار المتكافئة لكل من إنجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وأمريكا المؤيدين لإسرائيل بدوافع توراتية .

وعلى ذلك ؛ فإن أصوات الأحزاب اليمينية الآخذة في الارتفاع الآن في فرنسا وألمانيا وبلجيكا وإنجلترا ليست ظاهرة جديدة ، بل هي متأصلة في هذه المجتمعات الضليعة في عنصريتها منذ ميز فيلسوفها أرسطو بين الأثيني والبربري في القرن الرابع قبل الميلاد ، وقد عكفت الباحثة ريجينا الشريف على دراسة تراث الغرب الديني وأمدتنا بمعلومات وفيرة كانت خافية عنا في ظل التعتيم المتعمد عن صلة الدين بتراث الغرب .

ومن أهم النتائج التي استخلصتها من دراستها الشاقة ـ وإن كانت النتائج كلها مهمة ـ أن وضعت لنا منهجًا جديدًا في فهم الأحداث السياسية ، فقد كانت المبادئ البروتستانتية التي وضعتها حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر مغايرة ـ تمامًا ـ للمبادئ الكاثوليكية السابقة .

وتوصف هذه الحركة بأنها بعث (عبري) أو (يهودي) تولّدت عنه وجهة نظر جديدة عن الماضي والحاضر اليهودي وعن مستقبله بشكل خاص ، كان اهتمام حركة الإصلاح البروتستانتي منصبًا على العالم القادم ، وكان ينظر إلى الحياة بمنظار الأبدية ،

كما ساد الاعتقاد بالمسيح المنتظر والعهد الألفي السعيد اللذين هما من مقومات المبادئ اليهودية [١] .

ويقول جوناثان كيرسن مؤلف كتاب (تاريخ نهاية العالم) :

(كل شاغلي البيت الأبيض منذ عهد ريجان والعديد من مستشاريهم وثقاتهم أعلنوا أنهم (مولودون ثانيًا) ، وهو وصف يربطهم بضرب من الأصولية الدينية يسلّم جدلًا بصحة نبوءات الكتاب المقدس وحتميتها بما في ذلك من نبوءات آخر الزمان بسفر الرؤيا .

وكان ريجان يعتقد أن معركة أرمجدون الفاصلة ليست ببعيدة ، كل شيء يتحقق في أوانه المحدد والوقت قد أزف [٢] .

ويقول بول فندلي : (وقد جعل التراث اليهودي للمسيحية الأمريكية الكثير من المسيحين الأمريكيين يقرّون بأن إنشاء دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م جاء كتحصيل للنبوءات التوراتية ، وأن الدولة اليهودية ستظل تلعب دورًا مركزيًا في مخطط السماء والأرض . وجاء انتصار إسرائيل في حرب يونيو سنة ١٩٦٧م واحتلال القدس ليمثل عند المسيحين الأمريكيين تأكيدًا لنبوءات التوراة وقرب مجيء المسيح عليه السلام [٣] .

❋ ❋ ❋

(١) كتاب الصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ، ترجمة أحمد عبد العزيز (جذورها في التاريخ الغربي) سلسلة (عالم المعرفة) ـ الكويت ـ ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ ـ ديسمبر سنة ١٩٨٥م ، ينظر صفحات ٢٩ ، ٣٩ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧ .

(٢) ص (٣٢ ـ ٣٣) ، ترجمة د . عبدالوهاب علوب ، مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م ، وعنوان الكتاب بالكامل : (كيف غيّر أكثر أسفار الكتاب المقدس إثارة للجدل حضارة الغرب) .

(٣) ص١٣٤ رضا هلال (المسيح اليهودي ونهاية العالم ـ المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا) مكتبة الشروق ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

نشأة نظام الخلافة

يؤرخ الدكتور محمد ضياء الدين الريس رحمه الله لنشأة نظام الخلافة فيقول : (تم عقد اجتماع « السقيفة » ، وحين بلغ نبؤه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وبعض المهاجرين ؛ أسرعوا إلى حضوره ، وغاب عنه بعض كبار الشخصيات ، وما درى الحاضرون في هذا الاجتماع أنهم كانوا يعقدون أهم «اجتماع » أو « مؤتمر » في تاريخ الإسلام كله ، وما أشبهه بجمعية (وطنية) أو (تأسيسية) تبحث في مصير أمة لأجيال عديدة لاحقة ، وتضع لها دستورًا يكون أساسًا لحياتها في المستقبل ، وإن أكبر نتيجة لهذا الاجتماع أنه على أساسه قام « نظام الخلافة » الذي بقي منذ ذلك الوقت ـ في شكل أو آخر ـ إلى القرن العشرين) [١] .

وقد توسع في شرح وصف الخلافة ومهامها الدكتور السنهوري باشا رحمه الله ، حيث قرر أن الخلافة حكومة تمتاز عن سائر الحكومات بالمزايا الآتية :

[أولًا : إن الخليفة ليس حاكمًا مدنيًا فحسب ، بل هو ـ أيضًا ـ الرئيس الديني للمسلمين ، ولا يتوهم أن للخليفة سلطة روحية شبيهة بما تنسبه النصارى للبابا في روما ، فالخليفة لا يملك شيئًا من دون الله .. ومعنى أنه الرئيس الديني للمسلمين أن هناك مشاعر عامة يقوم بها المسلمون جماعة ، كصلاة الجماعة ، والحج ، وهذا لا يتم إلا بإمام ، وهو الخليفة .

ثانيًا : أن الخليفة في استعمال سلطته التنفيذية يجب عليه أن يطبق أحكام الشريعة الغراء .

---

(١) د/ محمد ضياء الدين الريس (النظريات السياسية الإسلامية) ص٢٤ مكتبة الأنجلو المصرية ط٣ صفر سنة ١٣٨٠هـ ـ يوليو سنة ١٩٦٠م .

ثالثًا : أن سلطان الخليفة يجب أن ينبسط على جميع العالم الإسلامي ، فوحدة الإسلام حجر أساسي في الدولة الإسلامية ، ووحدة الإسلام تستتبع وحدة الخليفة ، وهذه هي الخلافة الكاملة .

ولكن الظروف قد تُلجئ المسلمين ـ وقد تمزقت وحدتهم ـ أن ينقسموا أممًا ، لكل أمة حكومتها ، فيجوز تعدد الخليفة للضرورة ، ولكن الخلافة هنا تكون خلافة غير كاملة][1] .

وعندئذٍ يقترح الدكتور السنهوري باشا توحيد المسلمين في هيئة واحدة شبيهة (بعصبة أمم إسلامية) ، فيقول :

على أن الخلافة الكاملة يمكن تحققها إذا اجتمعت كلمة المسلمين ، لا على أن تكون لهم حكومة مركزية واحدة ، فذلك قد يصبح مستحيلًا ، بل يكفي ـ على ما أرى ـ أن تتقارب الحكومات الإسلامية المختلفة وأن تتفاهم ، بحيث يتكون منها هيئة واحدة شبيهة (بعصبة أمم إسلامية) تكون على رأس الحكومات ، وتكون هي هيئة الخلافة ، ولا سيما إذا ألحق بهذه الهيئة مجلس مستقل عنها ، ويكون قاصرًا على النظر في الشؤون الدينية للمسلمين)[2] .

مناهج البحث في قضية الخلافة الإسلامية :

إذا أردنا الخوض في نظام (الخلافة الإسلامية) ؛ وجب علينا استجماع طرق البحث بعدة مناهج منها :

أ. المنهج التاريخي ؛ لاستعادة تذكّر ومعرفة أمجادها ودورها في حفظ وحدة الأمة خلال القرون السابقة ، دون الغض من سلبياتها في العصور الأخيرة ، مع العناية بتصحيح التصورات الخاطئة عنها .

---

(١) ، (٢) د/ محمد عمارة (إسلاميات السنهوري باشا) جـ١ ص ١٢٤ ، إسلامية الدولة والمدنية والعمران ، دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م .

ب ـ بيان التكييف الشرعي لمنصب الخلافة بإجماع علماء الإسلام .

يقول ابن خلدون : (ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم ، فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم ، وكان هذا الحكم لأهل الشريعة وهم الأنبياء ، ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء) [١] .

ويستند ابن خلدون إلى وجوب نصب الخليفة بإجماع الصحابة والتابعين (لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر ﷺ ، وتسليم النظر إليه في أمورهم ، وكذا في كل عصر من بعد ذلك ، ولم تترك الناس فوضى في عصر من الأعصار) [٢] .

ويحيط ابن خلدون عند وصفه للخلافة وشرح وظائفها ، يحيطها بهالة من علو الشأن وبيان مآثرها ، وعلى رأسها أن الخلفاء يقومون مقام الأنبياء ، فيقول : (وإذا نظرت سر الله في الخلافة ... لأنه ـ سبحانه ـ إنما جعل الخليفة نائبًا عنه في القيام بأمور عباده ؛ ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم ، وهو مخاطب بذلك) [٣] .

وكان ابن خلدون معبّرًا عن التيار السائد بين علماء المسلمين بتعظيمهم للشريعة ، وقد عمل خلال فترة من حياته قاضيًا ، حيث تولى بمصر منصب قاضي قضاة المالكية [٤] .

وكان بعض المستشرقين قد زعموا أن الخلافة الإسلامية انتهت بعصر الخلفاء الراشدين ﷺ ، وبعدها لم تقم لها قائمة .

وهذه النظرة قاصرة وتتجاهل عن عمد استمرارية الخلافة حتى عام ١٩٢٤م ومدى حرص الأمة عليها طوال تاريخها ، كذلك لم تستوعب حقيقة الدور الذي

---

(١) ، (٢) مقدمة ابن خلدون جـ٢ ص ٥٦٣ ، ٥٦٥ تحقيق د/ وافي ـ ط نهضة مصر ـ يناير سنة ٢٠٠٤م .

(٣) المقدمة جـ٢ ص٥٧١ .

(٤) المقدمة جـ١ ص٨٤ .

قامت به الجماعات الإسلامية على اختلاف أوطانها وأزمانها ، في صد حملات الصليبيين والتتار ؛ إذ غفلت الازدواجية التي اتسمت بها حضارة الإسلام ونظامها السياسي ، وهو الذي تنبه إليه الدكتور حسين مؤنس رحمه الله في دراسته الشاملة (عالم الإسلام) ، فإنه ميز بين الجماعة الإسلامية والدولة الإسلامية ، ويعلل بقاء الأمة الإسلامية طوال تاريخها الطويل بالرغم من الأزمات الداخلية والخارجية إلى أن الجماعة الإسلامية حافظت على أداء دورها فعوّضت التقصير من جانب الدوْلة في بعض الفترات ، ويستدل على ذلك بأن معظم المشكلات كان الناس يحلونها فيما بينهم بالتراضي دون الالتجاء إلى القضاء إلا نادرًا .

وكانت المساجد ورعايتها ـ دائمًا ـ من اختصاص الجماعة ، ومثل ذلك يقال عن كلّ من التعليم ومواصلات البر والبحر ، أي أنه كان في تاريخنا كيانانِ ، كل منهما قائم بذاته : الجماعة الإسلامية والدولة الإسلامية [1] .

وفي عهود الحكومات الصالحة نجد الهيئتين متطابقتين ، أي أن الجماعة والدولة تبدوان شيئًا واحدًا ، وفي عهود الحكم السيء أو حكومات القهر نجد الجماعة في طريق والحكومة في طريق ، ولاحظ ـ أيضًا ـ أن الجماعة الإسلامية قلّما عولت في الماضي على السلطة الحاكمة إلا فيما يتعلق بالحماية الخارجية .

وقد ظلت المجتمعات الإسلامية سلمية في تكوينها ، محتفظة بإطاراتها الاجتماعية القائمة على الإسلام وأخلاقياته ، فلم تنحل روابط المجتمع ، ولم يتهاون الناس في قواعد الشهامة والمروءة والأخلاق . ومن دلائل تمسك الناس بمبادئ الدين وإحساسهم بأنها وسيلتهم الوحيدة للنجاة من الأخطار التي أحاقت بهم ، وتسليمهم قياداتهم لعلماء الدين في كل مكان إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى [2] .

---

(١) د/ حسين مؤنس (عالم الإسلام) دراسة في تكوين العالم الإسلامي وخصائص الجماعات الإسلامية ص ٢٥ وما بعدها باختصار ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣م .

(٢) نفسه ص ٥٤٦ .

وفي نهاية المطاف ، يقول الدكتور حسين مؤنس : (وإذن فالتاريخ الحقيقي لشعوب الإسلام هو تاريخ جماعاته أوأممه في كل مكان ، فهذه الجماعات قد عرفت كيف تنظم أمورها على نحو لا بأس به مكّن لها ـ على الأقل ـ من المحافظة على كياناتها والنجاة من المهالك ... وكان لسان الأمة المعبِّر عن وجدانها هم المخلصون من أهل العلم والفكر الذين لم يكفوا ـ أبدًا ـ عن المناداة بالعدالة والفضيلة والتزام حدود الدين) [(١)] .

ويتضح دور الجماهير المعبرين عن الجماعة الإسلامية في كافة البلدان بصفة خاصة عند اشتداد الأزمات والكروب وبخاصة في الحروب الصليبية ، فإن الجماهير هي التي نبهت أول الأمر إلى ضرورة النهوض لمواجهة الخطر .. وفي كل معركة من المعارك التي خاضها قادة التحرير العربي الإسلامي خرج الألوف من المتطوعين الذين كانوا يخرجون من بيوتهم ؛ ليجاهدوا في سبيل الله دون أجر ، بل دون نظر إلى مكافأة [(٢)] .

وعلينا التعلم من هذا الدرس البالغ الأهمية في أبعاده وآثاره على المجتمعات الإسلامية التي يحتل الإسلام في قلوبها الركن المتين والعامل الجوهري في انتصاراتها ، ولم يبق على الرؤساء والساسة والدعاة وكل الحاملين لأعباء هذه الأمة على أكتافهم إلا تحريك القلوب مرة أخرى بالإسلام ؛ لما له من قوة غلّابة في جماهير المسلمين ، وبخاصة في عصرنا الحاضر الذي يحيط بنا الأعداء فيه من كل جانب ، وتتعرض بلادنا لحروب صليبية متجددة لم تبرد نيرانها بقلوب أهلها منذ القرون الوسطى .

بل إن الأمة في خطر ، وليس أدل على ذلك إلا أن الدولة اليهودية ـ إسرائيل ـ مغروسة في قلبها ، ولن تنجو الأمة من هذا الخطر الفادح إلا بتجديد الإسلام في القلوب ؛ ليؤدي دوره التاريخي في النصر ، حيث جربنا ذلك أثناء الحروب الصليبية وحروب التتار .

---

(١) نفسه ص ٣٠ .

(٢) نفسه ص ٨٧ .

يقول الدكتور حسين مؤنس ـ المؤرخ الثبت ـ : (وليس أدل على قدرة الإسلام الغلابة على الخير الذي يسديه لكل جماعة تدخل فيه من أن الجماعة الإسلامية الكبرى تعرضت طوال تاريخها لأزمات طاحنة كان بعضها كفيلًا بأن يقضي على أمم وحضارات وأديان ، ولكن أمم الإسلام خرجت ظافرة من الأزمات التي مرت بها بفضل الإسلام وحده .

وسنضرب لذلك مثلًا واحدًا يغني عن الكثير ، وهو تعرض الإسلام والأمم الإسلامية منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي إلى أواخر القرن الرابع عشر لخطرين من أكبر ما تعرضت له الأمم والحضارات من أخطار ، وخرجت برغم ذلك ظافرة من الصراع الرهيب الذي دار بينها وبين عوامل الدمار والتخريب من ناحية وعوامل الكراهية والحقد والتعصب من ناحية أخرى ، ونقصد بذلك الخطر الصليبي والخطر المغولي اللذين اجتمعا على بلاد المسلمين في عصر واحد تقريبًا) [1] .

ولذلك ؛ كان الغرب على مدى تاريخنا يرقب الحركات الإسلامية ويحاول قمعها عن طريق عملائه في بلادنا ، وها هي إسرائيل ـ خط دفاع الغرب في المنطقة والحارسة لمصالحه ـ تبدي انزعاجها من استيقاظ الروح الإسلامية في السبعينيات من القرن الماضي ، فعلّق راديو إسرائيل (٨ أيلول ١٩٧٨م) بقوله : (إن عودة الروح الدينية بهذا الشكل المفاجئ دليل على فشل أساليب القمع التي استعملت للقضاء على الروح الإسلامية في المنطقة مما يحتّم على جميع الذين يعتبرون الإسلام عدوًا تاريخيًا لهم أن يعيدوا النظر في الأمر ؛ للتوصل إلى الاتفاق على أساليب جديدة وحاسمة ؛ لوقف الزحف الإسلامي الجديد الذي بدت بوادره في إيران ، ونخشى أن يمتد إلى تركيا .

---

(١) نفسه ص ٨٣ .

ذلك البعد الذي بذلنا نحن اليهود جهودًا مضنية حتى استطعنا القضاء على الروح الإسلامية على يد أعواننا وأصدقائنا هناك) [1] .

وفي ضوء هذه الصراحة التي لا لبس فيها نستطيع إدراك أسباب الفزع الذي أصاب الغرب ومريديه عندما اجتمع نحو ثلاثة ملايين مسلم ـ حسب تقديرات التليفزيون المصري ـ بميدان التحرير بالقاهرة يوم الجمعة ٢٩/ ٧/ ٢٠١١م ؛ لإعلان الشعارات الإسلامية ؛ تأكيدًا لهوية الأمة ، وحنينًا للعودة إلى شريعتها !

ولا يفوت إسرائيل ـ أيضًا ـ متابعة التطورات السياسية والاجتماعية والدينية بتركيا عن كثب منذ انتصار عدنان مندريس على العلمانية عام ١٩٥٠م (حيث أُعدم اثنان معه عام ١٩٦١م بانقلاب عسكري قام به جمال جورسيل) وتابعه أريكان ثم رجب أردوغان الذين فتحوا الآفاق على الاتجاه الإسلامي في محاولة مستمرة وجادة ؛ لإعادة تركيا إلى الأمة الإسلامية بعد أن سلخها منها أتاتورك ، وحمّل الجيش التركي بعده حماية دستوره اللاديني ، بعد أن كان جيشًا مجاهدًا في سبيل الله [2] .

وظل العسكر يعارضون الأحزاب الدينية حيث يرون أن تسليم السلطة لهذه الأحزاب يقوّض دعائم الدولة الأتاتوركية ، وأبدوا انزعاجهم الشديد عندما خرج المتظاهرون بالطربوش الذي حرّم أتاتورك ارتداؤه منذ عام ١٩٣٤م وتعالت هتافاتهم : عاشت تركيا إسلامية : الحكم للقرآن ، يسقط الإلحاد ، الموت لأعداء الإسلام ولليهود [3] .

وشارك اليهود العسكر في انزعاجهم ، فقد أبدت مصادر إسرائيلية قلقها من استقالة أركان الجيش التركي وثلاثة ضباط كبار يوم الجمعة الماضي ٢٩/ ٧/ ٢٠١١م ،

---

(١) أنور الجندي (معالم التاريخ الإسلامي من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية) ص٣٠٩ ـ دار الإصلاح بالقاهرة سنة ١٩٨١م .

(٢) أنور الجندي (معالم التاريخ الإسلامي المعاصر) ص٢٩٠ .

(٣) نفسه ، ص ٢٩٣ .

معتبرة أن آخر الحصون « ضد الإسلام » في تركيا قد سقط في إشارة إلى الجيش ، إحدى قلاع العلمانية . ونقل موقع صحيفة « بديعوت أحرونوت » عن مصادر سياسية قولها : هذه الخطوة في صالح الإسلاميين ورئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان زعيم حزب العدالة والتنمية ذي الجذور الإسلامية .. هذا مقلق ؛ لأن آخر الحصون في وجه الإسلام قد سقط) [1] .

ولا يشك الباحث بعد هذا الاعتراف الواضح أن المخابرات الإسرائيلية بالاشتراك مع المخابرات الأمريكية تقف ـ بشكل أو بآخر ـ وراء حركات الانقلابات العسكرية في المنطقة ! وقد قيل أن الاعتراف هو سيد الأدلة .

جـ ـ المنهج الجدلي لمناقشة العلمانيين والمستغربين والليبراليين واليساريين [2] ؛ لتصحيح أفكارهم التي تلقّوها عادة من المستشرقين اليهود والنصارى أو تلاميذهم ، وهي تحمل طابع التشويه والتحريف بسبب سوء نواياهم ، أو قصور مناهجهم في مجال بحث الثقافة الإسلامية حيث ينقصهم القدرة على استيعاب دين آخر مخالف لعقائدهم .

يقول د . مراد هوفمان ـ المهتدي للإسلام ـ : (وحتى معظم المستشرقين الغربيين لم يوفقوا في فهم الإسلام فهمًا متعمقًا ، ألم يخدموا ـ بالوعي أو باللاوعي ـ المصالح

---

(١) خبر بعنوان : (إسرائيل : أردوغان أسقط آخر حصون ضد الإسلام) بقلم أحمد عطا ـ جريدة الشروق المصرية بتاريخ ٢ رمضان سنة ١٤٣٢هـ ـ ٢/٨/٢٠١١م .

(٢) جاءت تسمية (يساري) من فرنسا بعد قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م وإنشاء الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان) ، ومن باب الصدفة جاء جلوس ذي الآراء المتشددة يسار رئيس البرلمان ، وأصبحت عادة في جميع برلمانات العالم ، أن المعارضين يجلسون ناحية اليسار والمؤيدون يجلسون ناحية اليمين ، ثم اتسع معنى كلمة (يساري) ؛ ليشمل كل من يعتنق مبادئ الاشتراكية والشيوعية ، وكلمة (يميني) ؛ لتشمل كل من يعتنق الأفكار والمبادئ الرأسمالية .

(السعيد صالح عبده « أصل الأشياء » ص١٧ ـ الشركة المصرية للطباعة ـ بورسعيد سنة ٢٠٠٤م) .

الاستعمارية إلى حد كبير عندما يقومون بتقييم الإسلام على ضوء معيار الحضارة الغربية التي يعتقدون بعالميته ونظامه القيمي؟) [١] .

ويذكر ـ أيضًا ـ أن قليلًا منهم كانوا عملاء سريين بكل معاني الكلمة ، مثلما كان ت . إي . لورنس [٢] .

أما موقف مذهب أهل السنة من (الخلافة) (أي : مدى التغيير الذي طرأ عليها ، فهم يقولون : إن التغيير حدث من أوجه معينة ، على حين بقيت وجوه أخرى ، فخلافة الخلفاء الراشدين ـ تلك التي أجمعوا على الاعتراف بها ـ إنما كان يُقصد بها الخلافة الكاملة . وما جاء بعدها لم يكن مضادًا لها ، ولكن ناقصًا عنها ومشتركًا معها في نفس الوقت في وجوه كثيرة . لذا لا يجوز القول ـ حسب تصورهم ـ بأن الخلافة بجميع معانيها قد انتهت ، أو أن الانقلاب كان تامًّا) [٣] .

ويتضح الشرخ العميق الذي أحدثه الاستعمار الغربي في جسد الأمة الإسلامية ؛ إذا ما قمنا بالتعرف على التيارين :

(١) الإسلامي ـ وكان يقوده الزعيم المصري الشاب مصطفى كامل .

(٢) التغريبي ـ وكان يتزعمه لطفي السيد .

يقول الأستاذ أنور الجندي رحمه الله : (كان الخلاف بين لطفي السيد ومصطفى كامل عن الطريقة التي تُبعث بها مصر من جديد بعد أن فشلت الثورة العرابية خلاف بين مدرستين : يرى مصطفى كامل بعاطفته المشبوبة الجهاد الوطني المتصل بمفهوم الإسلام ، ويرى لطفي السيد الإصلاح الواقعي والعمل المرحلي المتدرج المرتبط

---

(١) د/ مراد ويلفريد هوفمان (يوميات ألماني مسلم) ص (٢٢٤ ـ ٢٢٥) ـ ترجمة د/ عباس رشدي العماري ـ مركز الأهرام بمصر ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

(٢) الإسلام كبديل ص ١٣٦ دار الشروق ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ـ تعريب عادل المعلم .

(٣) د/ محمد ضياء الدين الريس (النظريات السياسية الإسلامية) ص ١٠٨ شعبان سنة ١٣٧١ هـ ـ مايو سنة ١٩٥٢م ـ الأنجلو المصرية بالقاهرة .

بالفكر الغربي . ولقد كان لطفي السيد موقفه العنيف من الإسلام والعروبة واشتراكه في الوزارات التي عطلت الدستور .

وكانت مدرسة لطفي السيد هي وريثة الحركة الوطنية ، وهي البوتقة التي صهر فيها كرومر رجاله الذين حكموا وقادوا الحركة الوطنية بعد الحرب . ومن بعد كان الوفد وسعد وعدلي ثروت ، وهذا الطاقم كله من أتباع المدرسة الجديدة ولطفي السيد : مدرسة الالتقاء بالإنجليز من منتصف الطريق وتقبل كل ما يسمحون به ، والإيمان العقائدي الليبرالي الديمقراطي الغربي ، واعتباره أساس العلاقة والنموذج المقبول للحياة السياسية في مصر .

والمعروف أن النفوذ الاستعماري في العالم الإسلامي كله قد أزاح قادة المنطقة الذين وقفوا في وجهه ، وقدّم رجاله بعد أن شكل لهم « كادرًا » :

ففي مصر أزاح الحزب الوطني (مصطفى كامل ومحمد فريد والشيخ عبد العزيز جاويش) ، وقدّم لطفي السيد وسعد زغلول ، وفي الشام أزاحوا شكيب أرسلان ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب ، ودعاة العروبة المرتبطة بالإسلام ، ووضعوا قادة البعث ورجال الحزب القومي السوري ورجال الجامعة الأمريكية (بنيه فارس وميشيل عفلق وقسطنطين زريق) ، وفي تونس أزاحوا عبد العزيز الثعالبي ، وفي الجزائر لم يُمكنوا لعبد الحميد بن باديس أو رجاله أمثال الفضيل الورتلاني وغيره ، وفي المغرب حالوا بين علال الفاس ودعاة السلفية وبين أن يكون لهم نفوذ حقيقي) [1] .

ونقل الأستاذ أنور الجندي عن الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف وصفه للطفي السيد الذي خلع عليه أتباعه لقب (أستاذ الجيل) بأنه ما كان في حقيقته إلا شخصية متناقضة لا تنبثق من عقيدة ثابتة ، فقد كان الرجل يبجّل الديمقراطية ، ولكنه رضي

---

(١) أنور الجندي (معالم التاريخ الإسلامي المعاصر من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية) ص ٣٢٧ ـ دار الاصلاح بمصر سنة ١٩٨١م .

أن يكون الصعلوك لسياسة اليد الحديدية التي أعلنت في يوم من الأيام البطش بكل حق ديمقراطي للشعب ، وكان يبجّل الفلسفة وكان جهده فيها أنه ترجم كتاب (الأخلاق) لأرسطو وكتاب (الكون والفساد) عن اللغة الفرنسية [١] وكان يدعو إلى تمصير اللغة العربية ورضي أن يكون رئيسًا لمجمع اللغة [٢] .

وما زال العلمانيون يتشبّثون بمضمون كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ على عبد الرازق بالرغم من المناقشات الصاخبة التي دارت حوله منذ ظهوره بواسطة الصفوة من علماء المسلمين الأزهريين وغيرهم من كلية دار العلوم ، وأدت إلى بيان تهافته ومخالفته الصريحة لإجماع الأمّة ؛ لأنه تضمّن أفكارًا شاذة انفرد بها وحده بين آلاف علماء الشريعة منذ خلافة أبي بكر للرسول ﷺ إلى وقت صدوره (فقد أجمعوا على وجوب نظام الخلافة منذ وقف أبو بكر ﷺ خطيبًا معلنًا ضرورة إقامة الخلافة ؛ لضمان تنفيذ الشريعة الإسلامية ، وأقرّه جميع الصحابة ﷺ على ذلك ، وأجمع عليه المسلمون منذ ذلك الحين) [٣] .

لقد وصف الدكتور السنهوري رأي الشيخ على عبد الرازق بالرأى الشاذ ، وفي الرد عليه يقول : (وللرد على أقوال الشيخ علي يجب أن نحدد ـ أولًا ـ المقصود من « الدين » و« الدولة » ، فقد استعمل هذين الاصطلاحين في عرض حجته ، ويظهر لنا أنه يقصد بهما المعنى الأوروبي المعاصر ، أي أن الدولة هي مجموع سلطات ثلاث : التشريعية ، والقضائية ، والتنفيذية ، والدين هو القواعد التي تتعلق بعقيدة الفرد وعلاقته بربه وعباداته ، وعلى هذا الأساس يرى أن النبي ﷺ لم ينشئ دولة بالمعنى المعروف في العصر الحاضر .

---

(١) تبين أن هذين الكتابين لم يترجمها لطفي السيد وإنما تُرجما له أبان عمله مديرًا لدار الكتب المصرية ، ووضع اسمه عليهما ، وذلك بشهادة الأستاذ أحمد عابدين مدير دار الكتب فيما بعد .

(٢) نفسه ص٨٣ .

(٣) د/ عبد الرزاق السنهوري (الدين والدولة في الإسلام) ص ٢٩ ـ تقديم وتحقيق د/ محمد عمارة ـ هدية مجلة (الأزهر) شهر شعبان سنة ١٤٣٢ هـ .

والحقيقة أن فكرتي : الدين والدولة لم يكن التمييز بينهما بهذا الوضوح في عهد الرسول ﷺ وما قبله ؛ لأن النظم السياسية كانت تقوم ـ غالبًا ـ على اعتبارات دينية ، دون أن يغير ذلك من طبيعتها المدنية ، وهذا هو الذي يفسر لنا الطابع الديني الذي اصطبغت به النظم السياسية في الإسلام) [١] .

أما القول بأن رسالة النبي ﷺ قاصرة على أمور الدين فقط فهو قول غير صحيح للرسالة المحمدية ، (وإنكار دون دليل للحقائق التاريخية الثابتة ، ولئن صح أن النبي ﷺ كان في مكة نبيًا فحسب ، فقد كان في المدينة زعيم أمة ومنشئ دولة ، ولا ضير أن نقول : إنه كان ملكًا إذا أريد بهذه اللفظة أنه كان رأس الحكومة الإسلامية ووليًا على المسلمين في أمور دنياهم ، كما كان الهادي لهم في شئون دينهم) [٢] .

وكان الدكتور محمد ضياء الدين الريس قد فنّد موضوع الكتاب ، وقام بدراسة فحواه بمنهج نقد النصوص ؛ لترجيح احتمال أن الكتاب أصلًا ليس من تأليف الشيخ على عبد الرازق مستندًا إلى قول الشيخ محمد بخيت المطيعي ـ مفتي الديار المصرية حينذاك ـ : (علمنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له فيه إلا وضع اسمه عليه فقط ، فهو منسوب إليه فقط ؛ ليجعله واضعوه من غير المسلمين ضحية هذا العار ، وألبسوه ثوب الخزي والعار إلى يوم القيامة) [٣] .

وغلب على الظن أن الكتاب من تأليف « مرجوليوث » اليهودي الذي كان أستاذًا للغة العربية في بريطانيا ، ويكتب عن الإسلام بجهالة ونزعة حقد ، ومعروف أن الشيخ علي ذهب إلى بريطانيا وبقي بها نحو عامين [٤] .

---

(١) نفسه ص ٣٧ .

(٢) نفسه ص ٤٤ .

(٣) د / محمد ضياء الدين الريس (الإسلام والخلافة في العصر الحديث ـ نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم) ص ١٧٤ ـ منشورات العصر الحديث ـ بيروت ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

(٤) نفسه ص ١٧٦ .

وكان الشيخ عبد الرازق وأسرته ينتمون إلى حزب الأمة الذي كان مواليًا للإنجليز ، وكان متفقًا معهم في مبدأ كراهية الخلافة وتركيا والحملة عليها ، فأصبحت دعوة الشيخ منسجمة مع هذا المبدأ .

وإذا رأينا أحمد لطفي السيد وهو المتكلم بلسان حزب الأمة يدعو الناس إلى أن يتنكروا لواجب العروبة والإسلام والجوار ـ بل الإنسانية ـ ، ويمتنعوا عن مساعدة إخوانهم الليبيين والأتراك ؛ كراهية في الدولة العثمانية ـ دولة الخلافة ـ ؛ اتضح أن الدافع هو مهاجمة الخلافة ولكن مؤلف الكتاب غلا وشط ، فأراد أن يقوّض الخلافة من أساسها .

ومن الأسباب التي يستند إليها الدكتور الريس في أن الكتاب ليس من تأليف الشيخ عبد الرازق أنه لم يُعرف عنه أنه كان كاتبًا تمرّس بالكتابة ومرن على التأليف ، ولم يكتب إلا كتيبًا في اللغة العربية أو علم البيان ، وظل بعدها أربعين عامًا لم يكتب كتابًا آخر ، وبالنظر إلى أسلوب الكاتب يتضح أنه أسلوب رجل سياسي متمرن على المحاورة والخداع ، وهو أشبه بالإسلوب الإفرنجي ، وليس هو ـ أبدًا ـ الأسلوب العربي الصريح ، فضلًا عن أسلوب أحد الشيوخ المتعلمين في الأزهر ، فالغالب أنه كلام مترجم [١] .

❋ ❋ ❋

(١) نفسه ص ١٨٢ .

خصائص الأمة الإسلامية طبقًا لدستور المدينة

يستخلص الدكتور حسين مؤنس رحمه الله من دستور المدينة بعض خصائص الأمة الإسلامية ، هذا الدستور الذي انتهى رسول الله ﷺ إلى إقرار نصه بعد الشورى وتبادل الرأى مع أصحابة رضي الله عنهم : ففي ضوء قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال:٧٤] ، ويذكر أن كل العناصر المكونة للأمة الإسلامية الأولى تصفهم صحيفة المدينة بأنهم أمة واحدة من دون الناس (وتلك هي النقلة الكبرى في تاريخ أمة الإسلام : إلغاء القبليات والعصبيات ، واعتبار المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم « أمة من دون الناس » .. الإيمان بالله هو الرابطة ، والجهاد في سبيل الله هو الغاية ، ومن الرابطة والغاية تتكون الأمة ، إنها أمة البشر جميعًا من المؤمنين يربطهم بعضهم البعض الإيمان الواحد ، ووظيفتهم الجهاد في سبيل الله)[1] .

ويرى الدكتور حسين مؤنس أن المادة السابقة من دستور المدينة تؤكد معنى سلطة الأمة وواجبها نحو تنظيم أمورها وإقرار الأمن والقانون داخل نطاقها مهما كانت الظروف « وأن أيديهم عليه جميعًا ولو كان ولد أحدهم »[2] .

ويقول: (أجل .. الأمة وسلامة الأمة والحفاظ على السلام والأخلاق داخل الأمة مسئولية الأمة كلها ، حتى لو اختارت من يقوم بذلك باسمها ، فإن ذلك لا يعفيها من المسئولية الجماعية ، وواجبها هذا ملزم حتى حيال الأبناء ، وهذا هو الذي أراده أبو بكر رضي الله عنه عندما قال : « أيها الناس ، قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت ؛ فأعينوني ، وإن أسأت ؛ فقوموني » .

---

(١) د/ حسين مؤنس (دستور أمة الإسلام .. دراسة في أصول الحكم وطبيعته وغايته عند المسلمين) ص ١١١ ، ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨م .

(٢) نفسه ص ١٣٤ .

هنا يعترف أبو بكر بسلطان الأمة ، ويقول : إن اختيار الأمة إياه لا يعفيها من المسئولية ، فإذا هو أحسن القيام بما اختارته الأمة له ؛ فعليها أن تعينه ، وإن هو أساء أو عجز عن القيام بمسئولياته ؛ فللأمة أن تقومّه ، والتقويم هنا ـ بلفظ أبي بكر ـ بغير حدود ، فقد يصل إلى العزل ، أي : سحب الأمة تفويضها واسترداد حقها ؛ لتتصرف فيه كما تريد) .

وحينذاك يتساءل الدكتور حسين مؤنس : (أليست هذه أيها القوم هي الديمقراطية في حكم الأمة ، أرسى قواعدها الله ﷻ وطبقها رسوله ﷺ ، ثم نسيناها ومضينا الآن نتعلمها من غيرنا) ؟![1] .

ويضيف إلى ذلك أن المادتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة على أعظم جانب من الأهمية بالنسبة لطبيعة الجهاد المستمر التي ينبغي أن تميز الإسلام ، فإن من أكبر وظائف أمة الإسلام أن تستمر في جهادها بالحكمة والموعظة الحسنة حينًا وبالحرب حينًا ، حتى يصير الدين كله لله ، أو حتى يدخل أهل الأرض جميعًا في الإسلام ، ولهذا ؛ فإن الجهاد ينبغي أن يكون عملية مستمرة لا توقف فيها ، والمسلمون جميعًا ينبغي أن يشتركوا في هذا العمل ، فمن لا يقاتل يستطيع أن يعين بماله ، والأمة كلها مطالبة بأن تعوض من يضحّي بدمه في سبيل الله ، وفي ذلك تقول الصحيفة : « وإن كل غازية معنا يعقب بعضها بعضًا » أي أن كل غزوة أو سرية ينبغي أن تتبعها غزوة ، فتتعاقب الغزوات والسرايا ويستمر الجهاد ، وإن المؤمنين يفيء بعضهم على بعض ـ أي يعوّض بعضهم بعضًا ـ بما نال دماءهم في سبيل الله .. لأن أمة الإسلام ينبغي أن تكون كلها في المعركة .. من يقاتل يقاتل ، ومن لا يقاتل يعوض غيره عما يصيبه ، والقتال هنا يعني : الجهاد ، أي : العمل المستمر في سبيل نشر الدعوة الإسلامية[2] .

---

(١) نفسه ص ١٣٥ .

(٢) نفسه ص ١٤٠ .

الخلافة الإسلامية مناط الوحدة

إن عوامل الوحدة التي تربط بين الشعوب الإسلامية هي : الإيمان بإله واحد ، واتباع نبي واحد ـ وهو محمد ﷺ ـ ، واعتناق عقيدة واحدة ، والخضوع لشريعة واحدة مصدرها كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ، واستخدام لغة واحدة ، وبهذه العوامل تحددت عالمية الإسلام السياسية في إطار نظام الخلافة .

لقد صمدت الخلافة الإسلامية ـ وهي جوهر النظام السياسي الإسلامي ـ أمام محن عديدة على مدى التاريخ ، ولذلك ؛ فإنها ظلت صامدة في وجه أعتى المحن بعد انتقالها من المدينة المنورة إلى الكوفة ثم إلى دمشق فبغداد ثم إلى القاهرة ثم إلى القسطنطينية أخيرًا ، واهتزت أوروبا طربًا يوم أعلن إلغاء الخلافة العثمانية ؛ لأنها كانت الرباط الوحيد الذي يجعل للعالم الإسلامي وحدته ككتلة مستقلة ، يؤيد ذلك قول البروفسور فيشر ـ كبير مؤرخي إنجلترا في القرن العشرين ـ معلقًا على إلغاء الخلافة العثمانية : (إن آخر مظهر من مظاهر الحروب الصليبية قد انتهى بتوقيع معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣، ومن ذلك الوقت اختفى من الوجود العالم الإسلامي كحقيقة تاريخية ، وحلت محله وحدات سياسية إقليمية تسمى بمصر وسوريا ولبنان وفلسطين والسودان والجزائر ومراكش وتركيا إلخ . وتخضع كل من هذه الوحدات السياسية لنفوذ دولة أوربية) .

أجل ، إن الخلافة تعبر عن النظام السياسي الفريد العتيد للدولة الإسلامية من بين الأنظمة التي عرفها البشر ، فقد عاش المسلمون في ظلها بمأمن من التناثر والضياع ، وتحققت لهم في كنفها الوحدة والقوة ، ففي أعصار الأزمات والنكبات كانت تجمعهم راية الخلافة ، فوحدتهم وجمعت شملهم في عين جالوت وحطين ، والمنصورة وأمثالها ، وما نجح اليهود في دخول القدس عام ١٩٦٧ إلا على أشلاء الخلافة الإسلامية .

وقد دأب المستشرقين وتلاميذهم على شن الحملات على الخلافة الإسلامية ، وهي في حقيقتها حملات ظالمة ، فإن سجل هذه الخلافة في جملته (هو سجل نفخر به بين الأمم ، كان سجل حضارة إنسانية راقية في عصور كانت أوروبا تعيش فيها في حالة قريبة من الهمجية وكل الشعوب كانوا عبيدًا يحكمهم رجال الإقطاع أو رؤساء الكنيسة الذين كانوا يحاربون العلم والتقدم ، أما في العالم الإسلامي فعلى الرغم من اتساع حدوده وتعدد دوله ومع عدم الالتزام التام لبعض أحكام الإسلام ـ إلا أن الروح الإسلامية العامة كانت تسير عليه ، وهي روح تتضمن الرحمة والعدالة والأخوة الإنسانية والخوف من الله)[1] .

وما أحوجنا إلى إزالة أوضار التثقيف الغربي الذي أفسد البلاد والعباد ، وكان إفساده للعقول والقلوب أشد وأقسى ، فأدخل في مناهجنا التعليمية أفكارًا مضللة عن الخلافة الإسلامية بعامة والخلافة العثمانية بخاصة ، فصورها بصورة الاستعمار البغيض[2] ، وحرّك الغرب أذنابه كالشريف حسين وغيره مثيرًا فكرة نعرة التفرقة

---

(١) د/ محمد ضياء الدين الريس (الإسلام والخلافة في العصر الحديث) ـ ص ٢٨٠ منشورات العصر الحديث ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م .

(٢) ينظر كتاب الأستاذ محمد جلال كشك (ودخلت الخيل الأزهر) ناقش فيها بإسهاب الزعم القائل بأن مصر كانت مستعمرة تركية ؛ إذ استبعد التفسير الإسلامي الذي ينفي إمكانية قيام علاقة استعمارية بين دولتين إسلاميتين أو داخل المتحد الإسلامي ، وباستخدام التفسير العلمي الشائع للتاريخ الذي لا يقبل خلع صفة الاستعمار على دولة لم تحقق ثورتها الصناعية ، ولا استطاعت أن تبدأ مسيرتها البورجوازية ـ ولا كانت تجارتها تشكل نسبة يعتد بها في التجارة المصرية ، بل كانت تستورد من مصر أكثر مما تصدر لها وصادراتها لمصر خامات وصادرات مصر لها سلع مصنعة نسبيًا ، واستعانت حضارتها بالفنيين المصريين ـ سواء قبلنا هذا المفهوم أو ذاك يستحيل علينا وصف علاقة مصر وتركيا بعلاقة المستعمرة بالدولة الاستعمارية ، فلا رؤوس أموال تركيا كانت مستثمرة في مصر ولا صناعات تركية كانت تصدر منتجاتها إلى مصر ، ولا خامات مصرية تصدر إلى تركية بحكم العلاقات السياسية ، ولا علاقة دولة متقدمة بدولة متخلفة تفضي إلى استغلال الأولى للثانية دون الحاجة إلى إخضاعها بجيش احتلال ، ولا الانتقاص من شكليات الاستقلال السياسي أ/ص ٣٤ ـ ط الدار العلمية بيروت ـ ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧٢م) .

بين العرب والترك ، فهولوا من سوء استخدام بعض الباشوات لسلطاتهم إزاء العرب ـ فكانوا من حزب الاتحاد والترقي الذي ثبتت صلته بالماسونية ـ مما يرجّح وجود مؤامرة لبث الكراهية بين صفوف الأمة .

وكان الغرب كله يثيرها حربًا شعواء على الخلافة بعامة والخلافة العثمانية بخاصة حتى تمكن من استعمار أراضي المسلمين وانتهاب ثرواتهم ، وما نجح إلا بعد القضاء على شوكة المسلمين عندما قضى على الخلافة التي جعلت منهم صفًا واحدًا لا سيما في الأزمات والكوارث . فجددت أوروبا في العصور الحديثة الحروب الصليبية بدوافعها وأحقادها ، (من أجل ذلك كانت جميع الحروب الأوروبية التي شنت ـ فيما بعد ـ على الدولة العثمانية حروبًا دينية صليبية في أساسها ، ثم إن هذه العقلية الدينية استمرت إلى العصور الحديثة على الرغم من جميع أوجه التقدم الإنساني والتطور العقلي البشري ، واستخدام الأوروبيون كل الوسائل في القضاء على الخلافة العثمانية ؛ لأنهم تأكدوا بالدروس المستفادة من القرون الوسطى استحالة هزيمة المسلمين كوحدة تجمعهم في نظام سياسي واحد (أما غاية الدول الأجنبية من محاربة الدولة العثمانية فكانت كما يراها المبشرون أيضًا « لعل الله الرحيم يضرب الأتراك بسيف قدرته الجبارة »)[1] .

بمثل هذا الحقد الدفين عالج كتّاب الغرب تاريخ الخلافة العثمانية ، فأثاروا في نفوس شعوبهم الضغائن ، ولا زالوا يفعلون كلما سنحت الفرص ، وكان آخرها عندما اشترك الجيش التركي في المعارك العسكرية ؛ لإنقاذ المسلمين في قبرص من اليونان والقبارصة .

ويجب في تقييمنا لهذه الخلافة أن نذكر التاريخ المجيد لخلفائها الأوائل ، وأدوارهم في نصرة الإسلام ونشر لوائه (حتى كانت الدولة العثمانية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ـ وهي تمثل الإسلام ـ أقوى الدول في أوروبا ، وربما في

---

(١) د/ عبد السلام فهمي : محمد الفاتح ص ١١٥ ، ١٢٩ ط دار القلم ـ دمشق بيروت ـ ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

العالم ، ولا ننسى أسماء (محمد الفاتح) الذي استولى على القسطنطينية ، والسلطان (سليمان القانوني) الذي سارت جيوشه حتى وصلت أبواب (فيينا) وغيرها ، وظلت حاكمة لشرق أوروبا عدة قرون .

واستمر مجد الدولة حتى أوائل القرن التاسع عشر حين جاءت (الثورة الصناعية) في أوروبا فغيرت موازين القوى في العالم ، ولولا أن حكامها في العهود الأخيرة عجزوا عن تطويرها لتجاري روح العصر ، ولم ينفّذوا فيها مبادئ الإسلام : من الشورى والعدل والحرية والتفوق في العالم ؛ لظلت محتفظة بقوتها . ومع ذلك فإنها ظلت حصنًا ثابتًا ، ومنعت غزو الاستعمار الأوربي للبلاد العربية الإسلامية حقبة طويلة .

ولئن كان تصحيح المفاهيم لذوي النوايا الطيبة ممكنًا ، فإن الجدل مع فئة (الحداثيين) تكتنفه عقبة كؤود تحول بينهم وبين استيعاب أقوالنا ؛ ما لم يعالجوا أنفسهم من (سرطان العصر) : الحداثة ، (إذ تقوم الحداثة العربية المعاصرة على مبدأ عام ، هو كراهية التراث العربي الإسلامي ، وكراهية ما أنزل على الرسول ﷺ .. تحت مصطلح « محو القَبلية » أي : محو كل ما كان من قبل أيًا كان دينًا أو تراثًا ، أو ما يتصل بالدين ، والتراث ولو من بعيد ، فالحداثة بهذا المعنى اتجاه عميل يعمل ضد مقوّمات الأمة لحساب أعدائها من الصهيونية العالمية ، والصليبية العالمية ، والإلحاد العالمي ، حتى بعد أن خرّ عرشه الأكبر ـ الشيوعية ـ على رأس من بناه) [1] .



(١) د/ عبد العظيم المطعني (الحداثة .. سرطان العصر) ص ٣ ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ـ ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م .

لنتعلم من دروس التاريخ

ترتبط الرسائل في كثير من قضاياها بمحاولة تفسير التاريخ الذي يُعنى بقيام الحضارات وسقوطها، وتعنينا الحضارة الإسلامية التي مّرت بثلاث مراحل متميزة:

أ. حالها قبل انتشار الإسلام.

ب. حالها في القرون الأولى لانتشار الإسلام وصدق الالتزام به.

جـ. حالها بعد التكاسل في الالتزام بالإسلام (١) وبخاصة في العصر الحديث حيث انفرط عقد الأمة بانحلال رابطة الوحدة السياسية المتمثلة في الخلافة الإسلامية، وكانَ الأجدر بالمخلصين من قادتها وزعمائها وعلمائها وساستها رأب الصدع الذي أحاط بالخلافة العثمانية، وعلاج نواحي الضعف كمظاهر الاستبداد (٢) أو التخلي عن علوم العصر .. إلخ، وكلها آفات عارضة لا تمس جوهر عقائد الأمة وقيمها، مع الإفادة من تجاربنا السابقة؛ لتحقيق نهضة إسلامية، يقول الدكتور نعمان السامرائي: (لابد أن يتنامى وعينا ذاتيًا، وتنطلق طاقاتنا قناعة لا قصرًا، وعلاج أوجه التقصير كافة وإزاحة العوائق؛ كي نتحرك كأمة، كما تحركنا بعد انتشار الإسلام، أما أن نتحول إلى شراذم يحارب بعضنا بعضًا، ويكيد بعضنا لبعض، ويستقوي بعضنا بالعدو على أهله؛ فلن نصل إلى شيء) (٣).

ويرى أن الوحدة تمثل المرجعية كأمر أساسي، فيقول: (إن المرجعية أمر أساس ليس من الترف .. ومن لا يجد المرجعية؛ سوف يضر به الاختلاف، حتى يجعل من

---

(١) د/ نعمان عبد الرزاق السامرائي (نحن والحضارة والشهود) ص ١٣٣ ـ كتاب الأمة ـ قطر العدد ٨٠ ـ ذو القعدة سنة ١٤٢١ هـ.

(٢) يلاحظ أن الكواكبي مؤلف كتاب (طبائع الاستبداد) كان هدفه تحقيق العدل، ولم يطلب قط هدم الخلافة برمتها، وكذلك المعاصرين له كالشيخ محمد عبده والأفغاني.

(٣) د/ نعمان السامرائي (نحن والحضارة والشهود) جـ١ ص٥٥.

الأمة هيئة أمم يقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ويمكن القول بأن المرجعية هي السلك الذي يجمع حبات الأمة، فلا يجعلها تنفرط، فإذا سقطت المرجعية؛ فما الذي يجمع الأمة؟ [1].

ولكن يتبين للدارس لتاريخنا السياسي المعاصر أنه انخرط في سلسلة من (الانقلابات العسكرية) باسم (الثورات)، وسارت كلها في الطريق المعاكس، رافعة شعارات مضللة، كالقومية العربية في مصر، والبعث في العراق وسوريا.

وإذا عرضنا لحركة الجيش المصري في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م فإننا لم نهدف إلى المقارنة بينها وبين ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م، ولكن لبيان أن تلك الحركة كغيرها من الحركات العسكرية في المنطقة لم تحقق النهضات المتوقعة، بل لم تنفذ المبادئ التي أعلنتها عندما عرضت نفسها على الجماهير عند قيامها.

ولكي لا نستهلك طاقتنا في الدوران حول المقارنات، وبيان الإيجابيات والسلبيات؛ فضّلنا اتباع منهج فلسفة التاريخ الذي يعنى ببيان أسباب قيام الحضارات ونهضات الأمم وانهيارها، ونقطة البدء في بعض رسائلنا هي بحث كيف استطاع الاستعمار الغربي بعد محاولاته المستميتة في هدم الخلافة العثمانية (عبر نحو مائة مشروع) كيف حرص على إجهاض فكرة الجامعة الإسلامية التي كانت كفيلة بتحقيق وحدة الأمة مرة أخرى، حتى في إطار (خلافة ناقصة) كاقتراح الفقيه الدستوري الدكتور السنهوري!

---

(١) د/ نعمان السامرائي (نحن والحضارة والشهود) جـ١ ص٥٥.

وتوالت حركات الانقلابات العسكرية ؛ لترسّخ الانقسامات في الأمة ، وتُعمق أخدود التغريب ، وتُطوّح بثقافتها الإسلامية بعيدًا ، بل تعاديها وتحاربها أيضًا !

وغفل قادة تلك الحركات عن إحدى القواعد الأساسية في إقامة نهضة أصيلة حيث لخص الدكتور غليون هذه القاعدة بقوله : (لا تستطيع أمة أن تتمتع بإرادة ذاتية وقوة معنوية ورؤية نظرية وقاعدة معيارية ؛ إلا بقدر ما تنجح في تأسيس « مرجعية ثابتة » عميقة الجذور ، مرتبطة بتاريخها أو بتجربتها التاريخية ، ولا تستطيع جماعة أن تبني نشاطها أو تؤسس وجودها على (مرجعية خارجية) مستمدة من تاريخ آخر ، ومستقاة من ثقافة أخرى ، أي : لا تستطيع أن تجعل من « رمز استبعادها وتهميشها » مرجعًا لنهضتها الجديدة وتغلبها)[1] .

إن الدرس الذي نتعلمه من تجاربنا التاريخية أن العالم الإسلامي لا ينهض إلا برسالته التي وكلها إليه مؤسسه ﷺ والإيمان بها والاستماتة في سبيلها ... وهي نفس الرسالة التي حملها المسلمون في فتوحهم الأولى ، والتي لخصها أحد رسلهم في مجلس يزدجرد ملك إيران بقوله : « إن الله ابتعثنا ؛ لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » .

ويعلق الإمام أبو الحسن الندوي رحمه الله على ذلك بقوله : (رسالة لا تحتاج إلى تغيير كلمة وزيادة حرف ، فهي منطبقة تمام الانطباق على القرن العشرين انطباقها على القرن السادس المسيحي ، كأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خرج المسلمون من جزيرتهم ؛ لإنقاذ العالم من براثن الوثنية والجاهلية)[2] .

---

(١) د/ غليون (اغتيال العقل) ص٢٢٠ نقلًا عن د/ نعمان السامرائي (نحن والحضارات والشهود) جـ١ ص ٩٢-٩٣ .

(٢) أبو الحسن الندوي (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) ص٢٦٧ ـ دار الكتاب ـ بيروت ط٧ ـ ١٣٧٨هـ ـ ١٩٦٧م .

التيارات الفكرية السائدة بمصر
في أواخر القرن التاسع عشر

يمكن تلخيص الدراسة العميقة المكثفة التي أجراها الدكتور علي شلبي بمصر في أواخر القرن التاسع عشر إلى التيارات الآتية :

أولًا : التيار الإسلامي :

وكان يربط الحركة الوطنية المصرية بحركة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها الأفغاني ، وحاولت إحياء الخلافة الإسلامية ، كما ظهرت في مصر حركة دفاع عن الإسلام ارتبطت بردود الفعل التي أثارها الاحتلال البريطاني وزحف المؤثرات الغربية ، وقد تمثل هذا الاتجاه بوضوح في مصطفى كامل والحزب الوطني حينذاك ، الذي كان يربط مصر بالدولة العثمانية على اعتبار أنها أقوى الدول الإسلامية في ذلك الوقت[١] .

ثانيًا : تيار الفكرة العربية :

ويعنى بتوحيد البلاد العربية ، ولكن عرقله التيار الإسلامي المرتبط بحركة الجامعة الإسلامية ، ثم ظهر مرة أخرى بواسطة جمعية مصر الفتاة عند نشأتها حيث دعت إلى الوحدة العربية[٢] .

ثالثًا : التيار الشرقي :

وقد ارتبط هذا التيار بالتيار الإسلامي حيث يتخذان من العقيدة الإسلامية أساسًا لقيام وحدة إسلامية شرقية ؛ إذ اهتمت مصر عقب الحرب العالمية الأولى بأحداث سوريا وفلسطين والريف وبرقة من قبيل التضامن الديني ، ويدل على أن بعض المصريين رأوا في أواخر العشرينيات احتمال اتحاد البلدان الشرقية من اليابان إلى

---

(١) د/ علي شلبي (مصر الفتاة ودورها في السياسة المصرية ١٩٣٣ـ١٩٤١م) ص٤٩ .

(٢) نفسه ص٥٠ .

المحيط الأطلنطي ، وهو الاتجاه الذي عبرت عنه مجلة (الرابطة الشرقية) ، ورغم أن عددًا كبيرًا من المصريين أبدوا حماسة لأن تلعب بلادهم دورًا شرقيًا إسلاميًا إلا أن هذا التيار ظل غامضًا ومختلطًا لفترة طويلة[1] .

رابعًا : التيار الليبرالي :

وجاء نتيجة تأثر بعض المصريين بثقافة وحضارة الغرب ، وآمنوا بضرورة اتخاذ المجتمع الأوروبي مثلًا يُحتذى ، وقد عبر عن هذا الرأي قبيل الحرب العالمية الأولى كل من لطفي السيد وقاسم أمين وطه حسين[2] .

كذلك اعتنقوا المفهوم الأوروبي العلماني الخاص بالدولة القومية وتغليب الوطنية المحلية وولائهم لها حيث صارت عندهم أساسًا للعمل السياسي بدلًا من الولاء الإسلامي الواسع ، ولما كان الأساس الثقافي الذي قام عليه الاتجاه الليبرالي العلماني أوروبيًا ، (فمن الطبيعي أن يكون زعماء هذا التطور السياسي أقل عداءً لإنجلترا)[3] .

كذلك ترتب عن ذلك فصل الدين عن السياسة ، وقد عبر عن هذه الآراء في أوائل القرن العشرين كل من أحمد فتحي زغلول وأحمد لطفي السيد ، وفي خلال العشرينيات والثلاثينيات أحمد أمين وعباس العقاد وتوفيق الحكيم وإبراهيم المازني وطه حسين ، (وحاولوا أن يجعلوا لمصر شخصية ثقافية متميزة خاصة بها ، فزوَّدوها بأفكار قومية تستند إلى أمجاد الحضارتين الفرعونية والعربية)[4] .

وأشار الدكتور علي شلبي في نهاية دراسته لتلك التيارات إلى أن النظام الليبرالي الذي طُبق في مصر في أعقاب دستور ١٩٢٣م كان نظامًا سياسيًا لا يتصل بماضي البلاد أو حاضرها ، ففشل ذلك النظام لأسباب عديدة[5] .

---

(١) نفسه ص٥٠ .

(٢) ، (٣) ، (٤) نفسه ص٥١ .

(٥) نفسه ص٥٣ .

ثم قال في الختام : (ومهما تكن أسباب فشل التجربة الليبرالية في مصر ، فقد ظهر لذلك رد فعل إسلامي قوي ، ظهر واضحًا حين نُشر كتاب (الشعر الجاهلي) لطه حسين ، (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق ؛ لما تضمناه من آراء أثارت رد الفعل القوي ، وكما مهد ذلك للهجوم على المؤثرات الغربية على اعتبار أن هذين الكتابين بفعل تأثيرهما على المجتمع المصري ، وفي ذلك الوقت قام صراع بين التقليديين والعصريين ، وكان لآراء الأفغاني ومحمد عبده والتي قام بشرحها وتفسيرها رشيد رضا الأثر الأكبر من نشأة الاتجاه إلى الدفاع عن الإسلام ، وتفسيره الدين الإسلامي تفسيرًا قوميًّا متطرفًا في الحياة السياسية المصرية وفي التكوين الثقافي والروحي للشباب ، ومن ثم ظهور عدد كبير من الجمعيات الدينية في أواخر العشرينيات جعلت هدفها الدفاع عن الدين والقومية في نفس الوقت ، وكانت النتيجة لهذا المد الديني ظهور تشكيلات دينية سياسية كالإخوان المسلمين ومصر الفتاة فيما بعد)[1] .

ولحرصنا على الإتيان بنص كلام الدكتور على شلبي ـ التزامًا بالأمانة العلمية ـ غير أن لنا تعليق ينحصر في ملاحظتين :

الأولى : أن الاتجاه الإسلامي لم يظهر كحركة رد فعل للاتجاه الليبرالي ، بل إنه امتداد للتيار الإسلامي منذ الأفغاني والسلطان عبد الحميد ومصطفى كامل الذين دعوا إلى الجامعة الإسلامية ، وهذا هو التيارالغالب في المجتمع المصري أصلًا ، وأتى التيار الليبرالي مع الغزو العسكري والثقافي الغربي كعامل طارئ ـ بل شاذ ـ ، ولهذا ؛ لم يلق ترحيبًا من القاعدة الجماهيرية ولا من علماء الإسلام بالأزهر ودار العلوم أو (جمعية الشبان المسلمين) أو جماعة (أنصار السنّة المحمدية) و(شباب محمدﷺ) .

---

(١) نفسه ص٥٣ .

الثانية : إن وصف تفسير رشيد رضا رحمه الله بالتفسير القومي المتطرف غير صحيح ، ويعوزه الحكم الصائب الذي لا يصدر إلا عن مطّلع على الثقافة الإسلامية في مصادرها الأصلية ، ونأسف أن الدكتور شلبي يعوزه ذلك ، فاكتفى بالوصف المكرر الجاهز الذي يستخدمه التغريبيون كطابع البريد على غلاف يجهلون ما بداخله ، ولو تجشم عناء البحث بالمقارنة بتفسيرات علماء الإسلام كالطبري والقرطبي وابن كثير وغيرهم ؛ لاتّضح أن تفسير (المنار) لا يختلف عنهم ، وهو يتابع بعدهم الاتجاه السلفي في التفسير (لا القومي المتطرف) الذي وصفه به الدكتور شلبي !

وعلى أية حال ، فإن الاستعراض التاريخي للتيارات المؤثرة في مصر منذ الحرب العالمية الأولى ؛ تجعلنا أكثر صوابًا في الحكم على ما يسري الآن على الساحة السياسية عقب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م ، إذ أن نتيجة الاستفتاء في مارس ٢٠١١م (وبأغلبية ٧٧٪) تدل على الحنين الجارف لشعب مصر للعودة إلى أحضان الإسلام من جديد ، بعد انتزاعه بواسطة الليبراليين والتغريبيين وحركة الانقلاب العسكري في يوليو٥٢ الذي استمدَّ منه شرعيته النظام البائد وسار على طريقه خربًا للإسلام وأهله ، تحت لافتة الإرهاب طاعةً لأوامر السادة الأمريكان بواشنطن ، كما يفسر لنا ـ أيضًا ـ انزعاج التيار الليبرالي حيث أسفرت نتيجة الاستفتاء عن فشله الذريع في إقناع القاعدة الشعبية المسلمة العريضة بآرائه الصادمة لفطرتها السوية ، فأخذ يلطم الخدود ويشق الجيوب كالثكلى ؛ لأنه على يقين بأن الصحوة الإسلامية التي بذل في صد موجاتها وعرقلة تقدمها جهودًا خارقة منذ السبعينيات هذه الصحوة قادمة بخطى وئيدة واثقة ، وستعمّ بركتها الجميع ـ بإذن الله تعالى وعونه ـ ، فلا راد لقضائه ، ولا مانع لعطاياه ونصره لعباده الموحدين المخلصين الصابرين .

إن الدراسة الفاحصة المتتبعة للتيارات في العالم الإسلامي تقرر :

(خسران المحْدَثين بشقيهم الليبرالي والقومي المواجهة مع الغرب الاستعماري ، أو المهيمن ، ومع مجتمعاتهم في نفس الوقت ، وصعود نجم الأصولية والإسلاميين التي كانت حتى ذلك الوقت مقتصرة على الجوانب الاجتماعية والأخلاقية بعيدًا عن العمل المباشر والاهتمام بشؤون السياسة اليومية)(١) .

ومن أقوى الأدلة المستمدة من أطراف العالم الإسلامي :

أن الإسلام لا شك عاد بقوة إلى آسيا الوسطى ، بعد أن كان هناك نحو ١٦٠ مسجدًا فقط في أنحاء جمهورياتها ذات الأغلبية المسملة تاريخيًا في بداية التسعينيات ، وصل عددها خلال عشر سنوات بعد الاستقلال إلى عشرة آلاف مسجد كما تضاعفت أعداد المدارس الدينية (٢).

لقد ظل التيار الإسلامي ماضيًا قدمًا في طريقه بالرغم مما لاقاه من الأهوال ؛ لأنه الامتداد الطبيعي لتاريخ الأمة طوال القرون السابقة ، وكان حريصًا على الاستمساك بسنن الله ﷻ في التغيير إلى الأفضل ، ولأنه التيار الوحيد الذي يملك التأثير (والوحيد الذي يملك التغيير من الباطن بإيقاظ الضمائر وتحريك القلوب ، وهذا هو المطلوب بالضبط في هذه المرحلة التاريخية .. مع النفخ في موات القيم ؛ لتصبح النفوس غير النفوس ، وهذا هو الشرط الوحيد الذي شرطه علينا ربنا ﷻ ليغيّرنا .. أن نتغير من داخلنا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] ، وقد أخذ اليسار الماركسي فرصته على مدى عشرين عامًا ، وطبق براجه وفرض نظرياته وانتهى بنا إلى هزيمة ٦٧ وإلى الخراب الاقتصادي ...

---

(١) خالد منصور (خلف الستار ، وجه آخر لأفغانستان) ـ كتاب اليوم ـ العدد رقم ٥٤٩ ـ نوفمبر ٢٠١٠م ص٥٩ .

(٢) نفسه ص١٦٣ .

واليمين البائد في العصر الملكي عشنا رحلته الطويلة القديمة حتى حريق القاهرة وشهدنا فشله .. لذلك (لم يبق إلا التيار الإسلامي) والأمل أن تفرز الصحوة الإسلامية قيادة تمثل الوسط العدل ، وتلتقط بحسها المرهف روح العصر التي تتمثل في انطلاقة العلم واندفاع العقل ، وتزاوج بينها وبين القيم الإسلامية الرفيعة ، والأخلاق الإسلامية الأصيلة والتوحيد الإسلامي الخالص [1] .

❋ ❋ ❋

(١) د/ مصطفى محمود (سقوط اليسار) ص٨٨ بتصرف - دار المعارف بمصر ط ٢ سنة ١٩٩١م

التيارات السياسية عقب إلغاء الخلافة عام ١٩٢٤م

صُدمت الشعوب الإسلامية عندما أُلغيت الخلافة العثمانية مما يدل على تشبثها بها وحرصها على بقائها بالرغم من أمارات الاستبداد في أواخر مراحلها ، وعقدت المؤتمرات للمطالبة بإعادتها ، وظهرت تيارات سياسية مختلفة بين صفوف العرب وهي :

- تيار يعتنق فكرة إيجاد خلافة عربية تقوم مقام الخلافة التركية ، ويمثّله عبد الرحمن الكواكبي .

- تيار يرى بإبقاء الخلافة في آل عثمان ، ويرمي إلى وحدة إسلامية شاملة ، ويمثله جمال الدين الأفغاني .

- وتيار يرى إبقاء البلاد العربية مرتبطة بالدولة العلية بنظام اللامركزية .

وأخيرًا كان هناك رأي شاذ يرمي إلى استقلال البلاد العربية وتخليصها من حكم الأتراك ، وتزعّمه نصارى الشام أمثال : يعقوب صروف ، وشبلي شميل ، وفرح أنطون ، وفارس نمر [1] .

ويتبين من هذه الاتجاهات حرص الأغلبية على نظام الخلافة كرباط سياسي جامع للأمة يحقق شخصيتها ، ويُبقي على هيبتها في مواجهة الدول الأخرى .

ويتفق الذين يؤرخون للإخوان المسلمين (أن سببًا من أهم أسباب تكوين الجماعة ؛ كان « إلغاء الخلافة » من جانب الحكومة التركية سنة ١٩٢٤م ، وما استتبع ذلك من فصل الدين عن الدولة من جانب أتاتورك وتزايد الاتجاهات العقلانية في مصر والتي سببّت معارك متعاقبة خلال العامين التاليين : معركة كتاب « الإسلام وأصول الحكم » الذي وضعه الشيخ على عبد الرازق والصادر عام ١٩٢٥م ، تلتها معركة كتاب « الشعر الجاهلي » الذي ألفه طه حسين والصادر عام ١٩٢٦م) [2] .

---

(١) د/ محمد بديع شريف (الصراع بين الموالي والعرب) ص ١٧٧ـ٢٠٤ .

(٢) د/ يونان لبيب رزق (الأحزاب السياسية في مصر ١٩٠٧م ـ ١٩٨٤م) ص٩٨ كتاب « الهلال » بمصر ديسمبر سنة ١٩٨٤م العدد ٤٠٨ .

والدارس لتاريخ تلك المرحلة يستخلص تغلب التيار الشاذ الذي خالف إجماع الأمة في ضرورة إعادة نظام الخلافة ، ولا نستبعد انتماء الشخصيات المعارضة إلى المحافل الماسونية الخاضعة لسيطرة اليهود ، وفي ظل الحكم الاستعماري للبلاد العربية والإسلامية تغلب هذا التيار ، وظل يناوئ أية حركة إسلامية تريد العودة بالأمة إلى مسارها الصحيح .

وقامت حركات الانقلابات العسكرية في بلاد العرب والمسلمين ؛ لتسهم في تعميق الأخدود الذي فصل بين بلادهم ، وتنزع الأمة من حضن الإسلام إلى حضن التغريب ، بينما كان واجب القائمين بتلك الحركات (الثورية) و(النهضوية) علاج ما أحل بالأمة من مصائب ، وأخطرها : (هدم الخلافة) ؛ لتستأنف خط سيرها الطبيعي كما أملاه عليها تاريخها وحضارتها .

❋ ❋ ❋

كلمة عن الخلافة العثمانية [1]

إذا التزمنا بمنهج الدراسة التحليلية لتاريخ الخلافة العثمانية ؛ فإنه ينبغي التدقيق في بحث عوامل ثلاثة تشكل أعمدة هذه الدراسة ، وهي :

أولًا : الالتزام بمنهج التصور الإسلامي في نظرته للتاريخ ، حيث تتشكل أحداثه ، وتمضي حركته وفق قاعدتي :

أ. المد والجزر :

إن المد والجزر في تاريخ الإسلام وأحوال المسلمين تابعان للمد والجزر في الإيمان وقوة معنوياتهم التي تنبثق من الدين [2] .

ب. حقيقة الدفع بين أهل الحق وأهل الباطل :

قال تعالى : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ مُبْتَلِيكُم﴾ [البقرة: ٢٥١] ، أي : لولا أن الله يدفع عن قوم بآخرين ، كما دفع عن بني إسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود ؛ لهلكوا .. كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] [3] .

ومثل هذه النظرة تحذرنا ، علميًا وإسلاميًا من اقتفاء أثر كتابات المستشرقين الذين نظروا إلى الخلافة نظرة حاقدة متحيزة سببها : ما ورثوه من آبائهم وأجدادهم عن الدور

---

(١) يسرنا التنويه بالموسوعة التي أصدرها الدكتور عبد العزيز الشناوي تحت عنوان (الدولة العثمانية .. دولة إسلامية مفترى عليها) في ثلاثة أجزاء ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٤ م .

(٢) أبو الحسن الندوي (المد والجزر في تاريخ الإسلام) ص ٩٢ ، الشركة المتحدة بيروت ، دمشق دار القلم ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م .

(٣) تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٣٠٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .

التي لعبته هذه الخلافة في تاريخ أوروبا ، فقد كانت جيوشها بين كرٍّ وفرٍّ حتى طرقت أبواب « فينا » إلى جانب خطأ وضع الخلافة في مصاف الدول الاستعمارية وتشبهها بها .

ولعلاج مساوئ هذه النظرة : على الباحث أن يتحرر من نظريات المستشرقين وآرائهم ؛ لأنهم مهما زعموا من حيادية في البحث فإن بصمات الحقد والعداء لا بد وأن يظهر أثرها في مؤلفاتهم .

على الباحث ـ إذن ـ البدء في التصور الإسلامي للخلافة كنظام للحكم ورابطة دينية وسياسية وحّدت المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم في إطار واحد ، فأوجدت روح التضامن بينهم ، وميزتهم (كأمة إسلامية) بصرف النظر عن تضارب المصالح أو ظهور الاختلافات التي لا بد منها بين عناصر الأمة .

والدارسة ـ طبقًا لهذا المنهج ـ تقتضي بحث ما آلت إليه الخلافة العباسية بعد انحلال رابطتها على أثر سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ ، مع استمرارها في شكل ولايات متناثرة ـ حافظت على اسم الخلافة ـ ثم قيامها مرة أخرى على أسس قوية بواسطة الأتراك العثمانيين الذين قاموا بفتح القسطنطينية ـ العاصمة الشرقية للدولة الرومانية ـ بواسطة محمد الفاتح . ولا ينبغي ـ أيضًا ـ إغفال الدور الكبير الذي قام به السلطان عبد الحميد الثاني في المحافظة على الخلافة في وجه أعدائها .

يقول الدكتور الريس ﵀ : (إن تاريخ الخلافة الإسلامية في الدول التي تفرعت عنها كانت سلسلة من أمجاد ، وحلقات من انتصارات ، ففي عهودها حدثت المواقع المجيدة : في اليرموك والقادسية ونهاوند وأجنادين وبابليون والقيروان وغيرها ، ثم مواقع حطين وعين جالوت والمنصورة وأمثالها . فليت لنا اليوم جزءًا من قوة أو أمجاد الخلافة الإسلامية والدول الإسلامية التي كانت مرتبطة بها أو مماثلة لها) [1] .

---

(١) د/ محمد ضياء الدين الريس (الإسلام والخلافة في العصر الحديث .. نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم) ، ص ٢٨٤ ، منشورات العصر الحديث ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م .

ويحدثنا التاريخ بأن الخلفاء أو السلاطين العثمانيين الأوائل أبلوا بلاءً حسنًا في رفع شأن دولتهم وفي نصرة الإسلام ونشر لوائه .. وظلت الخلافة مزدهرة ومؤثرة في سياسة العالم في القرن الخامس عشر والسادس عشر ، فكانت الدولة العثمانية ـ وهي تمثل الإسلام ـ أقوى الدول في أوروبا كلها ، وربما العالم [١] .

أما الانهيار .. فقد ظهرت بوادره في القرن الأخير وقبل إعلان سقوطها بواسطة حركة الانقلاب العسكري بواسطة أعضاء جمعية (الاتحاد والترقي) ، حيث أسهم أعضاء هذه الجمعية بالقسط الوافر في إنهائها ، وثبت أنهم لا ينتمون إلى السلالة التركية العثمانية ولكنهم خليط من أجناس وأديان وقوميات مختلفة ، وقاموا بحركة الانقلاب ضد السلطان عبد الحميد بسبب رفضه السماح لليهود بشراء أراضي فلسطين [٢] .

وفي هذا الصدد كتب السيد رشيد رضا في مجلة (المنار) آنذاك يقول : (وإن ملاحدة الترك هم الذين يبثون الدعوة إلى تشويه الدولة العثمانية ، ويبثون الدعوة إلى الإلحاد ، ويحرضون الزنادقة والمرتابين على ترك الإسلام واحتقار تشريعه وآدابه ، ولبس قلانس الإفرنج ، وإثارة الغيرة القومية والعصبية الجنسية .. وقلما ثبت لهؤلاء الملاحدة نسب صحيح في الشعب التركي الذي صار عريقًا في الإسلام ، بل هم أوشاب منهم الروسي والرومي والبلقاني واليهودي الأصل ، وقد سلطوا على إفساد هذا الشعب

---

(١) نفسه ، ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٢) والآن وبعد نشر مذكرات السلطان عبد الحميد وظهور كثير من الوثائق التاريخية فضلًا عن واقع أحوال المسلمين بعد كسر شوكة الخلافة ومعرفة الأسرار وراء حركة إلغائها ـ الآن ينبغي إنصاف هذا السلطان المفترى عليه وكتابة تاريخ الخلافة العثمانية أيام سلطته بأمانة وصدق لمحو آثار الأكاذيب التي أحاطه بها المؤرخون الغربيون من اليهود والنصارى ، لدوافعهم التي لم تعد خافية .

ولمناسبة حديثنا عن الخلافة فإن الرجل كان بحكم موقعه يدرك ـ تمامًا ـ أهمية هذا النظام السياسي الإسلامي وخشية الدول الأوروبية منه : قال في مذكراته : (ولكن الدول الكبرى التي تحكم شعوبًا مسلمة عديدة في آسيا وإنجلترا وروسيا ترتعد من سلاح الخلافة الذي أحمله ، لهذا السبب استطاعوا الاتفاق على إنهاء الدولة العثمانية) ، ص ٦٧ من مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة وتقديم د . محمد حرب عبد الحميد ، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٨م .

بدعاية العصبية الجنسية وترجمتهم للقوانين الأوروبية ولبسهم البرنيطة ، وأن السواد الأعظم من الترك يمقتون هؤلاء الكماليين أشد مما كانوا يمقتون إخوانهم الاتحاديين) [١] .

لذلك ؛ يقتضي البحث الاستناد إلى المصادر الإسلامية التي أُبعدت عن عمد في الكتب المدرسية ، وقُدمت بدلًا منها مصادر الدوائر الاستشراقية وتلاميذها .

ونقصد بالمصادر الإسلامية : الكتب التي ألفها العلماء المسلمون المعروفون بالصدق والنزاهة العلمية ، والذين نذروا أنفسهم ؛ لخدمة الحق وتصوير التاريخ بمحاسنه ومساوئه [٢] .

ينظر نقّاد الخلافة من زاوية واحدة ويتجاهلون العوامل الآتية :

١ . روح العداء الصليبي واليهودي نحو الخلافة الذي ظل حيًّا لم يخمد ، وظهر في أشكال المعارك العسكرية الضارية والغزو الثقافي المتواصل .

والقارئ لكتاب « الدولة العلية » كمثال يلاحظ أن الدول الأوروبية كثيرًا ما فرضت الحروب على الدولة العثمانية فرضًا ، وكان معظم السلاطين يتفادون الحرب لا سيما السلطان عبد الحميد .

---

(١) ينظر كتاب الأستاذ أنور الجندي (تاريخ الصحافة الإسلامية) ، الجزء الأول ، المنار ص ١٤٩ ، دار الأنصار بالقاهرة ، سنة ١٩٨٣م .

(٢) ونقصد مؤلفات أمثال الأفاضل : مصطفى كامل بكتاب (المسألة الشرقية) ، ومحمد فريد (تاريخ الدولة العلية) ، مصطفى صبري (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة ، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعبادة المرسلين ـ الجزء الرابع) ، د. محمد ضياء الدين الريس (الإسلام والخلافة في العصر الحديث ، الشرق الأوسط في التاريخ الحديث) .

الموسوعة التاريخية للأستاذ أنور الجندي ومقالاته عن الخلافة العثمانية ، موسوعة الدكتور عبد العزيز الشناوي (الدولة العثمانية ـ دولة إسلامية مفترى عليها) في ثلاثة أجزاء .

وما كتبه عن الخلافة العثمانية أمثال الأساتذة : د . فهمي الشناوي (لا سيما بمجلة المختار الإسلامي) ، والأستاذ سعيد الأفغاني ، والأستاذ فتحي رضوان ، والشيخ رشيد رضا ، والأمير شكيب أرسلان . وينظر ـ أيضًا ـ مذكرات السلطان عبد الحميد التي نشرت حديثًا وصححت كثيرًا من المفاهيم بعد أن فضحت التاريخ المزور في العصر الحديث .

٢. التفوق العسكري الغربي الذي أخذ يعمل لتحقيقه منذ صدمة الغرب لهزيمته في الحروب الصليبية ، فعاد بروح الانتقام والتصميم ، فطوق العالم الإسلامي بالسيطرة على المحيطات (إنجلترا والبرتغال).

٣. لم يحقق أتاتورك أغراضه إلا بكسر إرداة الجماهير المسلمة التي خدعها في البداية ثم تنمر عليها ، فقمع ثورات المسلمين وعلمائهم بأشد أنواع القوة والقسوة ، وتاريخ حركة الجهاد الإسلامية بقيادة الشيخ سعيد النورسي يشهد بذلك .

وقام أتاتورك بقمع الحركات الإسلامية الشعبية بالقوات العسكرية والمحاكم الثورية الظالمة التي لا تحمل من حقيقة (المحاكم) إلا الاسم ؛ لأنها كانت تنفذ أحكامًا صدرت قبل انعقادها !!

٤. هذه العوامل وغيرها ينبغي أن تحفزنا إلى دراسة ذلك كله بمنهج التفسير التاريخي . وبالنظر إلى أحداث التاريخ بمنظار (التدبر القرآني) فإننا نرى استمرار تدافع الحق والباطل ، ولكي نمسك بخيوط التدافع في عصرنا الحاضر ، لا بد أن نبدأ بالغزو الغربي وموجات الاصطدام بالشرق الإسلامي . وأيضًا فإن (النكبة) التي سببها أتاتورك ما زالت تنفجر ؛ لتهدم ولا تبني .

٥. البحث عن المخطوطات المدفونة في المكتبات الشرقية والمنهوبة في المكتبات الغربية واتخاذها كمصادر جديدة بدلًا من الحلقات المفرغة الدائرة في فلك نفس المصادر المعتادة والتي روجها أعداء الخلافة العثمانية [1] .

---

(١) ومما يجدر ذكره بهذا الصدد أن في إستانبول وهي العاصمة التي لم يتم غزوها وبالتالي لم تتم سرقة مخطوطاتها وآثارها من قبل المستعمرين .. ففي تركيا حوالي مليون مخطوطة ومائة مليون وثيقة !!

ينظر استطلاع سليمان الشيخ عن (إعادة كتابة التاريخ الإسلامي في مركز الأبحاث بإستانبول) بمجلة العربي العدد ٣١١ أكتوبر سنة ١٩٨٤م .

العداء الأوروبي الصليبي

لا يمكن إغفاء العوامل الآتية في أي بحث يريد النفاذ إلى قلب الحقيقة :

الهجمات المتلاحقة من الدول الأوربية بما تحمله من ضغائن للإسلام ودولته المتمثلة في الخلافة العثمانية حيث لم تفتر المعارك العسكرية في ميادين القتال [(١)] ، وإثارة الفتن والقلاقل في داخل البلاد ، وإذا حللنا عوامل الحركة العدائية ؛ نجد أكثرها وضوحًا في التعصب الصليبي والعداء اليهودي .

أما عن الأول ، فإن الأمير شكيب أرسلان يطالعنا بمقاله المسهب في كتاب (حاضر العالم الإسلامي) على خفايا مذهلة بعنوان : « التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي ؟ » فقد لخص فيه مضمون كتاب (المسيو دجو فارا) [مائة مشروع لتقسيم تركيا] .. أجل مائة مشروع تقدم به أوروبيون من أجناس مختلفة ومناصب ومهن متباينة ، منهم الأمراء والعسكريون والملوك ورجال الكنيسة . ومما يثير الدهشة أن منهم الفيلسوف ليبنتز صاحب المشروع الرابع والأربعون عام ١٦٧٢م ، وقد أعده بغرض محو تركيا ، وظل يحرره أربع سنوات وقدمه باللغة اللاتينية إلى لويس الرابع عشر ملك فرنسا ، وجاء ضمن اقتراحاته إنه « إذا انتزعت مصر من يد الأتراك آل أمرهم إلى البوار » [(٢)] .

والقارئ لرسالته المتضمنة مشروعه يرى فيها ـ كما يصفها عبد الفتاح عبد المقصود ـ (صورة مكتملة المعالم ، واضحة الظلال جلية الأضواء لأحلام الغرب الصليبي التي تداعب خيال الملك الفرنسي الكبير .. يستهلها الفيلسوف فيدعو العاهل الفرنسي « مولاى : الملك المسيحي » ويختمها مثيرًا لجشعه الذي يشبعه المشروع المطروح ،

---

(١) يقول باول شمتز : (تلك الخلافة أجهزت عليها الدول التي قادت الحروب الصليبية) ص٢٦، من كتاب (الإسلام قوة الغد العالمية) .

(٢) شكيب أرسلان (حاضر العالم الإسلامي) ، ج٣ ، ص ٢٦٣ .

فيقول : (.. وإنه لمشروع ميسور التحقيق ، خليق بأن يعيد الطريق تحت أقدام الفاتحين الغزاة ؛ لاستعادة أمجاد الإسكندر الأكبر !!) .

وفي تعليله « غزو مصر » يقول : (لأنها وكر الدين الإسلامي ، وملاذ المسلمين الأشرار)[1] .

وحتى « فولتير » .. الذي اشتهر بالإلحاد والسخرية من الدين ، كان هو أيضًا ينظم الأشعار الحماسية لمقاتلة الترك[2] .

وقال نابليون : (من ملك القسطنطينية أمكنه أن يسود الدنيا) ، ووصفها مرة أخرى بأنها (مفتاح العالم)[3] .

ومما يلفت النظر أن أحد هذه المشروعات تضمن نصًا يذكر فيه أنه تقتطع من أراضي الدولة العثمانية ما سماه : (المملكة العبرانية ، أي : فلسطين)[4] .

وخلاصة الأمر كله يجمله المسيو دجو فارا الوزير الروماني بقوله : (مدة ستة قرون متتابعة كانت الشعوب المسيحية تهاجم الدولة العثمانية . وكان الوزراء ورجال السياسة وأصحاب الأقلام يهيئون برامج تقسيم هذه السلطنة كما تقدم وصف كل برنامج بعينه مما يناهز مائة)[5] .

وأضيف ها هنا بعض الوقائع البارزة الضرورية ؛ لاستكمال دراسة هذه القضية العظيمة الشأن والأثر في حياتنا معشر المسلمين المعاصرين ، حيث كنا نظن أن زمن التعصب الديني قد ولى وانتهى أوانه ، ولكننا نقرأ ونسمع بما ينضح بالعكس تمامًا ، وينبغي في رأينا أنه على حملة الأقلام التخلص من الأحكام المتسرعة في تناولهم الكتابة عن الخلافة العثمانية ، ونود لو قرأوا بعض المصادر التي فضحت حقيقة ما دار من

---

(١) عبد الفتاح عبد المقصود (صليبية إلى الأبد) ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٥م .

(٢) حاضر العالم الإسلامي ج ٣ ، ص ٢٧٩ .

(٣) ، (٤) ، (٥) نفسه ص ٢٩١ .

مؤامرات لهدمها ، هذا الهدم الذي قُصد به فتح الطريق لدول أوروبا للتغلغل في بلاد المسلمين استعمارا للأراضي ونهبًا للثروات وإذلالًا للشعوب . وليت الأمر توقف عند هذا الحد ، بل تعداه إلى ما يذهل ويثير ، حيث لمسنا تفجر العواطف الشديدة التعصب ـ والمتوارثة منذ عصور الحروب الصليبية ـ ؛ لترتكب أبشع صور الجرائم في القتل والذبح للنساء والأطفال وترسل الحملات تلو الأخرى ؛ لإرغام المسلمين على (التنصر) ، وكانت فرنسا وإيطاليا وإنجلترا على رأس الدول التي أتت بالمخازي والشنائع [(١)] .

ولنكتف بنبذة يسيرة لتصوير بعضها ، بينما المصادر مليئة بكل ما هو مشين ومخجل للزاعمين بأنهم أهل الحضارة والرقي :

فماذا فعلت فرنسا في مسلمي المغرب والجزائر ؟!

إنها أصرت على تنصير المسلمين ، فبدأوا بهذه السياسة في الجزائر ، وفصلوا بين الأمة البربرية والعرب ، وبثوا الدعاة والقساوسة ، وشادوا المستشفيات والمدارس الفرنسية بنية تنصير الأهالي ، وتعمدوا رفع التعليم الديني الإسلامي بقدر الاستطاعة ، وبلغ الهوس بالسلطة الفرنسية بمنع أي مسلم عربي من دخول مناطق البربر ، وتركوا الرهبان يجولون في بلاد البربر كما يشاءون .

ومنع الحاكم الفرنسي سكان إحدى البلاد من بناء مسجد ، وأعطى الأرض التي كانت مخصصة له للرهبان ؛ ليبنوا فيها كنيسة ، بينما لا يوجد بهذه البلدة (زمور) إلا الحاكم الفرنسي .

وحدث ولا حرج عن إلقاء بعض السكان بالسجن ؛ لأنهم طالبوا بالإبقاء على قضاتهم الشرعيين .. وغيرها من إجراءات مخالفة لما تعهدت به فرنسا في معاهدة (الحماية) التي نصت على « أن جميع الإصلاحات التي تقوم بها داخل المغرب لا تمس

---

(١) ويعلل ذلك شكيب أرسلان بقوله : (وهذا كله إنما هو راشح من بقايا المبادئ الصليبية القديمة التي لم يتمكن العلم العصري من اقتلاع جذورها من رؤوس الأوروبيين) .

الدين الإسلامي في شيء ، ولا تجلب ضررًا على الحالة الدينية ، ولا تلحق أدنى مساس بنفوذ السلطان »[١] .

و هناك فظائع أخرى ارتكبتها إيطاليا يتوقف القلم عندها مترددًا من هول ما يجب أن يخط ، وما هي في الحقيقة إلا نزر يسير من جرائم تملأ مجلدات ، حيث ارتكب جنود إيطاليا موبقات طوال عشرين سنة في طرابلس الغرب مما (لم يسبق له مثيل إلا في القرون الوسطى ، وقد يكون من باب النادر في القرون الوسطى نفسها !!) .

ويروي لنا شكيب أرسلان أحد هذه الموبقات التي تتلخص في إخراج ثمانين ألف عربي من الجبل الأخضر من أوطانهم ، وأسكنوهم في صحراء قاحلة ، وأماتوا بذلك جانبًا كبيرًا منهم وجميع مواشيهم ، وارتكبوا في حق هؤلاء المساكين من الفظائع والشنائع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وأخيرًا اغتصبوا من أيديهم أطفالهم من ذكور وإناث ممن هم فوق سن الأربع إلى سن ١٥ سنة وحملوهم إلى إيطاليا لأجل تنشئتهم في الدين المسيحي[٢] .

خلاصة القول : إن نظام الخلافة ـ ولو في شكله الضعيف الأخير ـ كان كفيلًا بصد هجمات الغرب الاستعماري الذي جاء غازيًا بروح الحروب الصليبية في القرن العشرين . وكان يكفي أن يعلن الخليفة الجهاد[٣] حتى يهب العالم الإسلامي على قلب رجل واحد بسبب وحدة العقيدة والهدف والتماسك الوجداني ، والخضوع لأمر رجل واحد هو الخليفة ؛ لعلمهم أنه يمثل الخلافة الإسلامية منذ أبي بكر الصديق ﷺ ، وكان أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ ، فالخلافة جمعت في أذهان المسلمين

---

(١) حاضر العالم الإسلامي ج ٣ ، ص ٣٤٢ ، وتتضمن ما فعلته إيطاليا من جرائم أيضًا ، وما خفي كان أعظم !!

(٢) نفسه جـ ٣ ، ص ٣٤٠ ، والمآسي ما زالت مستمرة ، وما مذابح صبرا وشاتيلا بلبنان منا ببعيد .

(٣) مر بنا قول السلطان عبد الحميد (ولكن الدول الكبرى التي تحكم شعوبًا مسلمة عديدة في آسيا مثل إنجلترا وروسيا ترتعد من سلاح الخلافة الذي أحمله ، لهذا السبب استطاعوا الاتفاق على إنهاء الدولة العثمانية) ص ٦٧ من مذكرات السلطان عبد الحميد .

وقلوبهم ذكريات الخلافة الراشدة ، وتاريخ الأمة ، وأنهم أمة واحدة ، مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وأوطانهم ، استمرت هذه الرابطة حتى آخر حلقة من سلسلته ، فقد كان للسلطان العثماني في قلوب المسلمين مكانة خاصة في مشارق الأرض ومغاربها (فكانوا يرفعون أصواتهم مؤمنين على دعاء الخطباء يوم الجمعة حينما يدعون بالنصر لسلطان المسلمين ولوزرائه وقواده وعساكره في البر والبحر إلى يوم الدين ، وقد كان السلطان هو المجاهد والغازي في سبيل الله وحامي حمى الحرمين الشريفين) [1] .

وأدرك نابليون ذلك فنوّه في منشوراته بصداقة فرنسا للسلطان وأنه جاء لتخليص مصر من حكم المماليك وإرجاعها للسلطان .

ثم دار الزمن دورته ، وقامت الحرب العالمية الأولى ، وكان بوسع السلطان العثماني إعلان الجهاد ضد الإنجليز فيهب المسلمون في الهند والبلاد العربية وغيرها من البلاد التابعة لإنجلترا وفرنسا ، فقامت إنجلترا بدهائها المعروف للحيلولة دون ذلك ، بأن اتصلت بالشريف حسين أمير مكة (لأنه يتوقف عليه دعم هذا الجهاد الإسلامي ، حيث كان عليه أن يرسل راية الرسول ﷺ من مكة إلى تركيا ، دلالة على بدء الجهاد وانضواء العرب والمسلمين تحت لوائها . وفضلًا عن ذلك فإن شبه الجزيرة العربية تحتل مركزًا استراتيجيًا يمكن إرسال حملة منه ؛ لإفساد أي هجوم قد تشنه تركيا على القواعد الإنجليزية في مصر وغيرها من البلاد الأفريقية) [2] .

وباقي الرواية معروف حيث كان لمساعدة العرب ـ باعتراف الإنجليز ـ الأثر الفعال في كسب الحلفاء العرب وهزيمة تركيا ، وأسفر الغدر البريطاني عن اتفاقية (سايكس ـ بيكو) في مارس سنة ١٩١٦م الذي نص فيه على تقسيم البلاد العربية [3] .

---

(١) محمد سيد كيلاني (الأدب المصري في ظل الحكم العثماني) ، ص ١٨ ، دار القومية العربية للطباعة سنة ١٩٦٥م .

(٢) د/ إبراهيم أحمد العدوي (المجتمع العربي) ، ص ١٤٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٦٨م .

(٣) نفسه ص ١٤٥ .

وكان للإنجليز الدور الأكبر في هذه الجريمة النكراء ، حيث تعاون المكر الإنجليزي مع (غفلة) بعض العرب في دفعهم إلى طعن أنفسهم بأيديهم قبل أيدي غيرهم .. وفي هذا المجال حقق (لورنس) ـ الجاسوس الإنجليزي الثعلب ـ نجاحًا يفوق الخيال ، حيث نجح في تفكيك رباط الوحدة بين العرب والترك بعد معايشة كاملة للعرب في بلادهم ، دارسًا لعقائدهم وتقاليدهم وأحوال معيشتهم ونفسياتهم .. فضلًا عن صلته الوثيقة بالشريف حسين ، وقد خلص من تجاربه إلى القول بأن (نشاط الحسين مفيد لنا ـ أي : للإنجليز ـ ؛ إذ أنه ينسجم مع أهدافنا المباشرة ، وهي : تفكيك الرابطة الإسلامية ، وهزيمة الإمبراطورية العثمانية) .

ويصف العرب بالمقارنة بالأتراك فيذكر (أن العرب أقل ثباتًا من الأتراك) ، ثم يحدد السياسة التي اتبعتها إنجلترا وما زال الغرب حريصًا عليها كل الحرص إلى أيامنا هذه ، وإلى أن يفيق العرب من سباتهم بعدما عانوه من كوارث وأهوال . قال : (فإذا تمكنا من التحكم بهم بصورة صحيحة ، فإنهم سيبقون منقسمين سياسيًا إلى دويلات تحسد بعضها البعض ولا يمكن لها أن تتحد)(١) .

وليت الغرب اكتفى بالبلاد والعباد عقب انحلال عقد الخلافة ، ولكنه طمع في تغيير دينهم كما بينا وكما تشهد به خطط التبشير الماضية قدمًا في أنحاء البلاد الإسلامية(٢) .

ولكن ربما وجدنا العزاء في بقاء الحق وأهله مهما حدث ، ولعل بعض أهل الغرب ممن ينصت لصوت العقل والضمير يلفت أهله لهذه الحقيقة ؛ لأنه منذ الحرب

---

(١) عبد الفتاح عبد المقصود (صليبية إلى الأبد) ص ١٨ .

(٢) وقد أصاب شكيب أرسلان في مقالة عن (التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي) حين قال : (إن الاستبداد المطلق ـ لا سيما في الدين ـ هو منزع أوروبي محض ، ولا يقاس المسلمون بالأوربيين في هذا الأمر في قليل ولا كثير) حاضر العالم الإسلامي جـ٣ ص ٣٤١ .

العالمية الأولى بصفة خاصة وسقوط الخلافة الإسلامية في شكلها الأخير ، اعتقد بعض الأوربيين (أن سياج الإسلام قد انخرق بتمامه ولم يبق مانع من مد اليد إلى دين المسلمين كما امتدت إلى دنياهم . وهذا خطأ عظيم أساسه جهل الأوروبي بحقائق أحوال العالم الإسلامي مهما زعم مطلع عليها) (١) .

وهدم أتاتورك الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م ، فكان حدثًا زلزل كيان الشرق والإسلام (٢) وارتجت أنحاء العالم الإسلامي تأثرًا بهذا المصاب الجلل ، حيث كان المسلمون ينظرون إلى الدولة الإسلامية كرمز للمجد الإسلامي وموئل للخلافة وحامية للإسلام ، واستمرارًا لخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه للرسول ﷺ حيث ظلت الأجيال تلو الأجيال تعيش في كنفها (وانفجر بركان الثورة - حتى في الهند - وتعاون المسلمون الهنادك في حركة الخلافة بشكل عام .. وكانت أعظم وأعنف حركة شاهدتها البلاد) (٣) .

وفي الوقت نفسه ، شهد فرحة الغرب الأوروبي بتحطيم وعاء الوحدة الإسلامية ورمز الجامعة الإسلامية (٤) .

❋ ❋ ❋

---

(١) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، جـ٣ ص٣٣٧ .

(٢) د/ محمد عمارة (الدين والدولة في الإسلام) ص ٨ .

(٣) أبو الحسن الندوي (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) ص ٨١ / ٨٢ .

(٤) د/ محمد عمارة (الدين والدولة في الإسلام) ص ٨ .

محاولات إحياء الخلافة الإسلامية

منذ هدم الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م حرص النوابغ من علماء الأمة المنشغلين بهمومها الحريصين على رفعها من كبوتها، حرصوا جميعًا على إعادة وحدة الأمة إما في شكل الخلافة الإسلامية مثل الإمام حسن البنا الذي جعل من أهداف جماعة (الإخوان المسلمين) إقامة الخلافة مرة أخرى بعد أن أطاح بها أتاتورك، وتابعه ـ أيضًا ـ الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ـ وهذا أمر يخفى على الكثير من الباحثين ـ إذ كان يرى أن نظام الخلافة صالح للمسلمين إذا وجد الخليفة الصالح ليجمع المسلمين ويوحد كلمتهم، (ولا يجعل من دولهم وشعوبهم كتلًا متخاصمة كما هي الحال في أوروبا، بل يجعل منهم كتلة واحدة يرمز لها خليفة واحد)(١).

وكان هناك تعاون بين حركتي: (الإخوان المسلمين) وحزب مصر الفتاة بعد تغيير اسمه إلى (الحزب الوطني الإسلامي)، فقد رحبت بقيامه صحافة الإخوان المسلمين (واعتبرت ذلك الإتجاه من جانب مصر الفتاة اتجاهًا صحيحًا نحو التشريع الإسلامي في ظل الوحدة العربية فالجامعة الإسلامية التي نادت بها مصر الفتاة، وأوضحت تلك الصحف أن الإخوان قد نادوا بهذه المبادئ وعملوا لها من قبل ولكنه يسرهم أن يجدوا جهود العاملين تتجه نحوها)(٢).

---

(١) د/ علي شلبي (مصر الفتاة ودورها في السياسة المصرية ١٩٣٣م ـ ١٩٤١م) ص٢٨٣.

ونضرب صفحًا عن مناداة أحمد حسين بجعل الملك فاروق خليفة للمسلمين ودعوته لتأليف حزب الخلافة الإسلامية، إذ ربما توسم فيه الصلاح في ذلك الوقت (١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م).

ومن العبارات المليئة بروح الجهاد والدفاع عن المسلمين يقول أحمد حسين رحمه الله: (فعندي أننا بخلق جيش مصري كامل العدد والعدة، ونفخ الروح العسكرية في جميع المصريين، وبعث روح الجهاد في صفوفهم نحو الخطوة الحاسمة لإعادة الخلافة) ص٢٨٤، وعلى أثر نمو الاتجاه الإسلامي في حزب مصر الفتاة، سعى إلى تغيير اسمه إلى «الحزب الوطني الإسلامي» ص١٠٩.

(٢) نفسه ص٤٢٢.

ويرى الدكتور علي شلبي أن الفكرة الإسلامية لدى مصر الفتاة كانت تُمثل الحلقة الثالثة في سلسلة أفكارها (فالجامعة الإسلامية وتحقيقها يُعد نهاية التطور التي تنشده، ولعل غايتها التي أعلنتها منذ البداية تُوضح ذلك المعنى؛ إذ هي ترى أن تُصبح مصر إمبراطورية عظيمة تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الإسلام)(١).

وكان حزب مصر الفتاة قد غيَّر برنامجه بما يتناسب مع تغيير اسمه، فأبرز الجانب الإسلامي عمّا عداه، ونص على تحقيق الجامعة الإسلامية.

(وإحياء مجد الإسلام ونشر رسالته في أرجاء العالمين، وقد حدد الحزب أن وسيلته لتحقيق تلك الجامعة هو أن يتولى الحكم، كذلك نص على أن قوانين البلاد ودستورها لا بد وأن تستمد كل أصولها من الشريعة الإسلامية أو بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية)(٢).

والحزب المصري الوحيد الذي يتبنى الآن إقامة (الخلافة الإسلامية) هو حزب التحرير الإسلامي(٣) الذي وُلد في القدس سنة ١٩٥٨م على يد القاضي الفلسطيني تقي الدين النبهاني.

---

(١) نفسه ص٢٧٦.

(٢) نفسه ص٢٨٦.

(٣) الحزب الآن «تحت التأسيس»، وكان أعضاؤه قد تعرضوا للاعتقال والمحاكمة ٢٠٠٢م، وصدرت بحقهم أحكام بالسجن لمدد متفاوتة بتهمتا السعي لقلب نظام الحكم والعمل على إقامة «خلافة إسلامية» جريدة «التحرير» القاهرية ٥ شعبان ١٤٣٢هـ ـ ٦/ ٧/ ٢٠١١م صفحة ٦، وقد نشرت الجريدة بتاريخ ٨/ ٧/ ٢٠١١م خبرًا بعنوان: (حزب إسلامي يطالب بـ «دولة الخلافة» فيما يلي نصه:

حزب إسلامي يطالب بـ «دولة الخلافة»

من حزب التحرير إلى الإمام الأكبر: عد إلى شرع الله

كتبت ـ الشيماء عبد اللطيف: احتفى الجميع بوثيقة المثقفين، التي وافق عليها الأزهر إلا حزب التحرير؛ لأنه =

= ببساطة ضد الدولة المدنية، ولا يرى أمامه إلا «دولة الخلافة».

هذا الرأي لحزب التحرير الراديكالي، فرع مصر .. أو «ولاية مصر» بحسب أدبيات الحزب، الذي وجه إليه النظام السابق تهمة قلب نظام الحكم قبل سنوات، صاغه في مذكرة أرسلها إلى شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب، ضد وثيقة الازهر ذكر فيها أن الوثيقة «تؤسس لمدنية الدولة، وفيها ما يخالف الإسلام ويُغضب الله. فدعم الأزهر لتأسيس الدولة الوطنية الدستورية، والإعلان عن الالتزام بالمواثيق الدولية، لم يشهده الأزهر قبل الآن، حتى في العهد البائد».

المذكرة التي وصفها أصحابها بـ «مذكرة النصح» وجهت عددًا من النصائح إلى شيخ الأزهر، منها أن الدولة الشرعية للمسلمين «هي دولة الخلافة، شكلًا واسمًا، وإن كان الاستعمار الكافر قد هدمها، فيجب على الأزهر أن يُعيدها. خصوصًا أن المنهج الذي ما زال يُدرس للطلاب في الأزهر ينص على وجوب الخلافة». وأضافت المذكرة أن «كلمة الديمقراطية التي روجها الغرب، وعقيدتها: فصل الدين عن الدولة، لا علاقة للإسلام بها، وأن الدستور القائم على الديمقراطية هو أساس الدولة المدنية العلمانية التي تعني: إقصاء الإسلام عن الحكم كليًا».

المذكرة انتقدت الاعتراف بالمواثيق الدولية التي نصت عليها «وثيقة الأزهر» معتبرة أن الاعتراف بإسرائيل، وإقامة علاقات معها في الوقت الذي تحتل فيه المسجد الأقصى «يخالف الشريعة الإسلامية». موضحة أن الشريعة الوحيدة التي يجب الإلتزام بها «هي شرع الله وهو ما يحرم الالتزام بالمواثيق الدولية، والشرعية الدولية وقراراتها».

حزب التحرير طالب شيخ الأزهر، في مذكرته، بأن يرجع إلى شرع الله، وأن يلغي الوثيقة؛ لما فيها من تضليل للناس. ودعته إلى أن يطلب من المجلس الأعلى للقوات المسلحة «إعلان دولة الخلافة الإسلامية الرشيدة».

الجامعة الإسلامية والقومية العربية « دراسة مقارنة »

(وفي الوقت الذي عمت فيه فكرة الجامعة الإسلامية التي نادى بها جمال الدين الأفغاني، ولقيت تشجيعًا من الدولة العثمانية؛ وضع لطفي السيد للقومية المصرية أو ما كان يسميه: الجامعة المصرية معالمها وحدودها التي ترتد بمصر إلى عصر الفراعنة، ومن هنا فقد رفض لطفي السيد الحركات السياسية المبنية على أساس ديني، ورفض ـ أيضًا ـ ربط مصر بالعالم العربي أو تركيا أو العالم الإسلامي سياسيًا)[1].

وانضم إلى لطفي السيد جماعة العلمانيين القوميين؛ ليقفوا في وجه الخلافة، وكان هدفهم: إبراز ولائهم للقومية العربية (ومن هؤلاء: قاسم أمين ومحمد محمود ومكرم عبيد وأحمد لطفي السيد)[2].

ويصف الأستاذ فاروق شوشة أحمد لطفي السيد بقوله (إنه واحد من أبرز رموز الليبرالية والديمقراطية والحرية في مصر، ومن الدعاة الأول إلى الدولة المدنية وإلى القومية المصرية)[3].

ويندهش المرء من الإصرار على استرجاع أفكار لطفي السيد وجماعته عن (الوطنية المصرية) و(القومية العربية)، وكأن التاريخ قد توقف عند عصر لطفي السيد وتابعيه، بينما الدارس للأحداث المعاصرة له والقريبة منا التي تحمل في طياتها التجارب المريرة تدلنا على الفشل الذريع؛ لأن نجاح الاستعمار البريطاني في عزل مصر عن الدول العربية والإسلامية (وأوضح مثال على ذلك فصل مصر عن السودان

---

(١) مقال بقلم فاروق شوشة بعنوان: (لطفي السيد في مرآة عواطف سراج الدين) ص١٢ ـ جريدة الأهرام ١٦ شعبان ١٤٣٢هـ ـ ١٧/ ٧/ ٢٠١١م.

وكما ذكرنا من قبل ونؤكده شذوذ رأي لطفي السيد الذي تزعم تيار التغريب والتبعية للإنجليز، وكانوا يحتلون مصر حينذاك.

(٢)، (٣) نفسه.

الشقيق) ؛ مكّنه من استمراره حاكمًا بأمره أكثر من سبعين عامًا ، بل وإمعانًا في تفتيت المنطقة عندما غرس إسرائيل بأرض فلسطين ، ولم تُفلح (القومية العربية) [١] من تحقيق الحرية والاستقلال ، بل زاد الأمر سوءًا أن توغلت الدولة اليهودية عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧م ، وكان أحد أسباب الهزيمة أن فكرة القومية العربية أفقدت القضية الفلسطينية أكبر قوتها ، وهو المدد الإسلامي الذي كان بوسعه منع وقوع الكارثة إذا ما اندفعت المقاومة من المنطلق الإسلامي الجهادي الذي يسعى إلى الشهادة في سبيل الله ﷻ ؛ لأن مكانة (القدس) تقع في القلب من الأمة الإسلامية برمّتها .

ولو تكاتف لطفي السيد مع مصطفى كامل في تدعيم فكرة الجامعة الإسلامية ؛ لما أُصبنا بتلك الكوارث المتتابعة .

ولكن بعض مثقفينا ـ مع الأسف ـ يصرون على التشبث بأفكار ومذاهب ثبت تهافتها أمام التجارب المضنية التي خاضتها الأمة والتي أسفرت عنها السنوات الماضية .

قال الدكتور نعمان عبد الرازق السامرائي ، بعد أن بسط رأيه وخلاصته أن الإسلام عند ظهوره رد للشرق شخصيته ، قال : (بل ما زال يملك ذلك ، وربما كان الوحيد المالك ، فمنذ سقوط الدولة العثمانية وحتى هذه اللحظة ، ما زال الإسلام هو الأقوى والأقدر على إنقاذ المنطقة ورد العافية إليها ، وتجربة ثلاثة أرباع القرن تكفي لبيان ذلك وعلى الذين يجادلون وينكرون ذلك ، أن يأتوا بالأدلة والشواهد ، وقديمًا قال الشاعر :

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل) [٢]

---

(١) من المضحكات المبكيات أنه في إحدى المناسبات التي كانت تقتضي عقد مؤتمر للقمة العربية سنة ١٩٩٨م استطاعت أمريكا منع انعقاده يقول الأستاذ مجدي أحمد حسين : (حتى عقد مؤتمر القمة العربي يكاد يكون في حاجة إلى موافقة رسمية من البيت الأبيض ، ويتم نشر هذا الكلام بلا حياء ، ولا تفسير لذلك إلا وضع العم سام في الاعتبار) كتابه (يوميات خلف الأسوار) ص١٠٩ العائلة للنشر والتوزيع بمصر ٢٠٠٨م .

(٢) د/ نعمان عبد الرازق السامرائي (نحن والحضارة والشهود) جـ١ ص١٩٧ كتاب (الأمة) قطر العدد ٨٠ =

والصحيح ـ أيضًا ـ أن بوسع الأمة لو توحدت مرة أخرى في إطار الجامعة الإسلامية لكي تصبح منافسة ، بل متفوقة على غيرها من الدول المعاصرة ، وهذا ما فهمه أعداء الأمة منْ اليهود الذين (يحذرون العالم من إمكانية أية صحوة إسلامية أو أية نهضة أسلامية أو أية وحدة إسلامية ، وهناك تقرير للمخابرات الأمريكية كتبه يهودي يقول فيه : (إن الشاطئ الجنوبي والشرقي للبحر الأبيض المتوسط تسكنه أمة واحدة ، لها لغة واحدة ، ولها عقيدة واحدة ، ولها تاريخ واحد ، ولها مشاكل حالية واحدة ، ولها آمال مستقبلية واحدة ، كل هؤلاء لو اتحدوا ؛ فسوف يدمرون الحضارة الغربية) [1].

❋ ❋ ❋

= ذو القعدة ١٤٢١هـ فبراير ٢٠٠١م ، وكان رأيه بعد عرض كلام توينبي عن منطقة الشرق الأوسط التي تعرضت لتأثيرات حضارية تنافي طبيعتها ، وذلك حين تسربت إشعاعات ثقافية يونانية ورومانية للمنطقة ، فشكلت تحدٍّ ، أما الاستجابة فكانت « اعتناق الإسلام » ص ١٩٦ .

(١) د/ زغلول النجار (في حوار معه في مجلة اللواء الإسلامي) ـ العدد ١٥٣٧ ـ ١٣ شعبان ١٤٣٢هـ ـ ٣١ يوليو ٢٠١١م ، وتخويف اليهود من المسلمين أمر مفهوم ، ولكننا لسنا في حاجة إلى تأكيد أننا أمة تدعو إلى العدل ، ولا تعادي إلا من يُعاديها .

سلك الثوريون طريق الانحطاط لا طريق النهضة : فما المخرج ؟

إن المتابع للحركات الانقلابية العسكرية في العالم العربي والإسلامي ؛ ليعثر على رباط مشترك يجمعها جميعًا حيث حاولت سلخ بلادها من عقائدها وشرائعها وقيمها ، وفرض القوانين الوضعية والقيم الغربية ؛ ظنًا بأنها تسلك طريق النهضة ، وجهلت أنه طريق الانحطاط والضياع ، وواقع الأمة الحالي شاهد على مدى التردِّي الذي وصلنا إليه ، ولا أدري كيف غاب عن أولئك (الثوار) أن السبيل الوحيد أمامهم للرقي والتقدم بشعوبهم كان يقتضي العودة إلى تراثهم الإسلامي الذي جربوه من قبل لنحو ثلاثة عشر قرنًا من الزمان ، وبه سادوا العالم كله ، ولكنهم بحركاتهم الانقلابية العسكرية أضاعوا أجيالًا بعد أجيال ، حيث سلكوا بهم طريق المتاهات ، دعك من خراب الديار وضياع الأموال والثروات . أما المهانة التي أصابت الأمة الإسلامية فهي الطامة الكبرى ، وهي السبّة في وجوه أولئك الثوريين تظل تلاحقهم إلى أن تقوم الساعة !

إنهم لم يخطر لهم على بال أن هذه الأمة هي (خير أمة أُخرجت للناس) .

وأن من مهامها الدعوة إلى الله ﷻ ، بل الأخذ بيد البشرية ؛ لترتفع بها إلى المستوى الإنساني اللائق كما أراد الله ﷻ .

وكان العالم من حولنا مهيئًا لقبول القيادة من جديد لو طبقنا شريعتنا وصرنا بها كالمصابيح التي تضيء في الليلة الظلماء .

فقد عمّ الأرض فساد كبير (وقد أسلمت الجموع البشرية في الشرق والغرب أنفسها للدمار ، وها نحن المسلمين في مطلع هذا الطريق المخيف نجد أنفسنا وأرضنا وقد أصبح يضفي علينا ثوبًا جديدًا .

ففي أيدينا المواقع الاستراتيجية وعندنا المجالات الحيوية ، وأرضنا أصبح غيرنا يسميها « المفتاح » ، ولكن مفتاح ماذا ؟ أمفتاح طريقنا إلى الجنة أم إلى الجحيم ؟ إن مرجع ذلك إلينا وحدنا ، وليس علينا إلا أن نرجع إلى القرآن ، وإلا أن نذكر سبيل الرسول ﷺ ، وأن نسأل الله ـ تعالى ـ أن يميز لنا الخبيث من الطيب ، والخطأ من الصواب .

إن الله ﷻ قد أنعم علينا إذ أمهلنا ألف سنة ، ليس لنا بعدها إلا أن ننهض أو أن يحكم علينا بالفناء ، وإذا لم نتعلم كيف نبصر في النور بعد هذا الظلام الطويل ؛ فقد حق علينا قول ربنا ﷻ : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨] .

لقد بُهر العالم على عهد رسول الله ﷺ ، وأرجو أن نبهره مرة أخرى ـ بإذن الله تعالى ـ « **بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا ، فطوبى للغرباء** » [١] .

وكتب السيد محمد ناصر ـ رئيس وزراء أندونيسيا الأسبق ـ في عام ١٩٥٢م ليسجل ملاحظته التي نشاركه فيها الآن ـ عقب ثورة يناير ٢٠١١م في مصر ـ فقال : (كلما نادينا بحكومة إسلامية في أي مكان من العالم الإسلامي انزعج لذلك غير المسلمين وفهموا أننا نريد حكمًا غامضًا رهيبًا كالحكم الإلهي الذي عرفته القرون الوسطى .

إن ذلك فهم خاطئ للإسلام ولمعنى الحكومة الإسلامية كما يفهمه العاملون لها ... ليس في الإسلام قدّيسون ، ولكن هناك علماء وفقهاء في مختلف شؤون الدين ، وهم ليسوا قديسين يؤدون الشعائر باسم الكهنة ، إنما هم أئمة بين يدي شريعة واضحة يستطيع كل مسلم إذا تعلم واجتهد أن يعرف أحكامها .

ثم إن الأئمة الرسميين ليست إمامتهم فرضًا في هذا الدين ، ولكنها تنظيم إداري اقتضته الحاجة العملية للمسلمين .

---

(١) السيد محمد ناصر (رئيس وزراء أندونيسيا الأسبق) مقال بعنوان : (كلمة لغير المسلمين وكلمة للمسلمين) ص٦٩٤ مجلة (المسلمون) رمضان ١٣٧١هـ ـ يونيو ١٩٥٢م .

ليس هناك في هذا الإسلام الذي نؤمن به قدّيس باسم السلطة الكهنوتية ، ولا سلطة قديسية لها دور خاص في الحكم أو التشريع أو الإدارة أو القضاء .

وأوضح من ذلك أنه لا يوجد في الإسلام كنيسة ذات كيان مستقل داخل الدولة ، بل يجب أن يقوم الإسلام كعقيدة في كل ناحية من نواحي حياة المسلمين الفردية والجماعية ، الشعبية والرسمية ، وهكذا يحتضن الإسلام حياة الأمة كلها ، ولا يعترف بالفصل بين الدين والمجتمع والدولة ، ويظل مع ذلك بعيدًا كل البعد عن البعد عن الحكم المقدّس البغيض .. لست أعتذر عن الإسلام ، فالإسلام أعز من ذلك ، وهو لا يحتاج إلى من يعتذر عنه ، وإنما أردت فقط أن أردّ شبهة عميقة الجذور في أذهان الغربيين ومن ذهب مذهبهم) [1] .

ثم رفع عن مسلمي عصره ـ ونحن أيضًا ـ غشاوة الرؤية التي تحول بينهم وبين معرفة تديّن الغرب ـ أوروبا وأمريكا ـ واستمساكه بالنصرانية ، بخلاف ما أشاعوه عن أنفسهم لتضليل شبابنا كأنهم يحثونه على هجر دينه ، وغرسوا في أنفسهم أن علة تقدم الغرب وازدهاره الحضاري راجع إلى أنه ترك دينه وراء ظهره !

قال السيد ناصر ضمن مقاله : (أما إذا كان المقصود أنهم يعيبون علينا تديننا فليسمحوا لي أن أكون صريحًا : إن أكثر الأمريكان يفكرون في بلادهم وأنفسهم كمسيحيين ، ورئيسهم الراحل روزفلت كان مسيحيًا سافرًا ، وكان لا يغفل في أي خطاب وجهه إلى العالم أثناء الحرب العالمية الأخيرة ، والإنجليز كذلك مسيحيون : دولتهم مسيحية ، وملكتهم هي رأس الكنيسة ، وحامية الإيمان المسيحي ، ولذلك ؛ فإن طقوس الكنيسة الدينية تحتل مكانًا كبيرًا من اهتمام الدولة . والهولنديون مسيحيون ، اشترطوا في دستورهم أن يكون الملك بروتستانتي العقيدة ، بل إن هولندا

---

(١) نفسه ص٦٨ .

حكمت حكمًا كنسيًا من ١٩٠٣م إلى ١٩٤٠م (وكانت تحتل أندونيسيا الإسلامية أكثر من ثلاثة قرون!) . كل هذه الدول ومعها غيرها من دول أوروبا المسيحية ، حتى فرنسا (الشائع عن علمانيتها) والبعيدة عن الدين في جهازها الرسمي ، قد ظاهرت النشاط التنصيري خارج أوروبا وفي آسيا وأفريقيا وأستراليا ، وخاصة في البلاد المستعمرة ، حتى إنه ظل يقال إلي القرن التاسع عشر : إن وسائل أوروبا في حكمها الاستعماري ثلاث : « التجارة والتنصير والحرب »[1] .

فهل بعد هذه الشهادة الصريحة المطابقة للواقع أن يثوب العلمانيون في بلاد الإسلام إلى رشدهم وخاصة بعدما أعلنه رئيس أمريكا الأسبق بوش « الحرب الصليبية » بصراحة ، وسارت وراء جيوش الحلف الأطلنطي لغزو أفغانستان المسلمة ؟!

وقبله ، أقام هنتجتون في كتابه (صراع الحضارات) هذا الصراع على أساس ديني ؟!

❋ ❋ ❋

(١) نفسه ص٦٩.

القاسم المشترك بين الحركات الانقلابية

يتمثل في تقليد أتاتورك وتخطيط المخابرات الأمريكية ومحاربة الإسلام وتخريب الديار وإذلال العباد .

وكان أتاتورك قدوة الزعماء (التقدميين) في الدول والحكومات والأقطار الإسلامية ، وأصبح رمز التقدم و(الثورة) في كل مجتمع في العالم الإسلامي ، (والمثل الأعلى للقادة والسياسيين والمفكرين المسلمين على اختلاف أجناسهم وبيئاتهم)[١] .

ولكن الحقيقة أن أتاتورك كان عدوًّا لدودًا للإسلام ، وأعلن ذلك متحديًا مشاعر المسلمين ، فقد ألغى دين الدولة الرسمي (الإسلام) ، وقرر إلغاء المحاكم الشرعية والخلافة ، والحجاب ، واستعمال الحروف العربية ، وأصبح الزي الغربي والحروف اللاتينية في التعليم العام ، وحق المرأة في الانتخاب ، وعطلة يوم الأحد والقومية من الأمور التي نص عليها الدستور[٢] .

ويرى الإمام أبو الحسن الندوي أن البلاد العربية سارت على خطى أتاتورك في طابع حكمه العلماني اللاديني أو الاشتراكي مع اختلاف الأحوال في كل بلد على حدة ، ويبدأ بدراسة الميثاق الوطني بمصر حيث استخلص (أن الفكرة التي تسيطر على الميثاق وواضعه ، والتي دفعت إلى سبكه في هذا القالب هي الفكرة المادية ، وللإنسان أن يسحب من نص الميثاق كلمة العرب ومصر التي تتردّد كثيرًا وما يدل على البيئة التي صدر فيها هذا الميثاق ، وينسبه إلى أي جمهورية علمانية اشتراكية في الشرق ، وكلها تعترف بحرية العقيدة الدينية وقداستها وبتأثير القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان في تاريخ الإنسان والمدنية)[٣] .

---

(١) أبو الحسن الندوي (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) ص ٦٥ تقديم وتعليق محمد عبد الرحمن عوض دار البشير بمصر سنة ١٩٩٧م .

(٢) نفسه ص ١٢٩-١٣٠ .

(٣) نفسه ص ١١٥ .

وفي هذا الصدد يقول كمال الدين حسين ـ وهو من أعضاء مجلس الثورة ـ (في أخطر جلسات مجلس الثورة اعترضت على الميثاق ، ووصفته : بأنه له وجهان : وجه ماركسي ، والوجه الآخر إسلامي عربي ، واعترضت على هذه الشيوعية ... وكنت أريد أن يلتزم عبد الناصر بالميثاق أمام الشعب ولكنه لم يلتزم ... وكانت هناك لجنة تقرير الميثاق التي كانت تفرز وتعرض على المؤتمر ؛ ليوافق عليه ، واللجنة أجمعت وقررت تعديل الميثاق ، ولكن عبد الناصر رفض التعديل) (١) .

ثم ظهر واضحًا في النهاية أنه كان متجهًا اتجاها يساريًا ، وكان يضحك على الشعب (٢) .

وقد سجل بعض أعوان عبد الناصر في مذكراتهم صورًا من سلوكياته الدالة على حقيقة شخصيته ونوازعه النفسية وحرصه إلى الوصول لهدفه بأي وسيلة ، بلا مقاييس أخلاقية (بدءًا من تخلصه من زملائه الذين كان لهم الدور الرئيسي في الانقلاب ، ولولاهم لما نجحت الثورة بالتقدير البشري ، مثل عبد المنعم عبد الرؤوف ، معروف الخضري ، حسين حموده ، خالد محي الدين ، ويوسف صديق وغيرهم) (٣) .

و يقول الأستاذ على صديق (إن عبد الناصر قال له : « وإنني أريد البلد كلها في قبضة يدي ») (٤) .

وتتابعت حركات الانقلابات العسكرية في سوريا والعراق وأندونيسيا وتونس والجزائر ، وكان قادتها من الثوريين قد (صمّموا على تطبيق الفكرة الغربية ـ بشعبها

---

(١) د/ حسين مؤنس (باشوات وسوبر باشوات، صورة مصر في عصرين) ص ٣٣٨ ـ الزهراء للإعلام العربي بمصر ط ٢ ـ ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م .

(٢) نفسه ص ٣٤٢ .

(٣) أحمد عبد المجيد ، مقال بعنوان : (أضواء على حادث المنشية) ص ١٠١ مجلة (المنار الجديدة) شوال ١٤٢٢ هـ ـ يناير ٢٠٠٢م .

(٤) نفسه ص ١٠١ .

الاقتصادية والسياسية والثقافية وفلسفة القومية المادية ـ في بلدهم الاسلامي ، فهم في حرب دائمة دامية مع الطبيعة الاسلامية العميقة الجذور الممتدة العروق ، وفي صراع مع الجهاز الاجتماعي والعلمي والخلقي الذي فيه الخير الكثير والقوة التي ترهب ويحسب لها حساب ، ويمكن أن تُنمّى وتستغل لصالح الأمة والبلاد) (١) .

ويقرر الإمام الندوي أنه (من عام ١٩٢٤م إلى عام ١٩٦٢م ، ومن تركيا إلى الجزائر ، قصة واحدة ذات فصول وحلقات ، لا تستثنى منها دولة اسلامية) (٢) .

وقام الأستاذ محمد جلال كشك بتسليط الضوء على دور المخابرات الأمريكية في إحداث تلك الانقلابات العسكرية ، مستندًا إلى مصادر بعضها أجنبية ، فذكر أن هذه المخابرات نظمت انقلاب حسني الزعيم في سوريا (وهي أول محاولة لنقل أسلوب الحكم المفضّل لدى الإمبريالية الأمريكية والذي مارسته لزمن طويل في أمريكا اللاتينية ، وهو حكم العسكريين الذين يقمعون الثورات والقلاقل الداخلية ، ويعملون مباشرة لحساب الشركات والاحتكارات الأمريكية) (٣) .

وقد حدّد الأستاذ جلال كشك منهجه بكتاب (كلمتي للمغفلين) بقوله : (رأينا بالدليل الحسي علاقة الثورة المصرية بالأمريكان ، فلما استخدمنا هذه العلاقة في تفسير الأحداث ؛ تأكدت صحتها .. لأنها قدمت التفسير المعقول) (٤) .

ورأى أن رجال المخابرات الأمريكية الذين اتصلوا بتنظيم الضباط الأحرار وتعاونوا مع مجموعة عبد الناصر كانت تحركهم ثلاثة أهداف :

---

(١) نفسه ص ١٣١ .

(٢) نفسه ص ١٣٣ .

(٣) محمد جلال كشك (كلمتي للمغفّلين) ص ٥١ دار ثابت بالقاهرة ط ٢ سنة ١٩٨٥م .

(٤) نفسه ص ١١ .

١. منع قيام ثورة راديكالية حقيقية في مصر .

٢. حماية إسرائيل .

٣. تصفية الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية في العالم العربي ، وإحلال النفوذ الأمريكي ـ وليس الروسي ـ محلهما [١] .

ويقر بأنه عندما تعمق في الدراسة ؛ تأكد له صدق وطنية ومصرية عبد الناصر إذ أحس فعلًا منذ عام ١٩٥٤م بخطر إسرائيل ، ولكن علاقته بالمخابرات الأمريكية وما أثاروه في نفسه من خوف ، وما ربطوه به من تعهدات ، وما أوهموه من وعود بتسويات . كل هذا أفسد فكره ، وشل يده ، وأجبره على شن معارك واتخاذ قرارات كانت كلها ـ للأسف ـ في صالح إسرائيل ، ومعظمها لم يكن يهدف إلا إلى تجنب المواجهة الحقيقية ، ومحاولة كسب الوقت حتى يأتي الحل الأمريكي [٢] .

ولكنه يستخلص من هذه العلاقة درسًا بالغ الأهمية للمشتغلين بالسياسة والذين سيشتغلون بها يومًا ؛ إذ أراد عبد الناصر أن يوظف أمريكا لخدمة أهدافه ولكنه أخطأ وخسر ؛ لسبب بسيط هو عدم التكافؤ بين اللاعبين .. إنها لعبة شديدة التعقيد ، والدرس المستفاد هو (أنه لا يمكن أن تنجز ثورة « بمؤامرة » ، وأنه لا يمكن أن تتحقق مصالح الشعوب من خلال التعاون مع أعرق الاستعماريات المتعارضة المصالح والمواقف مع الأمة العربية ، وخاصة منذ سيطرة إسرائيل على السياسة في الولايات المتحدة) [٣] .

ويضيف محمد جلال كشك إلى ذلك أن استراتيجية الأمريكان كانت إخراج بريطانيا من مصر فهي مفتاح الشرق الأوسط ، ووجدوا أن في حركة عبد الناصر

---

(١) نفسه ص ١٥ .

(٢) نفسه ص ١٣ .

(٣) نفسه ص ١٢ .

فرصة لتحقيق ذلك ، وهو بدوره وجد أن هذه أرضية مشتركة تمكنه من الحصول على الدعم الأمريكي ، ثم يستخلص مما سبق اتفاق الطرفين على تنفيذ الثورة (ولا يضير عبد الناصر بين الشرفاء ـ أبدًا ـ الاعتراف بهذه الحقيقة ، فهي لا تجعل من عبد الناصر عميلًا ، وإنما متآمرًا .. وقد قلنا : إن هذه ـ المؤامرة ـ ضمنت نجاح الانقلاب ، ومنعت الإنجليز ، وحققت الكثير من النجاح ، ولكن لأنها كانت مؤامرة ، ومع المخابرات الأمريكية فقد انقلبت بعد ذلك على المتآمر ، ودمرت كل شيء ، ومكّنت إسرائيل من إلحاق الهزيمة بمصر والعرب) [١] .

أما عن خلفية حركة الانقلاب في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م فإن مصر في الواقع كانت حينذاك في ثورة شاملة حقيقية للمطالبة بإجلاء الإنجليز عن مصر عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية (وتفجرت بقرار الوفد التاريخي بإلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦م .. وكان تنظيم الضباط الأحرار جزءًا من هذه الثورة ، وكان عبد الناصر وطنيًا مصريًا يتطلع لإنجاز الثورة ، ولكنه ـ بطبيعته الانطوائية ـ فضل الانقلاب العسكري على الثورة ، وبطبيعة الشك في نفسه ، والتقدير الزائد لأهمية سلامته الشخصية ؛ أراد أن يؤمن هذا الانقلاب مع المخابرات الأمريكية ، وبتعطشه الزائد للسلطة واقتناعه بأن مصير مصر والأمة العربية رهين باستمراره في هذه السلطة مهما كان الثمن .. حدث ما حدث [٢] .

ما حدث يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م هو حركة انقلابية عسكرية وليست ثورة :

عندما قامت حركة الجيش في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م كانت التساؤلات دائرة بين أفراد الشعب لمن تنسب الثورة : للجيش أم للشعب ؟

---

(١) محمد جلال كشك (ثورة ٢٣ يوليو الأمريكية - علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية) ص ٣٢-٣٣ .

(٢) نفسه ص ٢٨ .

يقول الدكتور راشد البراوي: (« ثورة من : الجيش أم الشعب ؟ » هذا سؤال ظل يتردد على لسان الكثيرين ، لا من العامة فحسب ، بل ومن جانب المتعلمين ، ولا نقول : المثقفين الواعين) [١] .

فكانت لحركة الجيش أهدافها السامية منها : القضاء على الفساد من الرشوة والمحسوبية ، واستغلال النفوذ ، وكانت الأحكام العرفية قد حولت مصر إلى سجن كبير [٢] ، حيث فتحت المعتقلات والسجون أبوابها لتستقبل الوطنيين والأحرار المجاهدين ، ومن أهدافها : زوال الرقابة على المطبوعات والمراسلات ، وكذلك احترام الحياة الدستورية [٣] ، ورفع مستوى الشعب لدرجة تؤهلة للعيش عيشة كاملة .

و لكن أصبح الواقع السياسي والاجتماعي مخالفًا لتلك الأهداف تمامًا [٤] ، بل تحقق عكسها مما جعل أحد مثقفينا الكبار ـ وهو الدكتور مصطفى محمود ـ يسجل ذلك بقوله : (وأدى غياب الديمقراطية على مدى عشرين عامًا من حكم عبد الناصر إلى غلبة قيم النفاق ، والانتهازية ، والسلبية ، والتواكل ، واللامبالاة ، وعدم الانتماء وإلى تآكل الشخصية المصرية ، وإصابتها بنوع من الإيدز السياسي الذي لا برء منه . وأدت أبواق الاشتراكية التي راحت تنفخ في نار الصراع الطبقي وتزيدها سعارًا إلى سقوط هيبة الكبار وإلى ميلاد مجتمع الحقد الذي يأكل بعضه بعضًا بلا أمل في النهاية) [٥] .

---

(١) د/ راشد البراوي (حقيقة الانقلاب الأخير في مصر) ص ٣٥ مكتبة النهضة المصرية ط ٢ سنة ١٩٥٢م .

(٢) نفسه ص ٢٤٢ .

(٣) نفسه ص ٢٤٣ .

(٤) وصل عجز مصر التجاري إلى ٤٠٠ مليون دولار سنويًا ، وهبط الاحتياطي إلى ٤٠ مليون دولار من الغطاء الذهبي و٤٦ مليون لحملة صعبة في البيانات الرسمية ، بينما لم يكن الموجود الحقيقي يزيد على ثلاثة ملايين دولار في عام ١٩٦٦م ، جاء في تقرير أمريكي لو أن مصر باعت ذهبها كله ؛ لما كفى لدفع استيراد شهر واحد ـ جلال كشك (كلمتي للمغفلين) ص ١٥ .

(٥) د/ مصطفى محمود (سقوط اليسار) ص ١٠ دار المعارف بمصر ط٢ ١٩٩١م .

وجاءت هزيمة عام ١٩٦٧م واحتلال سيناء وما أعقب ذلك من خراب اقتصادي ؛ ليؤلف علامة استفهام هائلة : لماذا قتل من قتل ؟ ولماذا مات المئات من التعذيب في السجون ؟

ويعلل الدكتور مصطفى محمود ذلك بسبب نفسي هو لذة الانفراد بالحكم ، والاستعلاء ، والتأله ، والتسلط [١] .

وهي ـ أيضًا ـ لذة يسيل لها لعاب السلالة من الأفراد السائرين خلف ستالين ، ويستطرد قائلًا : (ألم يقل عبد الناصر للقذافي : إني أرى فيك شبابي ؟! وقد علقها القذافي على باب طرابلس ، وهو يعمل بها ، وما زال يعمل بها ، ومثله عبد الكريم قاسم وحافظ الأسد والنميري .. إنها سلالة واحدة ، نفوس بها هوس للسلطة والحكم) [٢] .

ونستشهد في النهاية بما قاله السادات في مجلس الشعب يوم الأحد ١٤ مارس عام ١٩٧٦م ونشرته « الأخبار » يوم الاثنين ١٥ مارس ص ٩ ما نصه : (ترك لي عبد الناصر وهو كما تعلمون أخي وصديقي ترك لي تركة كلكم تعلمون ما هي هذه التركة : موقف خارجي ممزق مع جميع العالم ، ممزق مع الأمة العربية ، ممزق مع أمريكا ، ممزق مع غرب أوروبا ، ممزق مع دول كثيرة جدًا في هذا العالم ، ويكفي أمتنا العربية اللي هي عيلتنا ممزق ، آدي الموقف السياسي .. ترك موقف عسكري إسرائيل على ضفة القنال ، والروس جاي كلامي عنهم وروه الويل حقيقي ، لم يكن له غير الروس لأنه بعد ما انقطعت خيوطه مع كل العالم ماكانش باقي غير الروس . الموقف العسكري هزيمة ، مرارة ، ألم . الموقف الاقتصادي إحنا في موقف لا نحسد عليه ، موقف صعب جدًا .. يذكر المجتمعون هنا أنني قلت لهم : أنا عايز أقول لكم الحقيقة ، هي أن الاقتصاد

---

(١) نفسه ص ١١ .

(٢) نفسه ص ١٢ ، ويُلحق بهم صدام حسين وحكام العراق بعده وبورقيبة وزين الدين وأحمد صالح وكرازاي وبوتفليقة ، والبقية تأتي ما دامت الشعوب مقهورة ويحكمها أذناب الاستعمار الغربي .

المصري تحت الصفر في أكتوبر ١٩٧٣ ، وأنا أشبهه برجل كامل ، ولكن كل دمه نزف من شرايينه) [١] .

وهناك ثمرات أكثر مرارة عبّر عنها محمد نجيب - أول رئيس لجمهورية مصر - بقوله : (... وعرفت كم كانت جريمة الثورة في حق الإنسان المصري بشعة .. وعرفت أي مستنقع ألقينا فيه الشعب المصري ، فقد حريته ، فقد كرامته ، فقد أرضه ، وتضاعفت متاعبه) [٢] .

ونعود لوصف السادات لمصر في عهد عبد الناصر ، ونرى أن شكواه المريرة لا تعفيه من مسئوليته عن ما آلت إليه أحوال مصر ، فقد كان ضمن (مجلس قيادة الثورة) ، وكان بوسعه - أيضًا - الاعتراض على ما يراه يسبب أضرارًا لبلاده من أنواع التحطيم والتدمير في شئونها كلها ، وقد سبقه إلى ذلك كمال الدين حسين الذي اعترض على عمليات التعذيب للأبرياء في السجون ، وقال لعبد الناصر : (اتق الله) فاعتقله ، وقال له في مرة أخرى (فرعون نفسه لم يأخذ سلطاتك ، ولا حتى اللورد كرومر .. لا أحد أخذ سلطات في مصر قبل ذلك بهذا الشكل المجحف .. وإن كانت قوانين أنور السادات أشد من ذلك [٣] .

وعندما سُئل كمال الدين حسين عن شعوره بعد انتصار الجيش المصري في ١٩٧٣م أجاب بقوله : (الجيش المصري انتصر في عام ١٩٧٣م انتصارًا عظيمًا ، ولكن هزمه أنور السادات ؛ لأنه أعطى لنفسه الحق في أن يصدر أوامر خطأ ، وكل الجيش

---

(١) محمود عبد الوهاب فايد (وبالحق صدعنا في وجه الطغيان) ص ٢٥ دار الاعتصام بالقاهرة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .

(٢) محمد جلال كشك (ثورة ٢٣ يوليو الأمريكية - علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية) ص ٨٠ - الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ط٢ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

(٣) د/ حسين مؤنس (باشوات وسوبر باشوات) ص ٣٤٠ - ٣٤١ وقال - أيضًا - للسادات بعد ذلك : (ملعون من الله ومن الناس من يتحدى شعبًا أو يمتهن كرامة أمة) .. فبعد أحداث ١٨ و١٩ يناير أصدر قانونًا يجرم كل من يعمل إضرابًا بالأشغال الشاقة المؤبدة والمؤقتة دون أن يأخذ رأي البرلمان !

كان يعلم الأخطاء واستنكرها ، ومع ذلك نفذوها .. وكل ما يحاولون تفادي الأخطاء التي كان يعملها السادات ، هو يصمم على أخطاء أكثر ! أعطى أوامره لتنفيذ خطة كانت مُعدّه سلفًا ثم أفسد كل شيء بقرارته بعد ذلك ؛ لتخسر مصر الثغرة .. لقد كانت القوات المدرعة الموجودة احتياطيًا ؛ لسد الثغرة مدربة وعملت « بروفه » ثلاث مرات ؛ لسد الثغرة في الدفرسوار ، ثم يعطي أنور السادات أوامره لهجوم مؤكد أنه فاشل مليون في المائة ! وقد هاجم اليهود بعد أن سحب الدبابات من الضفة الشرقية للضفة الغربية ، واليهود كان لديهم ٩٠٠ دبابة ونحن عندنا ٤٠٠ دبابة أقل كفاءة وبدون غطاء جوي ، وفي الوقت الذي يسيطر فيه الطيران الإسرائيلي القوي جدًا والطيران المصري لم يفعل شيئًا سوى الضربة الأولى ، وكانت هناك ضربة ثانية لم يفعلها .. وكانت الفرحة في إسرائيل حين استطاعوا أن ينقلوا القوات غرب القناة ، ولم يكن هناك عسكري واحد احتياطي ، وخرجوا متسربين ودخلوا وكسروا حائط الصواريخ .. مأساة .. هذه جريمة كبرى بكل المقاييس ، هناك مؤامرة على الجيش المصري في عام ١٩٧٣م) [1] .



(١) نفسه ص ٣٤٥ وينظر كتابي الفريق الشاذلي تحته : ١. قصتي مع السادات ٢. مذكرات حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

حركة الانقلاب العسكري بمصر في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م

« الوجه الآخر »

من العجائب التي لا يلتفت إليها الكثيرون : الاحتفال بمناسبة ٢٣ يوليو باعتبارها ثورة حققت الانتصارات وخلصت مصر من حكم الملكية الديكتاتورية والفساد السياسي وسيطرة رأس المال ، وأجبرت إنجلترا على الجلاء عن مصر .

وربما تُعذر الأجيال الشابة إذا احتفلت بهذه المناسبة ؛ لأنها لُقنّت وفق مناهج الدراسة بالمدارس والجامعات بأنها حققت لمصر الأمجاد ، وكانت بداية عصر جديد للحرية والاستقلال والنهضة في ميادين الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتعليم والصناعة والزراعة .

ولكن لا عذر لنا ـ معشر الشيوخ الذين عاصرنا تلك الحركة في شبابنا ـ ؛ إذا سكتنا عن الحق ، ولم نكشف الوجه الآخر لتلك الحركة ؛ لأننا عشنا الأوهام الكبرى التي روجت لها أجهزة الإعلام ، وفقدنا وعينا بفعل الإلحاح على الأكاذيب ليل نهار ، ولم نفق من غيبوبتنا إلا على وقع الهزيمة النكراء عام ١٩٦٧م [1] وضياع القدس ، ووقوع المسجد الأقصى المبارك بأيدي اليهود .

إنها رواية أليمة بكل المقاييس ؛ إذ تتفوّق بواقعيتها المريرة على خيال عباقرة الأدباء المبدعين .

---

(١) قامت حرب ٥ يونيو ١٩٦٧م بين مصر وإسرائيل ، وانتهت في دقائق بهزيمة ساحقة ماحقة ، وظل عبد الناصر بأمر أجهزة إعلامه ثلاثة أيام تنشر على الشعب عدد الطائرات الإسرائيلية التي أسقطها جيشه حتى بلغت ما يقرب من أربعمائة طائرة والشعب يجتمع حول أجهزة الإعلام المسموعة يهلل ويكبر ويرقص فرحًا . ص ٢٣٧ .

وفي خطبة ألقاها حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية حينذاك بمناسبة مولد النبي ﷺ بجمعية الشبان المسلمين ، قال عند وصفه لحرب ١٩٦٧م أن فيها خيانة . ص ٢٩٤ .

عمر التلمساني (قال الناس ولم أقل في حكم عبد الناصر) . ط دار الأنصار بالقاهرة ١٤٠٠ هـ / ١٩٩٠م .

إن دراسة آثار حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م تؤكد أنها أخطأت الطريق إلى الحرية والاستقلال الحقيقي ؛ إذ استبدلت بالاستعمار الانجليزي الاستعمار الروسي الذي كان أشد وطأة من الأول ، واستخدمت لافتات الاشتراكية ؛ لتغطية الوجه الأسود للماركسية الملحدة ، ورُوِّج للميثاق الوطني والدعوة إلى حفظه عن ظهر قلب بدلًا من القرآن الكريم.

واستمر حكم الحزب الواحد لدعم الدكتاتور بأسماء متوالية : هيئة التحرير ١٩٥٢م ثم الاتحاد القومي ١٩٥٧م ، ثم الاتحاد الاشتراكي العربي ١٩٦٢م[1].

إن حركة الانقلاب العسكري في ٢٣ يوليو بمصر والتي تبعتها حركات أخرى في بلاد العالم العربي والاسلامي هي في الحقيقة انقلابات عسكرية وليست ثورات بالمعنى الصحيح للثورات ؛ (لأن الثورات الإصلاحية والديمقراطية التي تستهدف حرية الشعوب وتقدمها ورخاءها مثل الثورة الأمريكية التي أرغمت المحتل الإنجليزي على الرحيل ، والثورة الفرنسية التي قضت على حكم الطغيان والفساد ، وهاتان الثورتان لم تستبدلا باحتلال أجنبي حكمًا فردًا مستبدًا ، ولا بطغيان وفساد طغيانًا وفسادًا آخر ، كلا لأن كلتا الثورتين كانت غايتها الإصلاح والحرية والرخاء لشعوبها وأخيرًا الثورة المصرية السلمية ثورة ٢٥ يناير التي تأخر اشتعالها ستين عامًا)[2] .

ولم نذهب بعيدًا ؟ وقد قام الشعب المصري بثلاث ثورات حقيقية ؛ لطرد المستعمر الأجنبي : ثورتا القاهرة لطرد الجيش الفرنسي بقيادة نابليون الصليبي الحاقد وثورة ١٩١٩م ضد الاحتلال البريطاني ؟

وقد لخص الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله حقيقة حكم عبد الناصر في نسق متكامل ، وقد شهدت الوثائق التاريخية بصحتها .

---

(١) ثم لبس رداء (الحزب الوطني) بفعل السادات ! بينما الحزب الوطني الأصلي بقيادة مصطفى كامل منه براء .

(٢) حسين ياسين ، مقال بعنوان (أين الخلل ؟ لماذا تخلف العرب والمسلمون وتقدم غيرهم ؟) مجلة (التبيان) رجب ١٤٣٢هـ - يونيو ٢٠١١م ص ٦٠ .

قال :

(وحتى لا يضيع هذا المجهود ، وحتى لا تنفلت هذه المعلومات من رأس القارئ ؛ آثرت أن ألخص لك جانبًا من مساوئ سياسة حكم جمال عبد الناصر لمصر .

تعال نعد معًا ما نستطيع أن نعدده من مصائب وويلات ونكبات وأهوال وفظائع جانب من حكم عبد الناصر :

١ . قتل الإنسان المصري في داخل الإنسان المصري .

٢ . أفقر الشعب بحرب اليمن .

٣ . أذل الشعب بهزيمة سنة ١٩٦٧م .

٤ . التضحية بأموال مصر وأبنائها على أرض الكونغو ؛ انتصارًا للشيوعي لومومبا .

٥ . القضاء على اقتصاد الشعب بسوء التصرفات استغلالًا واختلاسًا .

٦ . إشاعة النفاق بين أفراد الشعب بسبب الإشادة بشعار أهل الثقة مقدمين على ذوي الكفاءة .

٧ . إهدار الثقة في القضاء بقانون إصلاح القضاء .

٨ . هتك الأعراض .

٩ . السجون والمعتقلات .

١٠ . إفساد أساليب التربية والتعليم .

١١ . الفساد والإسفاف والجنس والإلحاد في كل وسائل الإعلام .

١٢ . مصادرة الأموال بالحراسات والتأميم .

١٣ . المزج الكامل بين الاشتراكية والشيوعية فسادت الشيوعية .

١٤ . تلويث سمعة مصر بتسمية فريق من أبنائها أنهم أعداء الشعب .

١٥ . قضت على الوحدة العربية ؛ بتقسيم الدول العربية إلى رجعية وأخرى تقدمية .

١٦. تدمير الحريات والقضاء عليها .

١٧. أصبح الحكم في مصر حكم الفرد الواحد .

١٨. تكميم الصحف بإخضاعها لأشد أنواع الرقابة فصارت صحفًا موجهة .

١٩. لم يعد في مصر إلا رأي واحد يعبر عنه صحفي واحد، وهو محمد حسنين هيكل .

٢٠. انتشار المحاكم العسكرية التي كانت تصدر أحكامًا مرسلة إليها من رئاسة الجمهورية .

٢١. عشرات الألوف أدخلوا السجن والمعتقلات ظلمًا وعدوانًا بمحاكمات شكلية .

٢٢. الإفحاش في التعذيب إلى أقصى الحدود داخل السجون والمعتقلات .

٢٣. حل السفير الروسي محل المندوب السامي البريطاني .

٢٤. هروب الكفاءات من مصر ؛ فانحط المستوى العلمي والثقافي والتربوي .

٢٥. مسئولية عبد الناصر عن جميع أنواع التعذيب باعتراف المحامين في الكثير من قضايا التعذيب .

٢٦. طلب عبد الناصر من روسيا احتلال مصر عندما طلب منها أن تحمي مصر بسلاحها الجوي . وهذا ثابت رسميًّا .

٢٧. طغت موجه عارمة من الإلحاد والانحلال في مصر وتسربت منها إلى المنطقة كلها .

٢٨. فصل السودان عن مصر .

٢٩. إشغال الشباب بالسينما والمسرح والكرة ؛ كي لا ينشغلوا بإفساده لكل ما في مصر .

٣٠. في يوم من الأيام أصبحت مصر في جيب الاتحاد السوفيتي .

٣١. رهنت مصر كل محصولاتها للاتحاد السوفيتي في مقابل أسلحة متخلفة .

٣٢. صدرت أوامر عبد الناصر بعدم شراء أي مصنع أو لوازم أي مصنع إلا من الاتحاد السوفيتي حتى ولو كانت هذه المصانع بالية لا تعمل .

٣٣. لا نشتري الأسلحة برية وجوية وبحرية إلا من روسيا .

٣٤. سمة الحكم هي الاغتيال وتدبير المؤامرات في عنف يصل إلى حد إزهاق الأرواح تحت التعذيب .

٣٥. أسماء الوزراء تعرض على السفير الروسي قبل تأليف الوزارات فيشطب ويضيف كما يشاء ، ولا ترد كلمته .

٣٦. أجهزة الإعلام تولاها الشيوعيون الذين يرضى عنهم ويرشحهم السفير الروسي .

٣٧. لأول مرة يدخل الوزارة المصرية التي دين دولتها الإسلام وزراء شيوعيون .

٣٨. لم تعد لنا سياسة خارجية إلا عن طريق الإتحاد السوفيتي .

٣٩. فوض عبد الناصر روسيا للتفاوض مع الولايات المتحدة باسم مصر .

٤٠. طلبت مصر سرًا من روسيا أن تسمح لها بالدخول في حلف وارسو ، فرفضت روسيا .

٤١. جعل أهل مصر شيعًا كما فعل فرعون . فمالك الأرض والفلاح خصمان . وصاحب البيت والساكن عدوان . وصاحب المصنع والعامل ضدان .

٤٢. التمزق الأسري والاجتماعي والشعبي .

٤٣. مهاجمة رؤساء الدول علانية في الحفلات ، ثم الذهاب إلى سفاراتهم ليلًا للاعتذار .

٤٤. قتل الإحساس بالانتماء للوطن .

٤٥. ماتت روح الطموح والإنتاج في نفوس الشباب .

٤٦. التفاوض مع إسرائيل سرًا ، والتظاهر بالهجوم عليها علانية .

٤٧. قبول مشورة السفير الروسي بتقبل الضربة الأولى في حرب سنة ١٩٦٧م فكانت القاضية .

٤٨. إقامة السد العالي مع أخطاره المتوقعة . ودخلنا في حرب سنة ١٩٥٦م بسببه .

٤٩. تأميم القناة فجرت الخراب على مصر . مع أنها كانت ستعود إلى مصر بلا مقابل بعد سنوات طبقًا لشروط الاتفاقية التي وضعت بشأنها عند حفرها .

٥٠. تنازل عبد الناصر عن كثير من الآثار القيمة لروسيا دون مقابل .

٥١. تهديد المعذبين بالاعتداء على بناتهم وأمهاتهم وزوجاتهم وأخواتهم إذا لم يعترفوا بصحة الوقائع المنسوبة إليهم زيفًا وزورًا .

٥٢. استلم اقتصاد مصر دائنًا لإنجلترا بمبلغ أربعمائة مليون جنيه إسترليني ، ومات واقتصاد مصر تحت الصفر .

٥٣. الانتخابات كانت تعيينًا .

٥٤. خسرنا كل سمعة أدبية أو اقتصادية أو عسكرية أو سياسية أو ديموقراطية أو اجتماعية في العالم .

٥٥. شتم جميع رؤساء الدول العربية على وجه التقريب وأمريكا وألمانيا ، بألفاظ لا تليق برئيس دولة تمثل أمة محترمة .

٥٦. استعمل اليخت المحروسة في كل رحلاته إلى أوروبا تقريبًا ، وكان يهاجم فاروق من هذه الناحية .

٥٧. سكن كل القصور الملكية بالقاهرة والإسكندرية وغيرها .

٥٨. تدخل في كل الانقلابات العسكرية التي حصلت في المنطقة وكبدنا ملايين الملايين من الجنيهات .

٥٩. أفلس الخزانة حتى أصبح الجنيه المصري غير مقبول للتعامل به في الأسواق الخارجية .

٦٠. نشر الرعب والفزع في قلوب المواطنين جميعًا .

٦١. جعل رجال الدين يبدون في الأفلام بصورة مهزأة مزرية .

٦٢. طارد كل متدين ، حتى أصبح المتدينون يستخفون في تدينهم .

٦٣. يستسهل سرد الوقائع محرفة في استهتار بالغ .

٦٤. قضى على زعامة مصر للعالم الإسلامي .

٦٥. أضاع كل أجزاء مصر شرق القناة .

٦٦. أطلق سراح الشيوعيين المعتقلين ، وأبقى المعتقلين من الإخوان المسلمين .

٦٧. كانت أشرطة التسجيل المرئية والسمعية تعرض في صالونه في سهراته .

٦٨. أباح لحاشيته أن تفعل ما تشاء بمن تشاء دون محاسبة ولا رقابة .

٦٩. شائعات عن تهريب أموال إلى الخارج في حسابات سرية بالبنوك الأجنبية .

٧٠. إهمال صيانة المرافق العامة كلها ، وبعثرة الأموال في المؤامرات والانقلابات الخارجية .

٧١. إحضار خصومه الهاربين إلى الخارج بوسائل بوليسية كلفت المالية إنفاقًا كبيرًا من جراء إحضارهم في صناديق مغلقة بعد تخديرهم .

إن الحصر ليعييني ؛ إذا ما رحت أستقصي مساوئ هذا المخلوق وآثامه في حق هذا الوطن الذي قضى على كل شيء فيه قضاء مبرمًا .

لقد أراد أمرًا بيته هو وأحبابه الشيوعيون ، وأراد الله أمرًا آخر ، فكان ما أراده الله طبعًا ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢٠-٢٢] .

ولئن هالك ما علمت ، فيوم تنشر الوثائق الرسمية لذلك العهد ، فأسأل الله ألا تخر مغشيًا عليك من هول وفداحة ما ستعلمه وتطلع عليه) [١] .

❋ ❋ ❋

(١) عمر التلمساني (قال الناس ولم أقل في حكم عبد الناصر) من ص ٣٢٥ إلى ص ٣٣١ ، دار الأنصار بالقاهرة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

إضعاف الإسلام في مصر

أما الضربات التي كالتها حركة ٢٣ يوليو للإسلام والأزهر، فيحصرها الشيخ أحمد المحلاوي ـ حفظه الله تعالى ـ في الوقائع التالية، قال [منذ قيام (ثورة) يوليو ١٩٥٢م كان هناك مخطط لإضعاف الإسلام في قلعته الحصينة: مصر، وتمثّل هذا في حل هيئة كبار العلماء، وكان هذا القرار ضربة قاصمة للأزهر، وضرب التيار الإسلامي ممثلًا في الإخوان المسلمين، مع أن بعض قادة (الثورة) كانوا من الإخوان، وإلغاء المحكمة الشرعية التي كان قضاتها ومحاموها وكل هيآتها من الأزهر، وتمّ هذا الإلغاء بطريقة فجّة ووقحة بسبب اتهام شيخين من قضاتها بالانحراف، وهل إذا انحرف قاضي نلغي المحاكم؟ أمر غير منطقي!

ولكن هذا ما تمّ؛ لتشويه القضاء الشرعي، أضف إلى ذلك، ما هو أشنع وهو إلغاء ونهب الأوقاف الإسلامية وحدها، فالأوقاف القبطية موجودة حتى الآن. وهذه الأوقاف كانت تعني استقلالية الدعوة والأزهر، فلم يكن الأزهر بهيئاته، وكذلك الدعوة، تتقاضيان مليمًا واحدًا من الدولة، إنما كان لهما مخصصات كبيرة من هذه الأوقاف، فكانت كل مصاريف التعليم الأزهري من كتب وأحبار وأوراق ومسكن ومعيشة كلها مجانًا، كذلك الدعاة والوعّاظ والمدرسون كانوا يتقاضون رواتبهم من هذه الأوقاف التي صادرتها (ثورة) يوليو .. وبعد ذلك جاء ما يسمى بتطوير الأزهر الذي خرَّب المناهج الأزهرية وأثقل كاهل الطلاب بمنهجين: أحدهما أزهري والآخر مدني، فضلًا عن السماح بدخول أصحاب المجاميع المتدنية في الثانوية العامة إلى جامعة الأزهر .. فترسّخ الجهل والغش والفساد، وهذا ما نعاني من آثاره حتى الآن ..

هذه بعض خطايا (الثورة) في حق الإسلام والأزهر] (١).

وفي موضع آخر، قال الشيخ المحلّاوي ـ حفظه الله تعالى ـ: (وعبد الناصر عمل أخطاءً فادحة ضد الإسلام والمسلمين لصالح أمريكا) (٢).

---

(١)، (٢) جريدة (اللواء الإسلامي) العدد ١٥٤٦ الخميس ١٧ شوال ١٤٣٢هـ = ١٥ سبتمبر ٢٠١١م صفحة ٣.

في مواجهة التزييف (منجزات الثورة : الرأي الآخر)

ويأتي في هذا المقال بيان دور المؤرخين لنعرض آراءهم تقويمًا وتصحيحًا في كل واقعة على حدة .

١. الانتصار في حرب ١٩٥٦م :

ونستند في بيان الحقيقة إلى فقرات من رسالة عبد الناصر إلى محمود فوزي في ٥ ديسمبر ١٩٥٦م وفحواها الآتي :

(١. تم الانسحاب من سيناء كلها واحتلتها إسرائيل بالكامل ، كما احتلت مضيق تيران وأعلنت حرية الملاحة الإسرائيلية فيه .

٢. تحول الجيش المصري ـ بنص عبارة عبد الناصر ـ إلى « بقايا جيش محطم » .

٣. خسرنا من العتاد الحربي ما قيمته ـ بنص كلمات عبد الناصر ـ : مائة وثلاثة ملايين جنيه مصري ، أو كل صفقة السلاح الروسي كاملة .

٤. دمرت إسرائيل طرق المواصلات والسكك الحديدية في سيناء ، وكذلك قامت بوضع ألغام على هذه الطرق .

٥. والمذابح ما زالت مستمرة بطريقة منتظمة ، والتخريب قائم على نطاق واسع وجميع المنشآت الموجودة في سيناء ، وعلمت أنهم يسرقون البترول الخام في سدر وبلاعيم في مراكب تتجه إلى ميناء إيلات)[1] .

وكان من شروط انسحاب إسرائيل من سيناء السماح لها بالمرور من خليج العقبة ، وظل هذا الشرط في طي الكتمان حتى عشية حرب ١٩٦٧م .

يقول الأستاذ محمد جلال كشك : (الحقائق تؤكد أن القيادة المصرية فشلت وهزمت في حرب سيناء سياسيًا ودبلوماسيًا مما مكن إسرائيل من تحقيق هدفها

---

(١) محمد جلال كشك (كلمتي للمغفلين) ص ٣٠٥-٣٠٦ دار ثابت بالقاهرة ط ٢ ـ ١٩٨٥م .

المرحلي الذي من أجله دخلت الحرب ... أي : ضمان حرية الملاحة في إيلات وتدمير الجيش المصري في سيناء ، ووقف عمليات الفدائيين ضد إسرائيل من قطاع غزة)[١] .

٢ـ الإصلاح الزراعي :

يؤرخ الأستاذ محمد جلال كشك للمشروع فينسبه للأمريكين ، وتعليل ذلك أن مخابراتها سجلت حينذاك أن مصر تغلي بنذر ثورة فلاحية تحمل شتى الاحتمالات ، ليس فقط تصفية الإقطاع أو كبار الملاك ، بل ـ أيضًا ـ إطلاق تلك القوة الأسطورية التي لم تتحرك إلا بضعة شهور في ثورة ١٩١٩م وعلى نطاق جزئي ، ولو ثار الفلاح المصري ثورة شاملة ذات أبعاد وطنية ؛ لتغير وجه المنطقة .

وبهذا التعليل فإن الإصلاح الزراعي كان عملًا مضادًا للثورة الفلاحية وليس عملًا ثوريًا ؛ إذ قبل هذا الإصلاح كان الفلاح الصغير هو قائد الثورة مرتبطًا ومتحالفًا مع فقراء الفلاحين ضد المالك الكبير ، أما بعد الإصلاح الزراعي فإن العداء الذي يمزّق الريف والحقد الطبقي هو بين المالك الصغير والمستأجر ، حيث أصبح المستأجر هو الذي يستغل المالك الصغير المغبون ، وبذلك يستحيل اتفاق الطبقتين على موقف من السلطة .

كذلك فإن تفتيت الأرض الزراعية كان في مخطط بعض الأطراف الأمريكية ؛ لتدمير منافسة القطن المصري طويل التيلة للقطن الأمريكي[٢] .

---

(١) نفسه ص ٣٠٦-٣٠٧ ، وينظر في كتاب د/ أحمد شلبي (موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جـ١ سنة ١٩٨٠م ، دراسة تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر : ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم ، ويقع الكتاب في نحو ثمانمائة صفحة من القطع الكبير ، مكتبة النهضة المصرية .

(٢) محمد جلال كشك (ثورة ٢٣ يوليو الأمريكية) ص ١٧٢-١٧٣ باختصار ، الزهراء للإعلام العربي بمصر ط٢ـ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٢. السد العالي :

كان المفروض عند إنشاء هذا المشروع الضخم كما يذكر الأستاذ جلال كشك أن يُطرح للمناقشة في أوساط المهندسين والجيولوجيين والزراعيين وخبراء الثروة البحرية والأمراض المستوطنة ومجلس الأمن القومي .. حول مكاسب ومخاطر المشروع من إمكانيات الزلازل واحتمال ضربه من العدو إلى مستقبل الكائنات البحرية والنحر عند المصب .. إلخ ..

ولكن ذلك لم يحدث ، بل كان مجرد قرار سياسي من شخص غير ذي دراية فنية ، لم يقرأ كتابًا في حياته بعد الثانوية العامة إلا ما يكفي للتخرج من كلية الطيران (وقد رفض « المهندسون » قبل الثورة الاهتمام بالفكرة إلى أن اصطادها مجنون مجلس الثورة جمال سالم ففتنه المشروع وتبناه حتى أن أحدًا من أعضاء مجلس قيادة الثورة لم يبذل جهدًا لمعرفة تفاصيل المشروع) [1] .

وبالمقارنة بين الفوائد والأضرار ؛ يتضح أن مصر لم تصبح مصر بمجرد توفر الماء ، بل بنظام الفيضان الذي كان يغسل أرضها مرة كل سنة فيحمل الأملاح إلى البحر ثم يعوض النقص في التربة بإلقاء طبقة جديدة من الطمي والمعادن المفيدة للأرض كل عام ، أي : ملايين الأطنان من المخصبات الطبيعية والطمي بلا تكلفة وفي أتقن عملية رش ، بل اكتشفنا اليوم ـ كما يقول جلال كشك ـ أن الفيضان كان يغرق جحور الفئران ويقتل منها العدد الذي يبقيها في إطار التوازن الطبيعي ، فلما منعنا الفيضان وخرجت الصحف تبشرنا بعنوان لا يُنسى : « هذا العام : هو آخر فيضان النيل .. انتصرنا على النيل » ، ونمت الفئران وتكاثرت ، حتى أكلت ما زرعه

---

(١) محمد جلال كشك (كلمتي للمغفلين) ص ٢٣٦ ويذكر أن الروس أنفسهم نبهوا للأخطاء المحتملة ولكن لا أحد سمع لهم .

الفلاح بماء السد وما قبل السد ... وقيل : إنه إذا ضُرب السد أو سقط بفعل زلزال سيؤدي إلى إغراق مصر إلى القاهرة وبارتفاع الدور الرابع ! [(١)].

ولكن بفعل تأثير الإعلام الطاغي الذي لا يسمح بسماع صوت الآخر ؛ أصبح المشروع من قدسية (الثورة) يحيط به إرهابها ورهبتها وارتفاعها فوق مستوى النقد والمناقشة ، وكل نقد له خيانة وعمالة للاستعمار تؤدي إلى إسقاط الجنسية [(٢)].

وكان ذلك على حساب مشروعات أخرى جديرة بتحقيق نهضة اقتصادية شاملة ، كما يسجل ذلك الدكتور حسين مؤنس ، المؤرخ الثبت ، قال : (ومشروعات المدن الجديدة في الصحراء كلها ، قدمها لعبد الناصر رجال مصريون مخلصون ، ولكن عبد الناصر كان يحتقر العلماء ، ويحتقر الكتاب الأحرار ، ويحتقر كل صاحب رأي وكرامة ، وقد تقدم له مهندس مصري صادق بكل وجوه النقد والنقص في مشروع السد العالي ، وكل ما قاله هذا الرجل المخلص كان حقًا ، ونحن نعالجه اليوم ، ولكن عبد النصر عاقب ذلك الرجل وطرده من الحكومة ، وأنا أكتب هذه السطور ويقرأها عالم مصري جليل كان يشرف عام ١٩٥٥م على مجلس أبحاث الذرة ومجلس العلوم ، ولكن عبد الناصر اضطهده وطرده ، والرجل غادر مصر وعمل في الأمم المتحدة ، وأنشأ إحدى منظماتها الكبرى وأصبح ثالث رجل في الأمم المتحدة كلها) [(٣)].

حادث الاعتداء على حياته بالمنشية بالإسكندرية :

في تحليل المؤرخ العسكري جمال حماد لسلوكيات عبد الناصر ربط بين قيامه بالتخلص من زملائه والمقربين منه أولًا ، ثم تحول إلى التنكيل بمعارضيه من شعب مصر .

---

(١) نفسه ص ٢٣٥ ولا ننسى التهديدات المستمرة من قبل بعض الإسرائليين بضرب السد بالقنابل الذرية .

(٢) نفسه ص ٢٣٦ .

(٣) د/ حسين مؤنس (باشوات وسوبر باشوات - صورة مصر في عصرين) ص ١٨٣-١٨٤ الزهراء للإعلام العربي بمصر عام ١٩٨٥م

فقد (نجح عبد الناصر في تنفيذ مخططه ببراعة تامة ، ففي خلال فترة الانتقال التي حددت بثلاث سنوات تمكن من تصفية كل منافسيه الأقوياء داخل مجلس قيادة الثورة ومن كل معارضيه المشاكسين من صفوف الضباط الأحرار ، فقد أطاح بالعقيد رشاد مهنا الوصي على العرش وصاحب الشعبية الكبيرة في سلاح المدفعية في ١٤/ ١٠/ ١٩٥٢م ، كما تم له تنحية اللواء محمد نجيب عن رئاسة الجمهورية في ١٤/ ١١/ ١٩٥٤م ، بعد صراع مرير على السلطة احتدم بينهما خلال شهري : فبراير ومارس عام ١٩٥٤م حتى كادت البلاد تتعرض لحرب أهلية مدمرة ، ونظرًا لأن مجموعتي ضباط المدفعية والفرسان كانتا أقوى مجموعات الضباط الأحرار وأكثرها عددًا وأشدها صلابة وتكتلًا ، لذلك تم ضرب مجموعة المدفعية وتشتيت ضباطها وإلقاء زعمائها في السجن في ١٥/ ١/ ١٩٥٣م فيما عرف باسم قضية المدفعية ، كما حاقت الضربة بمجموعة سلاح الفرسان في أعقاب أحداث فبراير ومارس عام ١٩٥٤م التي أسفرت عن تراجع مجلس الثورة عن قراراته التي أصدرها في ٥ و٢٥ مارس عام ١٩٥٤م ، وتقلص نفوذ محمد نجيب ، وانتهى الأمر بإلقاء طائفة من أبرز الضباط الأحرار بسلاح الفرسان في السجن ، ونقل طائفة أخرى منهم إلى وظائف مدنية ، وإبعاد الباقين عن سلاح الفرسان) [1] .

وفي مطلع عام ١٩٥٤م لم يكن باقيًا في الساحة السياسية في مصر سوى جماعة الإخوان المسلمين التي أسهمت بدورها في مؤازرة حركة الجيش عند قيامها ، ثم حل عبد الناصر جماعتهم وصادر أموالها وممتلكاتها وزج بقادتها في أعماق السجون .

وعلى أثر حادث محاولة الاعتداء على حياته في مساء ٢٦/ ١٠/ ١٩٥٤ م بالمنشية بالإسكندرية تعرضت الجماعة لمحنة دامية لم يسبق لها مثيل ، فقد قامت على أثر الحادث حملة اعتقالات واسعة النطاق شملت عدة آلاف ، وتشكلت محكمة عسكرية

---

(١) جمال حماد (الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر) ص ٩٨ الزهراء للإعلام العربي عام ١٤١٢ هـ ١٩٩١م .

برئاسة جمال سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعي ، وأصدرت حكمها بالإعدام شنقًا على سبعة أفراد ، هم المرشد العام حسن الهضيبي ومحمود عبد اللطيف وهنداوي دوير ومحمد فرغلي ، وقد خفف الحكم على حسن الهضيبي إلى السجن المؤبد لكبر سنه .. وبلغ عدد الذين حكمت عليهم المحكمة من الإخوان ٨٦٧ شخصًا سواء بالحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة [١] .

وقد قام الدكتور أحمد شلبي المؤرخ المعروف بدراسة هذا الحادث من كافة جوانبه وأقام دعاماته على الأحداث والأقوال المحيطة بالحادث ، وأثبت وجود ثغرات عديدة فيما رؤي عنها بواسطة وسائل الإعلام .

ونكتفي بتسجيل رواية واحدة لصلاح الشاهد إذ قال أنه (كان يقود سيارته مساء يوم ٢٦ وسمع جزءًا من خطاب الرئيس من مذياع بالسيارة ثم سمع الطلقات ، فأسرع نحو بيت الرئيس ؛ ليكون مع أولاده في هذه الأزمة ، ولم يجد صلاح الشاهد بالبيت اضطرابًا أو ذعرًا ، وأخذ يداعب أولاد الرئيس الذين كانوا يلعبون ، وهذا يوحي بأن الأسرة كانت تعلم سلفًا بما سيجري ، وقد شاهد هذا الاطمئنان قبل أن يتصل بهم عبد الناصر من الإسكندرية) [٢] .

كذلك صرّح محمد نجيب في مقال له بمجلة (الرأي) الكويتية أن فكرة إطلاق الرصاص على عبد الناصر بالإسكندرية تتحدث عن مؤامرة وهمية من أولها إلى آخرها ، وكانت مرتّبة بواسطة رجل من أجهزة المباحث العامة ، وقد كوفئ بمنصب كبير أُسند إليه ، وقد استطاع هذا الرجل استئجار شاب مصاب بجنون العظمة ، وأغراه بأنه لو اعترف بأنه حاول قتل عبد الناصر فسينال مكافأة ضخمة ويسمح له بالهجرة خارج البلاد .. فلما وقع هذا في الفخ واعترف ، صدر الحكم بإعدامه حتى يموت ويموت معه السر [٣] .

---

(١) نفسه ص ١١ .

(٢) أحمد شلبي (موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية) مكتبة النهضة المصرية جـ ٩ ص ٤٢٨ .

(٣) نفسه ص ٤٢٨ / ٤٢٩ (مجلة الرأى الكويتية في ٢٤/ ٨/ ١٩٧٥م) .

ثم توالت بعد ذلك البحوث لكي توضح أن الحادث مفتعل ؛ لتحقيق مكاسب سياسية ، منها : تصعيد نجومية عبد الناصر ، والزج في السجون بمعارضيه وتنحية محمد نجيب [١] .

يقول جلال كشك (أبلغني سفير دولة عربية أن حسن صبري الخولي الضابط والممثل الشخصي لعبد الناصر اعترف له شخصيًا (أي : الخولي) قد حضر بعض تدريبات محمود عبد اللطيف على تنفيذ عملية المنشية ، أي أن محمود عبد اللطيف كان تحت إشراف المخابرات المصرية قبل الحادث وجرى تدريبه عليه بمعرفتهم .

ويقول حسن التهامي : (عقد اجتماع ضم بول لينيا رجر « مسؤول الدعاية السوداء بالمخابرات الأمريكية » وعبد الحكيم عامر وزكريا محيي الدين وحسن التهامي وعبد القادر حاتم وجمال عبد الناصر ، وفي هذا الاجتماع اقترح بول افتعال محاولة للاعتداء على عبد الناصر تكون سلمية التدبير وتقوم بها عناصر مختارة في هذا الصدد ، فتكون عملية إطلاق الرصاص على عبد الناصر تمثيلية صورية محكمة وذات تأمين كافٍ لتنفيذها ، وسيجذب الحادث مشاعر الشعب نحوه ؛ لما يراه فيه من مظاهر الشجاعة وثباته وعدم خوفه أو اهتزازه ... والذي حدث ـ فعلًا ـ أنه لم يفاجأ أو يضطرب بعد سماع الطلقات ، وأخذ يواصل خطابه بطريقة مسرحية (كلكم جمال عبد الناصر ؛ إن مات جمال عبد الناصر ، لقد خلقت فيكم العزة وخلقت فيكم الكرامة) ! [٢] .

ولا تعليق !!!

---

(١) من الكتب التي عالجت الحادث : ١ ـ علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية ـ محمد جلال كشك ، ٢ ـ لعبة الأمم وعبد الناصر ـ محمد الطويل ، ٣ ـ لاعب اللعبة ـ مايلزكوبلاد ـ جريدة الشرق الأوسط اللندنية ١٠/ ٧/ ١٩٨٩م .

(٢) أحمد عبد المجيد ، مقال بعنوان (أضواء على حادث المنشية) بمجلة (المنار الجديدة) بمصر ـ شوال ١٤٢٢ هـ ـ يناير ٢٠٠٢م ، ص ١٠٢ / ١٠٣

الدكتور مصطفى محمود شاهد على عصر عبد الناصر:

(وجمال عبد الناصر قائد كبير نعرفه ، ونعرف أعماله ، فقد أخرج الإنجليز ، وأمم القنال ، وأعلن الوحدة ، وحقق المجانية ، وطبق الإصلاح الزراعي مع بعض التعديلات البسيطة . فقد أخرج الإنجليز وأدخل اليهود ، وأمم القنال وردمها ، وأعلن الوحدة العربية في الجرائد ، وحقق التمزق العربي في الواقع ، وكرس الانقسام إلى يمين ويسار ، وإلى رجعية وتقدمية ، وإمبريالية واشتراكية فأصبح اليمن الواحد المتحد دولتين متحاربتين ، يمن شمالي ويمن جنوبي ، والشرخ الذي حدث في اليمن امتد إلى كل قطر وإلى كل دولة عربية وإفريقية ، بل إلى كل أسرة ، فتحول الكل إلى أعداء يأكل بعضهم بعضًا ، ويقتل بعضهم بعضًا تحت مظلة من الحقد اسمها : الصراع الطبقي .. صدَّقَ عبد الناصر كلام الماركسيين بأنها تدفع بالتاريخ إلى الأمام ، وهي تدفعه إلى حتفه .. وما زالت هذه النار ترعى في هذا العالم النامي وتأكل أخضره ويابسه ، فلا تثمر إلا أزمات وفتنًا ، وانقلابات وديونًا ، وهبوطًا في الإنتاج ، ونظمًا قمعية ، وحكومات بوليسية .

وأعلن عبد الناصر مجانية التعليم ؛ لتثمر قراراته عكسها تمامًا ، اللامجانية واللاتعليم ودروسًا خصوصية أضعاف المصروفات القديمة .. وانحدار مستوى التعليم الجامعي ينزل بالجامعة إلى مستوى المدارس الثانوية وأقل .. وهي نتائج طبيعية لقرار فج لم يواكبه تهيئة لإمكانيات ، أو رصد لميزانيات .. فكان هذا القرار في بلد مفلس هو نوع من الفشر ؛ لإرضاء غرائز الشارع ، وتملق الغوغاء .

وجاء عبد الناصر بالإصلاح الزراعي ؛ ليضاعف الإنتاج ، فإذا به يخسف بالإنتاج كمًا ونوعًا ، وإذا بنا نستورد القمح ونتسول الرغيف .

وأدى غياب الديموقرطية على مدى العشرين عامًا من حكم عبد الناصر إلى غلبة قيم النفاق ، والانتهازية ، والسلبية ، والتواكل ، واللامبالاة ، وعدم الانتماء ، وإلى تآكل الشخصية المصرية ، وإصابتها بنوع من الإيدز السياسي الذي لا برء منه .

وأدت أبواق الاشتراكية التي راحت تنفخ في نار الصراع الطبقي وتزيدها سعارًا إلى سقوط هيبة الكبار ، وإلى ميلاد مجتمع الحقد الذي يأكل بعضه بعضًا بلا أمل في نهاية .

وقالوا : إن الرجل بريء ولكن الذنب ذنب أعوانه وحكومته .

ونسألهم ـ ببراءة أيضًا ـ : من اختار أعوانه ؟ ومن عين حكومته ؟ .. من سواه ؟! وهل كان لسواه اختيار ؟

وجاءت هزيمة ٦٧ واحتلال سيناء ، وما أعقب ذلك من خراب اقتصادي ؛ ليؤلف علامة استفهام هائلة .. هي : لماذا قتل من قتل ؟ ولماذا مات المئات من التعذيب في السجون ؟ ولأي قضية ؟ ثم علامة استفهام أكبر ..

لماذا صاحبنا التقدمي ناصري ؟

وماذا تعني كلمة ناصرية ؟

وإذا كانت تعني : السد العالي فإن نفق المترو وحده بأعماله الخرسانية مضافًا إليه عشرات الكباري ، والمصانع والسنترالات ، ومحطات توليد الكهرباء ، والموانى الجديدة ، والمدن السكنية ، والوادي الجديد ، وتوسيع القنال ، وغزو الصحاري ، والتنقيب عن البترول .. إلخ .. إلخ هي أضعاف السد العالي من ناحية الحجم الإنشائي ، ومن ناحية الأثر ..

ولكن المسألة ليست مسألة السد العالي ، ولا التصنيع .. ولا شعارات العدالة الاجتماعية الجوفاء .. وإنما السر شيء آخر ..

السر هو : لذة الانفراد بالحكم والاستعلاء ، والتأله ، والتسلط.

لذة التحكم في رقاب الناس وهذه اللذة هي التي يسيل لها لعاب تلك السلالة، التي لا تجد لها إمامًا تسير خلفه إلا ستالين وأمثاله .

ألم يقل عبد الناصر للقذافي :

إني أرى فيك شبابي ؟

وقد علقها القذافي على باب طرابلس . وهو يعمل بها ، وما زال يعمل بها . ومثله عبد الكريم قاسم وحافظ الأسد والنميري .

إنها سلالة واحدة .

نفوس بها هوس للسلطة والتحكم .

إن إخواننا الشيوعيين والناصريين الذين سقطوا في الانتخابات يدقون الطبول وينفخون الأبواق ؛ ليرددوا الكلام القديم المكرر عن تزييف الانتخابات وتزوير الأصوات .

ولكنا نقول لهم :

أفيقوا يا رفاق .. إن اليسار سقط في العالم كله .. والشيوعيون يفقدون المقاعد في جميع البرلمانات ..

في جميع الدول .. وليس في مصر وحدها ..

وفي الكرملين الأم .. يتراجع جورباتشوف ، ويخلع عن نفسه شعاراتكم ..

واليسار الذي تبقى نشطًا عاملًا في الساحة هو أمثال الألوية الحمراء .. وغيرها .. مجرد خلايا تخريب ، وإرهاب ، وخطف ، وسيارات ملغومة .

أفيقوا ..

إن العالم تغير .. فالحقوا بالقطار قبل أن يكنس التاريخ ما تبقى من السيرة العطرة ، ويذهب بها إلى البالوعة) [1] .

---

(١) د/ مصطفى محمود (سقوط اليسار) ص ٩/ ١٢ ـ دار المعارف بمصر عام ١٩٩١م .

محاربة الغرب لفكرة الوحدة

من خلال الحملات العدائية للتراث الإسلامي

وقد دأب الغرب أثناء استعماره لبلدان العالم الإسلامي على حرمان النشء من الاتصال بتراثهم ، وذلك بإبعاده عن مناهج التعليم والتربية ، وقد عانينا من دور المستشرقين عند تأسيس الجامعة المصرية ، الذين فرضوا ثقافتهم الغربية بالمناهج ، ولا زال تأثيرهم التخريبي ممتدًا إلى الآن ! بل عمد الغرب إلى تكوين جيوش من المنصّرين ؛ لتجوب العالم الإسلامي وغيره بإمكانيات مادية وبشرية هائلة (والأصل في النشاط الكنسي الراهن : محاولة تنصير مسلمي العالم ، وقد عُقدت في الغرب عشرات المؤتمرات من أجل ذلك . ومن أشهرها : مؤتمر كلورادو سنة ١٩٨٧م الذي جُمع فيه ألف مليون دولار من أجل تنصير مسلمي العالم ، وأُسس من خلاله معهد للقيام بهذه المهمة القذرة اسمه : « معهد صمويل زويمر » في كاليفورنيا) (١) .

أضف على ذلك عملية التغريب منذ بدايات القرن الثامن عشر ، ومحاولات إخراج المسلمين من ضوابطهم الأخلاقية والسلوكية النابعة من تراثهم (٢) .

وقد دأبت أوروبا على طرد العثمانيين من أوروبا وتأييد الشعوب البلقانية النصرانية للتحرر من الحكم الإسلامي ، وكان جلادستون الإنجليزي يحمل حقدًا وبغضًا شديدين للدولة العثمانية والإسلام .

وفي الأعماق النفسية لأهل الغرب الذين لم ينسوا قط مغزى انتصار محمد الفاتح ، وفي مغزى سقوط القسطنطينية في أيدي السلطان العثماني محمد الفاتح في ٢٩ مايو ١٤٥٣م ، يذكر الدكتور يونان لبيب أن ما حدث في ذلك اليوم قد (أرخ لسقوط

---

(١) د/ زغلول النجار (الإسلام والغرب في كتابات الغربيين) ص٢٤٩ . نهضة مصر ط٥ سنة ٢٠٠٧م .

(٢) نفسه ص ٨٩.

إمبراطورية الروم التي قام الدولة الإسلامية على أنقاضها .. مصر والشام أولًا ، حتى انتهى الأمر إلى العاصمة العنيدة ، ويعتبر هذا السقوط نقطة فاصلة ، فهو قد أنهى حالة المواجهة مع الإمبراطورية العجوز ، والتي لعبت آخر أدوارها في تهديد الشرق الإسلامي حين كانت معبرًا للحملات الصليبية) [١] .

وظل ساسة الغرب يعملون على تحطيم أي عمل يؤدي إلى إحياء فكرة الوحدة الإسلامية ، فعندما رأى السلطان عبد الحميد في الجامعة الإسلامية سياجًا يحمي الدولة من الأخطار التي كانت تحيط بها من كل جانب أمام أطماع روسيا ، والنمسا ، والمجر ، وبريطانيا .. هاجم حركة الجامعة الإسلامية اللورد كرومر هجومًا عنيفًا ١٩٠٦م ، ووصفها بأنها حركة ترمي إلى تحدي الدول المسيحية ، وأخذ يطعن في الإسلام كغيره من ساسة الغرب ومثقفيه اليوم زاعمًا أنها حركة تقوم على (إحياء نظم ومبادئ وضعت منذ أكثر من ألف عام ؛ لإرشاد وتوجيه مجتمعات بدائية .. وأنها تدمج القوانين المدنية والجنائية والدينية في قالب) [٢] .

ومما يؤيد هذا الرأى ـ كما يذكر الدكتور محمد حرب ـ ما ورد في الصحافة الأوروبية التي أخذت تخيف الغرب من إقامة دولة إسلامية في قلب أوروبا في حالة انتصار المسلمين في البوسنة والهرسك على الصرب [٣] .

أما عن اتفاق « دايتون » فقد حصل الصرب بموجبه على جائزة إدارية من ورائه ، إذ نالوا نصف البوسنة والهرسك ، أما الكروات فقد نالوا ثلاثة أضعاف حجمهم الحقيقي !

---

(١) مقال بعنوان : « قيام تركيا الجديدة » الأهرام ص (٥) ، في ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٠م بقلم الدكتور يونان لبيب .

(٢) نفسه ص (١٦٦ ، ١٦٩) .

(٣) د/ محمد حرب : « البوسنة والهرسك ، من الفتح إلى الكارثة » ص (١١٦) ، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي والبلقان رقم (١) سلسلة بلدان العالم الإسلامي القاهرة ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م .

وهذا مما دفع رئيس الحكومة البوسنية السابق « د/ حارث سيلادزيتش » إلى القول بأن (اتفاقية دايتون تعرقل تقدمنا) [١] .

ومن هذه النماذج وغيرها تتضح حقيقة تآمر أوروبا على المسلمين في يوغوسلافيا منذ ستمائة سنة ، أي : عندما ضم الترك البوسنة والهرسك والجبل الأسود (ومنذ ذلك التاريخ تجمعت أوروبا لمواجهة التحدي الإسلامي ... وإبادة الإسلام من أوروبا)[٢] .

ولا زالت تداعيات الحقد على الخلافة العثمانية مستمرة حتى بعد انتهائها ، وما تفسير المجازر التي حدثت في البوسنة والهرسك إلا ترجمة واقعية لعداء أوروبا للإسلام والمسلمين .

(إن المذبحة التي وقعت لمسلمي البوسنة عام ١٩٩٥م هي وصمة عار في جبين الأمم المتحدة والدول الغربية التي تخاذلت عن حماية مسلمي البوسنة ، وسمحت لصرب البوسنة بالقيام بمذبحتهم الخسيسة تحت سمعهم وبصرهم .

المذبحة تؤكد رفض المجتمعات الأوروبية لوجود جيب إسلامي بينها . تلك المجتمعات التي تتغنى ليل نهار بحرية العقيدة ... كما يماطلون تركيا التي ترغب في الانضمام إلى الاتحاد الأوربي حتى لا تنضم دولة إسلامية بحجم تركيا إليه) [٣] .

وبالرغم من كل ما حدث فإننا على ثقة بإقامة الخلافة ـ أو أي نظام سياسي آخر ، يعيد للأمة وحدتها التي انفرط عقدها ـ وذلك أن الأمة الإسلامية هي مفهوم معنوي كما سيتضح في الصفحات التالية .

---

(١) مجلة العربي الكويتية ـ العدد (٥٦٣) أكتوبر ٢٠٠٥ م.

(٢) محمد جلال كشك « إنهم يذبحون المسلمين ، مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك » ص (٣٥) ، مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة ١٩٩٢م .

(٣) د/ عبد الله غرياوي (وصمة في جبين الإنسانية) الأهرام المسائي ١٧ جمادي الثانية سنة ١٤٢٦ هـ ، ٢٣ يوليو سنة ٢٠٠٥م ويعلق ـ أيضًا ـ بقوله : (على الغرب أن يتخلى عن عنصريته في مواجهة المسلمين من أبنائه ، وأن يعمل على حوار الثقافات وليس صراعها) .

المفهوم المعنوي للأمة الإسلامية :

أما الإحساس بالانتماء إلى أمة الإسلام الذي ظل حيًّا في نفوس المسلمين - حتى بعد إلغاء الخلافة العثمانية - فيرجع إلى ما يُعرف بالمفهوم المعنوي للأمة الإسلامية .

يعرّف الدكتور حامد ربيع الأمة بأنها : الجماعة المنظمة حيث يسيطر مبدأ الإخاء والتضامن . أما كلمة الدولة فلم تعرفها التقاليد الإسلامية الأولى ، فإن محور الخطاب السياسي هو الجماعة ، أي : أولئك الذين هم في تعاطفهم وتراحمهم مثلهم كمثل البنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا ، فلا موضع للأقاليم في التصور الإسلامي للجماعة السياسية .

وفي ضوء هذا المعنى فإن السلطة هي : القوة المنظمة لحياة الأمة التي تسعى أساسًا ؛ لتحقيق الوحدة لتلك الأمة ، ويتقرر على أثر ذلك كله التعريف الجامع للأمة وبيان وظيفتها في نشر الدعوة ، والخلافة أو السلطة بهذا المعنى هي أداة تحقيق تلك الوظيفة الحضارية (١) .

ويؤكد الدكتور حامد ربيع الجوانب والعلاقات المعنوية للجماعة الإسلامية ، فتظل بذلك باقية حتى فترات الانحلال ، حيث ظلت - دائمًا - في جميع مراحل تطورها تستند إلى فكرة أن العلاقة التي تربط مختلف أجزاء الأمة هي أساس مفهوم معنوي ، أو علاقة معنوية ، وهي بهذا تعكس حقيقة الوعي الجماعي بالانتماء المعنوي .

ويتشكل المفهوم المعنوي والحضاري للأمة من انتماء ديني حيث يسيطر كتاب واحد وتعاليم واحدة وتبعية واحدة . ومن ثم تصبح الدولة الإسلامية حقيقة مجردة لا ترتبط بمكان ولا بزمان ، ولا تتحدّد بإقليم أو بحدود مصطنعة وضعها البشر .

وحتى عندما يختفي الخليفة الواحد - بمعنى : تعدد الحكام - فإنه لا يمنع من وجود تلك الدولة ، كما أن الصراعات لا تحول دون استمرارية المفهوم المعنوي للدولة الإسلامية .

---

(١) تدبير الممالك جـ١ ص ١٤٩ .

وإذا تساءلنا ما فائدة وجود الخليفة والنظم النابعة من الخلافة مادام وجود الأمة متحققًا بدونها ؟

عندئذ يجيب الدكتور حامد ربيع بقوله : (إن الخلافة ـ وكذلك النظم الأخرى النابعة منها أو المساندة لها ـ ليست سوى أدوات تسمح لتلك الدولة بتحقيق فاعليّتها في مكان معين أو زمان معين) [١].

تفوق النموذج الحضاري الإسلامي :

يرى الدكتور حامد ربيع رحمه الله أنه وفقًا للمفاهيم السياسية المعاصرة ؛ يظهر تفوّق النموذج الإسلامي للحضارة بقوله :

(فهو نموذج واضح لحضارة سائدة ، استطاعت خلال أقل من قرن أن تسيطر على جميع الشعوب الممتدة من وسط آسيا حتى نهاية غرب البحر المتوسط ، أيدولوجيتها واضحة ومحددة : نشر الدعوة وفرض السلام الإسلامي حيثما استطاعت القوة والإرادة العربية أن توطد أقدامها .

كذلك فإن الاستمرارية التاريخية تميز الحضارة الإسلامية ، وتجعل منها النموذج الوحيد الذي يربط ـ دون أي قطيعة ـ العالم القديم بالعالم المعاصر) [٢] .

أما عن وصفه لاستمرارية الأمة فيقتضي بعض التوسع في الشرح :

فإذا لجأنا إلى التاريخ ؛ فإننا نهدف إلى إثبات استمرارية الأمة حية بالرغم من السهام التي صوبت إليها والأزمات التي حلت بها .

ويزداد يقيننا بهذه الحقيقة إذا تدبرنا كتاب الله ﷻ ونظرنا في بعض آياته . قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا

---

(١) نفسه ص ٩٢.

(٢) د/ حامد ربيع : (سلوك المالك في تدبير الممالك) ص ١١٩ جـ١ ط . دار الشعب بالقاهرة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م .

ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥].

وقال ﷻ : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وقال سبحانه : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وعندما فهم المسلمون هذه الآيات وعملوا بها وارتفعوا إلى مستواها ليصبحوا أهلًا للنصر ؛ أخذ الله ﷻ بأيديهم إلى النصر بالرغم من قلة عددهم وعدتهم وتفوق أعدائهم عليهم جيوشًا وأسلحة ، وهاكم (هرقل) ملك الروم يبدي دهشته ويتعجب من ذلك فيسأل مَنْ حوله هذا السؤال الباحث عن السر ، قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن ، قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ، ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ، ونزني ، ونرتكب الحرام ، وننقض العهد ، ونغضب ، ونظلم ، ونأمر بالسخط وننهى عما يرضى الله ، ونفسد في الأرض ، فقال : (أنت صدقتني) [1].

وإذا التزمنا بنفس صدق مستشار هرقل عند تحليل أوضاعنا الراهنة على ضوء المستوى الذي بلغه أهل تلك القرون ؛ لأصبح معقولًا ومنطقيًا أن نلح على طلب الارتقاء للوصول إلى مراتبهم ودرجاتهم العالية بالسير على مناهجهم مع معرفتنا بصعوبتها على النفوس المترفة اللاهية .

وندعو القارئ ليتدبر على مهل رأي مستشار هرقل مرة أخرى ، وحينئذ سيستخلص سنة من سنن الله ﷻ في النصر والهزيمة ، وأصبح واجبنا الأخذ بهذه السنّة والالتزام بها .

---

(١) ابن كثير (البداية والنهاية) نقلًا عن (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) للعلامة أبي الحسن الندوي .

وأما الآية التي وعد الله ﷻ بها نصرة دينه وظهوره على الدين كله بقوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٩] ، هذه الآية لا تتعارض مع ما قبلها من حيث الأخذ بالأسباب ، إذ لو فهمها الرسول ﷺ أنها ماضية تلقائيًا بغير جهد إنساني متواصل ؛ لما قرأنا في سيرته أنه دعى إلى الله ﷻ بالكلمة والحجة وجاهد في سبيله ﷻ بالنفس والمال والسلاح ، ولكنه فعل ذلك كله ﷺ .

ألا تحثنا الآية على الوقوف عند مغزاها ومدلولاتها ، وتجعلنا نستضيء بأعماله ؛ لنوقن بأن الظهور لا يأتي إلا إذا أخذنا بأسبابه وتحركنا بدواعيه ؟ **هذا هو الدرس الأول** .

أما الدرس الثاني : فلكي نتأكد من بقاء الأمة واستمراريتها على مدى القرون ، وذلك بخلاف الرأى المخالف الذي يصور انتهاء الأمة ونظامها بانتهاء الخلافة الراشدة فيتجاهل بذلك تاريخًا حيًا واقعيًا ما زالت آثاره ماثلة أمامنا ، إذ إن الأمة لم تنته ولم تفقد ذاتيتها بانتهاء الخلافة الراشدة ، كذلك لم يقتصر نظامها السياسي فقط على هذه الفترة المثالية . صحيح إنه فقد مثاليته ولكنه ظل باقيًا ..

يقول الإمام المودودي رحمه الله : (بيد أنه من الخطأ الشديد أن نظن أن هذه التغيرات السياسية قد قضت على نظام الحياة الإسلامي كله قضاء تامًا ؛ إذ إن بعض الناس طالعوا التاريخ مطالعة سطحية ثم قرروا ببساطة أن الإسلام لم يعش غير ثلاثين عامًا انتهى بعدها تمامًا ، مع أن الأمر يختلف عما قرره كل الاختلاف .

ولم يفطن هؤلاء إلى أن كل ما حدث ما هو إلا انقسام في القيادة فقط إلى قسمين ـ القيادة السياسية والقيادة الدينية ـ ويقرر المودودي رحمه الله أنه لم يتأثر من المسلمين بهذه التفرقة المذهبية غير ثمانية أو عشرة في المائة على الأكثر ، أما بقيتهم الباقية فكانت على مذهب الجمهور) (١) .

---

(١) المودودي . الخلافة والملك ص ١٣٥ ، ١٤٨ تعريب أحمد إدريس ط دار القلم بالكويت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .

وهذا ـ أيضًا ـ ما يقرره الدكتور حسين مؤنس ، فبعد بيان أن الأنظمة الخاصة للأئمة قامت على أكتاف القضاة والفقهاء فنجت الأمة من مساءات الحكام ومظالمهم ، وظلت الحضارة الإسلامية كثمرة لجهود الأمة نشطة معظم الوقت تقريبًا ، وحتى في أحوال الركود ، فإن الأمة كانت تغذي مؤسساتها الحضارية كالقضاء والتعليم والفقه والحسبة وغيرها مما لم يصل بحالة الركود إلى درجة الجمود التام [1] .

خيريتها :

قال ﷻ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، بعد عرض ابن كثير لعدة تفسيرات للآية ، قال في النهاية : (والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة ، كل قرن بحسبه ، وخير قرونهم الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

وفي مسند الإمام أحمد ، وجامع الترمذي ، وسنن ابن ماجه ، ومستدرك الحاكم في رواية حكيم بن معاوية بن حيْدة ، عن أبيه قال رسول الله ﷺ : « أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها ، وأنتم أكرم على الله ﷻ » .

وإنما حازت هذه الأمة نصيب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد ﷺ ، فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله ، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبيًا قبله ولا رسولًا من الرسل ، فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه ، كما قال الإمام أحمد .

وانتهى ابن كثير إلى القول بأن من اتّصف من هذه الأمة بهذه الصفات ـ أي : الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر ـ دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم كما قال

---

(١) د/ حسين مؤنس الحضارة ص ١٧٤ الكويت سلسلة عالم المعرفة ـ صفر سنة ١٣٩٨ هـ ـ يناير سنة ١٩٧٨ م .

قتادة : « بلغنا أن عمر بن الخطاب في حجة حجها رأى من الناس سرعة فقرأ هذه الآية ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، ثم قال : من سره أن يكون من تلك الأمة ؛ فليؤد شرط الله فيها » [رواه ابن جرير] .

أي أن عمر رضي الله عنه قد لفت الأنظار إلى علة وصف الأمة بالخيرية .

ويقول ابن كثير : « ومن لم يتصف بذلك ؛ أشبه أهل الكتاب الذين ذمّهم الله بقوله ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ [المائدة: ٧٩] .. الآية ، ولهذا لما مدح ﷺ هذه الأمة على هذه الصفات ؛ شرع في ذمّ أهل الكتاب وتأنيبهم ، فقال : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ أي : بما أنزل على محمد ﷺ ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي : قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ، وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان) اهـ[١] .

❋ ❋ ❋

(١) تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ، المجلد الثاني ص ٨٦ ، تحقيق عبد العزيز غنيم ، محمد أحمد عاشور ، محمد إبراهيم البنا ، ط . الشعب بالقاهرة (بدون تاريخ) .

حضارة الإسلام ، هي حضارة المستقبل بمشيئة الله ﷻ

يبدو هذا العنوان مسرفًا في التفاؤل ، ولكن بحسن اختيارنا له ولإقناع القارئ لا بد من تتبع آراء بعض الفلاسفة والمؤرخين ، وهي ذات شقين :

الأول : الاتفاق على ما يشبه الإجماع بأن حضارة الغرب تعاني مشكلات ضخمة عصية على الحل ، بل رأى البعض أنها في دور الانهيار والأفول على ما سنوضحه بعد قليل .

الثاني : الصحوة الإسلامية الآخذة في الاتساع ، وجذبت الدارسين والمحللين السياسيين للتنبؤ بمستقبلها ، وربما كان المؤرخ البريطاني الشهير ـ منذ القرن الماضي ـ هو أول من تنبأ بأن حضارة الإسلام هي حضارة المستقبل بناء على دراسة مقارنة بين حضارتي : الإسلام والحضارة الغربية .

ونأتي إلى التفصيل :

أولًا : ظهر التنبؤ بانحدار الغرب من المؤرخ الألماني شبنجلر ـ في القرن الماضي ـ (١٩٣٦م) ، وهو صاحب فكرة أن عمر كل حضارة يقدّر بألف سنة ، وكان يقول : إن القرنين التاسع عشر والعشرين يعتبران أعلى نقطة في خط صاعد مستقيم في تاريخ العالم ، وهما ـ في الحقيقة ـ مرحلة من مراحل الحياة يمكن ملاحظتها في تاريخ أي حضارة بلغت نضجها .. وكل من له رغبة في فهم التاريخ في ضوء هذا التفسير ؛ يدرك اقتراب نهاية الحضارة الغربية .

ثم (يؤكد أن مصيرها المحتوم ـ وهو التدهور والهلاك ـ مرتقب في المستقبل المنظور) [1] .

---

(١) شبنجلر (انحدار الغرب ـ الترجمة الإنجليزية) نقلًا عن د. حسين مؤنس (الحضارة) ص٣٥٠ ، عالم المعرفة ـ الكويت ١٣١٨هـ ـ ١٩٧٨م .

ويرى شبنجلر (أن تلازم عصر تنتشر فيه المذاهب اللادينية مع التوسع الاستعماري العالمي يعني أن ذلك عصر تدهور واضمحلال، ويستحيل تجديد شباب هذه الحضارة كما يتعذر استرجاع شتات الكائنات العضوية، لا يمكن أن نفعل شيئًا إذا كنا قد ولدنا في أول شتاء هذه الحضارة، وأنها ليست أزمة طارئة ولكنها مأساة لا يمكن تجنبها؛ إذ لا مفرّ من هذا المصير)[1].

وكانت المقارنة بين مزايا الحضارة الغربية ومساوئها في غير صالحها، بل مدعاة للتشاؤم (فالبرغم من كل ما قدمته المدنية من أسباب الرفاهية المادية فإن إنسان اليوم ليس أسعد حالًا من إنسان الأمس الذي لم يكن ينعم بالمخترعات؛ لأنه قضى على بعض الشرور فقد استبدل بها شرورًا ليست أقل، قضى على الرق ولكنه استبدل به رق الشعوب ممثلًا في الاستعمار بدلًا من رق الأفراد ... فجّر الذرة؛ ليكون تحت رحمة الأسلحة النووية .. انخفض معدل الوفيات إلى حد كبير؛ ليواجه مشكلة تضخم السكان، دخل عصر الفضاء ووطأت قدماه أرض القمر، ولكن لسان حاله يقول: لا يهمني أن أصل إلى القمر؛ ولكن يهمني أن أعيش سعيدًا على الأرض)[2].

كذلك الرئيس الأسبق لأمريكا نيكسون يرى أن الحضارة الأمريكية قد بلغت ذروتها، وها هي ـ الآن ـ تواجه انهيارًا لا سبيل إلى عكس اتجاهه، وأعراض الانهيار تحيط بها، فهناك مشكلة إدمان المخدرات التي تفشت في الشباب، وهناك أزمة التعليم ... إلخ[3]. كما استخلص المؤرخ الأمريكي بول كيندي بكتابه (صعود

---

(١) د/ أحمد صبحي (في فلسفة التاريخ) ص ٢٣. مؤسسة الثقافة الجامعية ـ إسكندرية ١٩٩٠م/ جـ٣. ويرى الدكتور أحمد صبحي رحمه الله أن آراء شبنجلر كان لها تأثير بعيد المدى ـ ليس فحسب في توينبي ـ أكبر مؤرخي العصر ـ وإنما في آراء كثير من مفكري فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية الذين أصبح شغلهم الشاغل الحديث عن مصير الحضارة الغربية وأزمة الأوروبي المعاصر من أمثال كولن ولش وهربرت ماركيوز.

(٢) نفسه ص ١٧٤.

(٣) ريتشارد نيكسون (نصر بلا حرب) ص ٣٢٢ إعداد وتقديم: المشير محمد أبو غزالة. مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٩٩م.

وأفول القوى العظمى) أن الإمبراطوريات الكبرى في التاريخ ابتداء من الإمبراطورية الرومانية وانتهاءً بالإمبراطوريتين : البريطانية والفرنسية سقطت تحت وطأة الكلفة الاقتصادية العالية ، محذرًا من أن الإمبراطورية الأمريكية قد تلقى المصير نفسه [(١)] .

واستند في تحذيره إلى إحصائية تراجع معدل نمو الإنتاجية في الاقتصاد وزيادة الديون الخارجية وغير ذلك من نقاط تراجع الاقتصاد الأمريكي ، مشيرًا إلى أن ٣٧ مليون أمريكي لا يتوافر لهم التأمين الصحي . أي : تزايد أعداد الفقراء ، واختلال توزيع الثروة ، وانتشار المخدرات ، وتفشّي الجريمة والعنف ، وتدهور التعليم ، وابتذال الثقافة الأمريكية ، أي : التركيز على تعظيم الاستهلاك ، وثقافة موسيقى البوب ، والرسوم المتحركة ، والضوضاء والاستمتاع ، والبعد عن التفكير الجدي [(٢)] .
وحدث ما توقعه كينيدي ، فيما نعايشه الآن (شوال ١٤٢٩هـ - أكتوبر سنة ٢٠٠٨م) من أزمة اقتصادية خانقة بالولايات المتحدة الأمريكية جرت معها بلاد أوروبا ، وربما أغلب بلاد العالم .

ونرى أنه من السابق لأوانه ـ والغرب يتخذ الإجراءات الكفيلة بالإنقاذ من الأزمة ـ إصدار الحكم النهائي على أوضاعه الاقتصادية والسياسية ، ولكن هناك أحكام أوليّة صدرت على ألسنة بعض المفكرين والساسة تشي بأن الغرب في طريقه إلى (الأفول) .

والوصف ليس من عندي ولكن استخدمه كاتب بريطاني يسمى دومينك مواسي ، إذ قال بالحرف الواحد (وإذا كان الكساد العظيم لعام ١٩٢٩م قد مهّد الطريق لنشوب الحرب العالمية الثانية ، فإن الأزمة المالية الحالية ستسرّع نسبيًا إلى أفول نجم الغرب بصفته قوة اليوم ونموذجًا لباقي العالم غدًا) [(٣)] .

---

(١) ، (٢) رضا هلال (تفكيك أمريكا) صفحات ١٠٦، ١٠٧، ١٢٠ ، ٢١٤ دار مصر المحروسة ٢٠٠٣م .

(٣) مقال بعنوان : (أفول الغرب) بقلم دومينك مواسي (التايمز البريطانية) ، ونشرته أخبار اليوم المصرية في ١١ شوال ١٤٢٩ – ١١/ ١٠/ ٢٠٠٨م .

وجاء بالمقال نفسه مقولة جاك شيراك الرئيس الفرنسي السابق : «إن الشرق باقٍ موطن النموّ والغرب مرتع الديون ، إن الغرب أصبح مسكونًا بالخوف ، في حين أصبح الشرق يحدوه الأمل »[١] .

ومع تداعي الأحداث واستحكام الأزمة الاقتصادية ؛ اضطر فوكوياما إلى التراجع عن رأيه الذي بثّه بكتابه الشهير (نهاية التاريخ وخاتم البشر) الذي بشّر فيه بأن الديموقراطية الليبرالية قد تشكل نقطة النهاية في التطور الأيدولوجي للإنسانية ، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري ، وبالتالي فهي تمثل نهاية التاريخ)[٢] .

ويذكر الأستاذ محمد عيسى الشرقاوي ، في مقال له: أن فوكوياما (لم يستطع أن يراوغ .. وإنما اضطر ـ مكرهًا لا بطلًا ـ إلى الحديث عن سقوط الشركة الأمريكية) .

ويضيف الكاتب قائلًا : (ولكن الأهم من ذلك أن فوكوياما يقول: إن النموذج الأمريكي قد أطفأت إدارة بوش بريقه ، وصار معتمًا بسبب لجوئها للتعذيب في سجن أبو غريب بالعراق ، ويستكمل جون جراى المعنى ويشير إلى أن ما حدث تحول سياسي تاريخي تبدل فيه ميزان القوى في العالم إلى غير رجعة ... لقد انتهى عصر الزعامة الكونية الأمريكية[٣] .

---

(١) السابق نفسه .

(٢) فرانسيس فوكوياما (نهاية التاريخ وخاتم البشر) (المقدمة) ترجمة حسين أحمد أمين ط مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م . ووصفه ناشر الكتاب بأنه (لم يثر كتاب آخر مثلما أثار كتاب فوكوياما من جدل صاخب على النطاق العالمي) .

(٣) محمد عيسى الشرقاوي ، مقال بعنوان : (رجل وامرأة ونهاية أسطورة) جريدة (الأهرام) القاهرة في ١١ شوال ١٤٢٩هـ - ١١/ ١٠/ ٢٠٠٨م صفحة ٤ .

ويلاحظ الحقد الدفين في قلب فوكوياما للإسلام إذ قال بكتابه : إن هناك عدوًّا قادمًا للحضارة الغربية هو الإسلام ؛ لأنه نظام قائم على عقيدة .. فهذه الأيدولوجية ستصبح هي النقيض للأيدولوجية الغربية .. وبالتالي لا بد أن ينتصر أحدهما وينهزم الآخر ؛ لأن العالم لن يستمر في صراع بين العقيدتين : (الغربية والإسلام) .

وربما يكاد فوكوياما الآن يتميز من الغيظ عندما يسمع ويرى عن المستنقع الذي غرقت فيه بلاده بالعراق ، وعن عجزها .. وهي تمثل القوة العسكرية الأولى في العالم ـ عن الانتصار على شعب أفغانستان البطل الذي دق مسمار النعش في الإمبراطورية الروسية ، ويبدو أنه سيفعل ذلك بالإمبراطورية الأمريكية أيضًا !

وهذا الاستنتاج لا يأتي من فراغ ولكن بناءً على ما يحدث في أرض المعركة :

فقد صرّح القائد العسكري للقوات البريطانية أنه لا ينبغي توقع نصر حاسم على حركة طالبان .. ومن ناحية أخرى نفت الحركة ما جاء في تقرير إعلامي أمريكي حول مشاركتها في مفاوضات مع الحكومة الأفغانية ، وشدّدت على استمرار الكفاح حتى مغادرة آخر جندي أجنبي للأراضي الأفغانية .

وتتساءل الأستاذه أماني عبد الرحيم في مقالها : (فهل تعترف واشنطن بحقيقة الأوضاع في أفغانستان أم ستستمر في عنادها حتى ينتهي الأمر بكارثة ، أو يبقى الحال كما هو عليه مثل العراق ؟!) [1] .

ثانيًا : تنبؤ توينبي باستمرارية الحضارة الإسلامية:

عندما سُئل توينبي عن مصير الحضارة الإسلامية ، هل ستنقرض كما انقرضت حضارات ؟

أجاب بقوله: (لا شيء من ذلك ، وإنما ستبقى كحضارة حيّة ، معللًا ذلك بأن الحضارة الإسلامية تكمن فيها طاقات غير قائمة في الحضارة الأوروبية الحديثة التي تحمل في طياتها التناقض بين الفكر والعمل ، بين أفكار المساواة والإخاء والحرية التي ورثتها عن الثورة الفرنسية وفي التفرقة العنصرية التي تمارسها ـ الآن ـ بالفعل ، هذا

---

(١) أماني عبد الرحيم ، مقال بعنوان : (طالبان تجدد مستقبل أفغانستان) جريدة (أخبار اليوم) القاهرة في شوال سنة ١٤٢٩ هـ - ١١/ ١٠/ ٢٠٠٨م .

بينما طابع الحضارة الإسلامية الاتساق بين الفكر والعمل بصدد المساواة ؛ إذ أمكن في أزهى عصورها أن يصل إلى مراكز السلطة فيها الرقيق والعبيد (مثل المماليك وكافور الإخشيدي) .

العامل الثاني: تحريم الخمر ، وقد لا يدرك الكثيرون قيمة التحريم بالنسبة للحضارة[1] .

هذا ؛ وقد كانت إجابة توينبي عن السؤال الموجه إليه مجرد تنبؤات ، فلما بدت تباشيرها تتمثل في الصحوة المتنامية ؛ أصيب الغرب بالذعر ؛ لأنها لم تظهر في بلد دون آخر ، ولكنها انتشرت سريعًا في بلاد المسلمين شرقًا وغربًا بشكل لم يتوقعه الغرب بهذه الصورة بعد كل أشكال التغريب والتنصير والاستعمار الثقافي وفرض التبعية سياسيًّا واقتصاديًّا على العالم الإسلامي المغلوب على أمره بالاستعمار الغربي .

فلم يتوقع الغرب بهذه السرعة أن تستيقظ أمة الإسلام وتبدأ في العمل على استرداد ما اغتصبه منها من ثروات منهوبة ـ وقبلها : استرداد الهوية والكرامة الإنسانية ـ بل أصبحت ظاهرة اعتناق الإسلام بداخل بلاده والعالم تقلقه ؛ إذ تبين أن (معدل اعتناق الإسلام هو أعلى معدل في العالم)[2] .

وظهر الإفلاس الفكري للغرب بقيام بعض ساسته وكتّابه وصحفييه بمهاجمة الحرمات والشعائر الإسلامية ، وهي حيلة العاجز عن المقارعة بالحجة والدليل ، ولهذا انعقد مؤتمر (تعظيم حرمات الإسلام بالكويت) ، ووجّه الحاضرون رسالة إلى قادة الفكر والرأي في الغرب ، ونصها : (إن هناك كثيرًا من المفكرين والقادة المسلمين يرون أن الهجمة الحالية على الحرمات والشعائر الإسلامية إنما جاءت نتيجة لإدراك بعض القادة والمفكرين في الغرب أن العالم الإسلامي يستعيد نهضته ، ويصحو من

---

(١) د. أحمد صبحي (في فلسفة التاريخ) ص ٢٥٨.

(٢) هذا ما أكدته شبكة سي إن إن الإخبارية الأمريكية (مجلة المختار الإسلامي – القاهرة) سنة ١٩٩٧م.

غفوته ؛ لاستئناف رسالته في إصلاح البشرية وإسعادها ، وأنه قد أصبح يمثل منافسًا حقيقيًا في المجالات الفكرية والحضارية .

إننا ننظر باهتمام إلى تقرير منظمة التسامح الديني بكندا ، الذي يقدر عدد المسلمين عام ٢٠٠٣م بحوالي ١.٢٢٦ مليار بما يمثل حوالي ١٩٪ من إجمالي سكان العالم في هذا الوقت ، ويؤكد أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تنمو نسبة معتنقيه ، بينما تتراجع نسبة معتنقي الأديان الكبرى الآخرى ، كما توقعت تلك المنظمة ـ أيضًا ـ أن يكون الإسلام هو الدين الأول في العالم قبل عام ٢٠٢٣م ، فهل هذه الإحصاءات الأخيرة هي الدافع في عودة نزعة الخوف من العالم الإسلامي لدى بعض القادة والمفكرين في الغرب ؟

إنه سؤال نوجهه إليكم)[١] .



---

(١) رسالة صادرة من مؤتمر (تعظيم حرمات الإسلام) المنعقد في شهر المحرم سنة ١٤٢٨هـ - يناير ٢٠٠٧م الذي استضافته دولة الكويت وحضره جمع من علماء الأمة ودعاتها ومثقفيها ، وأصدرتها مجلة (البيان) اللندنية بكتيب بعنوان : (دعوة للمراجعة. رسالة موجّهة إلى قادة الفكر والرأي في الغرب) ص ٣٤، ٣٥ .

المسلمون واللحاق بالعصر

يتضح لكل من له إلمام بالتراث الإسلامي حرص المسلمين على الالتزام بالقيم والمبادئ الإسلامية العليا التي حققها السلف في سلوكهم العملي في ميادين الحياة على سعتها . ويعطينا نماذج عن الجناح الثقافي لحضارتنا الإسلامية .

ولما كانت الحضارة تقوم على جناحين:

١ . الثقافة .

٢ . العلم التجريبي .

فإنه لا يعوز المسلمين اللحاق بالعصر ؛ لاستكمال الجناح الثاني لحضارتنا ، إذ لا زالت الأمة تحتفظ بطاقات بشرية واقتصادية هائلة ، فهي تستطيع بعلمائها أن تقتحم القرن الواحد والعشرين بالتنسيق والتعاون والمثابرة على العمل المنظم وفق تخطيط محكم ، وتعاون بين العلماء بكافة فروع العلم .

ونستند في هذا الحكم إلى مثالين معاصرين :

الأول : التجربة في ماليزيا ، حيث بزغت شمس تجربة جديدة تجمع بين الإسلام والتنمية الاقتصادية والتكنولوجية .

يقول الدكتور مهاتير محمد : (لقد ظللنا مؤمنين وملتزمين بالإسلام نستهدي به ونحن فيما نصبو إليه من تقدم مادي ، ولا ننسى ديننا أو نتركه جانبًا)[1] .

الثاني: نجاح باكستان في صنع برنامج نووي .

يقول البروفيسور عبد القدير خان ـ أبو القنبلة الباكستانية ـ (إن المشروع النووي الباكستاني بكل معانيه هو قصة بطولية لإرادتنا الوطنية وتفوّقنا ، إنه رمز للدولة الكريمة التي ترفض الخضوع لأعدائها وتعتمد على نفسها وشعبها)[1] .

---

(١) مجلة (العالم الإسلامي) مكة المكرمة ١٥-٢١ ذو القعدة سنة ١٤١٧هـ ٢٤-٣٠ مارس سنة ١٩٧٧م .

ونحن بذلك نستنهض الهمم العالية لتحقيق نموذج إسلامي يجذب العالم نحو الإسلام.

إذًا لو استطاعت بعض الدول الإسلامية في العصر الحاضر أن تقوم بالتجربة الإسلامية العقائدية؛ لقدّمت مثالًا عمليًا منظورًا لإمكانية الحل والخلاص من بأس الحضارة المعاصرة، ولحققّت بذلك هدفين:

أولهما: إنقاذ الإنسان الشرقي المسلم من مأساة وجود المتغرّب المريض.

وثانيهما: حمل رسالتها الحضارية للعالم الغربي (الذي ينتظر الخلاص)[٢].

ويعزز ذلك ـ أيضًا ـ: القدرات الفعالة في أنحاء البلاد الإسلامية والتي تتمثل في الجامعات والمعاهد المتخصصة، ولا ينقصها إلا الدمج ووضع الأهداف وخطط العمل والتمويل، حيث (تضم دول العالم الإسلامي أكثر من ٢٢٤ جامعة، ٣٣٥ معهدًا عاليًا من المعاهد المتخصصة، بالإضافة إلى ما يفوق التسعمائة من مراكز البحوث وأكاديميات العلوم والتقنية وخمسة عشر مركزًا ومؤسسة للطاقة الذرية والنظائر المشعة، ويذكر في هذا الصدد القدرات الضخمة للجمهوريات الإسلامية التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي السابق، فإن كازاخستان وحدها تملك من المفاعلات وعلماء الذرة قدرًا كبيرًا، ويكفي أن نعلم أن ٦,٥ من الأسلحة الإجمالية للاتحاد السوفيتي السابق هي في كازاخستان وحدها، كما يوجد فيها ١٢,٥٪ من مجموع الصواريخ الاستراتيجية السوفيتية عابرة القارات، فضلًا عن حوالي ٢٥٠٠ صاروخًا من الصواريخ التكتيكية عابرة القارات ذات الرءوس النووية موزّعة بين هذه الجمهوريات الست، وهذا أمر يثير قلق الغرب الذي يخشى أن تتسرب هذه

---

(١) مجلة المختار الإسلامي ـ العدد ١٦٩، ١٥ رمضان سنة ١٤١٧هـ، ٢٣ يناير سنة ١٩٩٧م، ص٥٢ وما بعدها.

(٢) د. عماد الدين خليل (تهافت العلمانية) ص١٦٧. مؤسسة الرسالة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

ويرى الدكتور مراد هوفمان ـ السفير الألماني المهتدي للإسلام ـ أن هذه الطريقة هي أقوى الطرق في الدعوة إلى الإسلام، وتناسب عقلية الإنسان الغربي الذي يقتنع عن طريق الواقع.

القدرات الحربية والعلمية إلى بقية الأقطار الإسلامية ، فنحن لا نحتاج إلى المزيد من دور العلم والبحث بقدر حاجتنا إلى الاستفادة مما هو موجود ، وتنشيط دوره عن طريق إرصاد الميزانيات المناسبة لحاجات البحث العلمي ، والجديد بالذكر أن ٩,٨٪ من الإنفاق على البحث العلمي هو في البلاد الغنية غير الإسلامية ، بينما نصيب البلاد النامية التي ينتمي إليها عالمنا الإسلامي هو ٢٪ فقط)[١] .

ونرى ـ في الختام ـ أن أحد أسباب هزيمة الأمة يرجع إلى التبعية الثقافية التي فرضها عليها الاستعمار ، ومن ثم تتحقق الحرية الحقيقية فضلًا عن العودة إلى الأصالة .

وما عدنا ننخدع بالضجيج الإعلامي حول مؤلفات فئة معينة ـ من القوميين والعلمانيين والحداثيين ـ ، وكأنها وحدها المعبرة عن ثقافة الأمة ، واتهام مخالفيها بالجهل والرجعية أو الأصولية ، فهو ناجمٌ عن الخلط بين (التحديث التكنولوجي المادي والتحديث الثقافي ، حينما وصل انبهارنا بالعقل الغربي ـ مع التقليل من شأن العقل العربي بدرجات متفاوتة بين الاحتقار والتجاهل ـ إلى تبّني كل ما هو غربي بصرف النظر عن اختلافه ، بل تفاهته بالنسبة للغربيين أنفسهم)[٢] .

وقد زادت حملات الكراهية للإسلام والمسلمين ونالت من القرآن الكريم والرسول ﷺ وذلك بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م التي ألصقت بالمسلمين ظلمًا بينما أثبتت التحقيقات براءتهم ، وهناك بحوث ودراسات طعنت في الرواية الرسمية ، ورجّحت أن هناك مسئولين عن تفجيرات البرجين ، وأدان بعضها جهاز المخابرات الأمريكي ، حيث اتخذها بوش وحزبه اليميني ذريعة لإعلان الحرب الصليبية وبدأوا باحتلال أفغانستان عام ٢٠٠١م ثم العراق عام ٢٠٠٣م .

---

(١) أحمد محمود حماية (العالم الإسلامي جغرافيته وثرواته وإمكانياته الاقتصادية) ص٩٤ . مؤسسة النفس المطمئنة بمصر سنة ٢٠٠١م .

(٢) د. عبد العزيز حمودة (المرايا المقعرة – نحو نظرية نقدية عربية) ص٤٧ ، عالم المعرفة / الكويت العدد ٢٧٢ جمادي الأولى ١٤٢٢هـ ـ أغسطس ٢٠٠١م .

وفي محاولات طمس الحقيقة قامت أجهزة الإعلام الأمريكية بتهميش بحث الأستاذ في الفيزياء بجامعة بريجام يانج انتهى إلى أن التفسير الرسمي لانهيار برجي مركز التجارة العالمي في منهاتن غير مقبول بناء على قوانين الفيزياء ، ويعتقد الباحث أن القنابل وليست الطائرات هي التي أسقطت البرجين ، ويقول : إنه لم يحدث قبل مباني مركز التجارة العالمي أو بعدها أن انهار بناء هيكله من الصلب بسبب حريق ، ولكن يمكن للمتفجرات أن تفصل الأعمدة الصلب عن بعضها بشكل فاعل)[1] .

ولكن بالرغم من هذا الجو المليء بالكراهية والحقد ترتفع أصوات هنا وهناك بين حين وآخر ؛ لتقف في مواجهة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين . من أولئك الملكة مارجريت الثانية ملكة الدنمارك التي قالت في شجاعة : (إنني منبهرة من هؤلاء المسلمين المتدينين الذين يرافقهم الدين في حياتهم من الصباح حتى المساء ، ومن وقت ولادتهم إلى موتهم ... لقد تم شحننا ضد هؤلاء المسلمين .. لأننا كسالى وغير مهتمين بالموضوع ولم نتعلم عن الإسلام كثيرًا ، ولم نقرأ ، وأعتقد أننا يجب علينا ألا نستمر بذلك ، وأن نجازف وأن نفتح معهم حوارًا ونقيم علاقة ، وأن نتصدَّى للمتشددين الذين تركنا لهم الساحة لوقت طويل على المستويين : المحلي والعالمي)[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) بدر محمد بدر (ثلاثون كتابًا في كتاب) ص٧٢ ، إصدارات سطور الجديدة بالقاهرة ٢٠٠٩م .

(٢) مقال بقلم جمال الشاعر بعنوان : (الملكة تحب المسلمين) الأهرام في ١٠ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ، ١٩/٤/٢٠٠٥م .

التجربة الكمالية تمثل الانقطاع الحضاري للأمة الإسلامية

يسهل إقناع القراء بهذا الحكم ؛ إذا ألقينا الضوء على شخصية مصطفى كمال أتاتورك الذي أجرم في حق الأمة الإسلامية بهدمه للخلافة العثمانية وإعلان الحرب بقسوة متناهية على الإسلام وتراثه وعلمائه ، ولا يفسر حقده الشديد إلا بخلفيته اليهودية ، حيث وصف الله ﷻ اليهود بشدة العداوة ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة: ٨٢] الآية .

شخصية أتاتورك :

كان مصطفى كمال أتاتورك من طائفة (الدونمة) ذات الأصل اليهودي ، ولمن شاء أن يعرفه فليرجع إلى المدافع عنه وكاتب سيرته « أرمسترونج » .. الذي ضمَّن كتابه كثيرًا من الأوصاف التي تجعل منه منافسًا لأعتى الجبابرة التاريخ .

والحق أن الكتاب بأكمله يعد وثيقة إدانة لا سجل شرف وفخر كما حاول أرمسترونج أن يفعل .

مثال ذلك قوله: (ولو أنه وُجد في عصر جنكيز خان ؛ لبزَّه في عبقريته الحربية وعزيمته الجبارة التي لا تضعفها عاطفة أو رحمة أو وفاء ...)(١) .

ولِمَ يحتاج إلى الرحمة والوفاء .. وقد خلع رداء الإسلام فانقلب كالوحش الكاسر ضد الشعب التركي طاعنًا إياه في عقيدته ؟

فقد كان معروفًا للملأ إهماله للدين في حياته الخاصة ، ومخالفته لكل قواعد اللياقة ، وسخريته من كل الأوضاع « المقدسة »(٢) .

---

(١) أرمسترونج: مصطفى كمال ، ص٢٤٤ ، ترجمة حلمي مراد ، دار المعارف بمصر ، سلسة "اقرأ" ١٤٠٧ ، سنة ١٩٧٦م .

(٢) أرمسترونج: مصطفى كمال أو الذئب الأغبر ، ص٢٠٦ .

ولو مضينا في تتبع أدوار حياته ؛ لخرجنا بفكرة صحيحة عنه . ومن الأهمية بمكان التعرف على حقيقة أتاتورك ، وقد أزاح الشيخ مصطفى صبري الستار عن صلته بطائفة (الدونمة) اليهودية ، كما اعتبره صنيعة الدولة الصليبية [1] .

ونحن لا نحاكم الرجل ، فالأولى بذلك أهله وقومه ، ولكن ما يهمنا هو امتداد عدوانه إلى المسلمين في رقعة بلادهم جميعًا ، مما يحملنا مسئولية تعريته وكشف عوراته وعورات نظامه ؛ لأنه ما زال ـ مع الأسف الشديد ـ يعتبر نموذجًا في عقول كثير من المسلمين المخدوعين فيه وفي الدور الذي أداه ، ويتخذ منه مثالًا أعلى للتحضر واللحاق بحضارة العصر !!

وخير شاهد على ذلك ما خاضه المسلمون من تجارب مقتفين آثار أتاتورك ، فماذا حققوا ؟!

إننا إذا استعرضنا صور الإخفاق المتعددة على أثر محاولاتنا إقامة البنيان الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وفق النموذج الغربي ، وبعد أن منينا بالهزائم العسكرية والسياسية ، وأصابنا التدهور الاقتصادي ، وفجعتنا حقائق النكوص العلمي والأخلاقي ، واستيقظنا على حقيقة نظرة أوروبا لنا بشطريها : الشرقي والغربي كفريسة تريد التهامها ، بعد هذا كله ؛ أصبح على رواد الفكر إعادة تقديراتهم أمام هذه النتائج المشاهدة :

١. الفشل في التقليد ، وهذا يعني أن لنا أصولًا حضارية أخرى .

٢. أزمات الحضارة الغربية وإخفاق النظريات في مجال التطبيق ، وظهور حركات جديدة بين شبابها تعبر عن أزمة إنسانية وأخلاقية حيث عجز الفلاسفة والقادة عن إيجاد العلاج .

ولا يصح النظر إلى هذه الأزمات على أنها تعبر عن فترات مؤقتة ، أو أنها ظواهر عابرة ، وذلك لسبب بسيط ، وهو : اعتراف مشاهير فلاسفتهم وعلمائهم أنفسهم بعمق هذه الأزمات وخطورة آثارها ، وإنذارهم لبني قومهم بما ينتظرهم من كوارث الانهيار .

---

(١) موقف العلم والعالم ، ج٤ ، ص٣٣٦ ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م .

وادرسوا آراء شبنجلر وتوينبي وكولن ولسن وبرتراند رسل وجارودي وغيرهم .

٣. إن التجربة الكمالية المضادة لحركة التاريخ الإسلامي [1] تصلح بذاتها كمعيار منهجي نقيس به التغيرات التي حدثت في العالم الإسلامي كله عقب إسقاط الخلافة الإسلامية على يديه وشق الطريق نحو الغرب ، وكان خط الارتقاء والتطور الطبيعي يقتضي المحافظة على الذاتية الإسلامية وملاحقة خطوات التطورات العلمية ـ كما فعلت اليابان مثلًا ـ .

إننا نادي بضرورة الاحتكام إلى منهج ثابت في دراسة ما حدث في بلاد المسلمين في العصر الحديث عقب انفراط عقد وحدتهم ، أي : نظام الخلافة .

ونطرح على بساط البحث بعض الأسئلة التي تشكل الإجابة عليها إطارًا عامًّا لمنهج أقرب إلى الصحة من غيره .

ومن الأسئلة التي تُطرح لهذا الغرض:

١. ما مدى استمساك الأمة بعقيدتها وشريعتها ؟

٢. ما أسباب التدهور والانحطاط الداخلية ؟ وكيف يمكن علاجها ؟ وما العقبات التي صادفت الزعماء المصلحين .. ولِمَ عجزوا عن التغلب عليها ؟

٣. الصراع الكبير مع الاستعمار الأوروبي بدوله كلها ومتابعة خططه وأساليبه في بلدان العالم الإسلامي مع وضع يدنا على استراتيجيته العامة ، وبحث مدى استمراره في تنفيذها .

---

(١) ولا نقول هذا جزافًا ؛ لأنه ثبت أنه عندما كان يرقد على فراش الموت خشي ألا يجد شخصًا يخلفه للاستمرار في رسالته ؛ فاستدعى السفير البريطاني ورجاه أن يخلفه في منصب الرئيس!! نشرت جريدة « الصنداي تايمز » برقية السفير إلى حكومته ، ونقلتها جريدة الأهرام في عددها الصادر في ١٥/ ٢/ ١٩٦٨م ، وقد نشرها الأستاذ مصطفى السعدني في كتابه (الفكر الصهيوني) ، ص ٢٢٠-٢٢١ ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٧١م .

وفيما عدا ذلك فإننا نلاحظ أن مناهج البحث انحصرت في إطار الأفكار الوطنية أو القومية ، والفلسفية أو التقدمية (بالمفهوم الغربي) والاشتراكية أو الديموقراطية .

ولا يستطيع الباحث بهذا المنهج تقييم الأحداث التي مرت بها الأمة الإسلامية من حيث تفردها بخصائص ذاتية . واتخاذ أي من هذه النظم كمعايير للتقييم تفقد الباحث خيوط الترابط ، وتضيع جهده في الدراسة ، كما ضاعت جهود الأجيال السابقة وراء تقليد حركة أتاتورك على أرض الواقع .

فقد كنا كمن يقف على مفترق الطرق يبحث عن امتداد خط السير الذي بدأ به ، وربما انحرف عنه ـ أحيانًا ـ ولكن الاتجاه نفسه كان صحيحًا ، ولكن بالوصول عند المفترق ضل السائق الذي أسلمنا له القيادة ، بدلًا من الاستمرار في طريقنا الذي عرفناه انحرف عن الطريق إلى طريق آخر لن يوصلنا إلى محطة الوصول سالمين ، بل سيصل بنا إلى ما يشبه الهاوية ؛ إن لم تتداركنا رحمة الله ـ تعالى ـ وفضله .

بعبارة أخرى ، فإنه من وجهة النظر الإسلامية ـ فيما نعتقده ـ تعد حركة الردّة الكمالية انتكاسًا حضاريًا وليست تطورًا إلى الأفضل ، إذ حولت تركيا ـ ومعها العالم الإسلامي ببلدانه المختلفة ـ إلى مجرد توابع لأوروبا ، وذيل من ذيولها ، بعد أن كان في ظل الخلافة يقودها في عصورها الوسطى ، ويهددها في عقر دارها في عصوره الحديثة !

الانقطاع الحضاري :

ونستطيع وصف سلوك أتاتورك وحسب تعبير الدكتور رفيق حبيب (الانقطاع الحضاري) ، حيث أدّى إلى انقطاعات عن قيمنا ومبادئنا ومقدساتنا ، وهو ـ في نفس الوقت ـ انقطاع عن التطور والنهضة ، وأيضًا عن السيادة والسلطة .

وكانت حركة أتاتورك ـ وحركات الانقلابات العسكرية في بلاد العرب والمسلمين التي اتخذته أسوة لها في طريق التغريب ـ ضربة قاصمة لأي نهضة ذاتية تستلهم تراث الأمة وتعيد أمجادها التاريخية .

حيث صوّر الدكتور رفيق حبيب ذلك أدق تصوير في ضوء فلسفة التاريخ فقال: (أما قبل ذلك فكان للأمة كبوات تنهض بعدها، ولكن مع نهاية القرن الـ ١٨ كان السقوط الأكبر، وهنا ظهر الغرب بكل قوته وإنجازاته وسطوته ... وراح يفرض قيمه، وفي نفس الوقت يهمّش قيم الأمة، ووجدت مجموعة فرصتها لتصل إلى الحكم، محمولة على أسنة رماح الغرب، فراحت تميل لقيم مخالفة لقيم الأمة)[1].

ولا علاج لهذا الانقطاع الحضاري إلا بوصل الأمة من جديد بتراثها وإحياء نظامها السياسي الفريد سواء في شكل (الخلافة) الذي استمر طيلة ثلاثة عشرة قرنًا، أو نظام شبيه يتفق عليه قادة الأمة من أهل الحل والعقد.

❋ ❋ ❋

(١) د/ رفيق حبيب (تفكيك الديموقراطية) دار الشروق ط١ ص٩٤، نقلًا عن د/ نعمان السامرائي (نحن والحضارة والشهود) جـ١ ص٨٢ كتاب الأمة – قطر العدد ٨٠ ذو القعدة ١٤٢١هـ.

محاولات إعادة الخلافة بعد هدم الخلافة العثمانية

كانت مظلة الخلافة العثمانية تظلل المسلمين في أنحاء المعمورة وتجمع شملهم وتوحدهم ، ويفخرون بأنهم ينتمون إلى دولة كبرى ذات المد التاريخي لقرون عدة منذ الخلافة الراشدة ، ويقاومون قوى الغزو الاستعماري بدوافع إسلامية يعتزون بها ويحافظون عليها ؛ لرفضهم الخضوع للقوى الكافرة الغازية لبلادهم ، (إذ كانت الشعوب العربية الاسلامية - وهي تقاوم الاستعمار - إنما تنهض تحت راية الاسلام .. وبهذا التصور نفهم حركة عبد القادر الجزائري في الجزائر ، وحركة عبد الكريم الخطابي في المغرب ، وحركة السنوسي في ليبيا ، وحركة المهدي في السودان ، وكذلك كانت حركة مصطفى كامل في مصر ، والوهابية في جزيرة العرب ... وهكذا)[١] .

وعندما ألغيت الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م ، كان لإلغائها (وقع الصدمة الشديدة على المسلمين في العالم أجمع ، لا من ذهاب الدولة العثمانية ، ولكن ألمًا من تلك الظروف التي نقضت عقد المسلمين وشتتت شملهم ، فلم يعودوا يرون جهة أو هيئة يتجهون إليها كجامع لهم)[٢] .

ولذلك ؛ كان الإجماع منعقد بين المسلمين على ضرورة إعادة الخلافة ، فمنذ سقوطها (ومجاميع الدعاة تتجمع وتتحرك في اتجاه واحد ، هو إقامة الدولة الإسلامية ، وكان هذا الاتجاه يتم إنزاله على مجاميع الشباب من خلال أدبيات الحركة الإسلامية بكل الوسائل المتاحة والممكنة)[٣] .

---

(١) ، (٢) طارق البشري (الملامح العامة للفكر السياسي في التاريخ المعاصر) ص٢١/ ٢٢ دار الشروق بمصر ط٢ ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

(٣) الشيخ جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين (الدولة الإسلامية بين الواجب والممكن) ص٢٨٦ شروق للنشر والتوزيع - المنصورة - مصر ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .

وربما كانت البداية تتمثل في حركة تدعو لعقد مؤتمر إسلامي بالقاهرة (حيث افتتح بحضور مندوبين وشخصيات ينتسبون إلى البلاد الإسلامية المختلفة (مصر ، سوريا ، فلسطين ، العراق ، الحجاز ، الهند ، إندونسيا ، ليبيا ، تونس ، المغرب ، الترانسفال ، بولونيا) وشُكلّت لجنتان لفحص المسائل المطروحة على المؤتمر ، وقد عرض تقريرهما في الاجتماع العام فأقرهما .

تقرير اللجنة الأولى يشتمل على ما يلي:

أ. يجب أن يوجد خليفة هو الرئيس الديني والدنيوي للعالم الإسلامي ، ويجب ألا يكون للإسلام سوى خليفة واحد تتوفر فيه الشروط اللازمة فيمن يتولى الخلافة .

ب. إن إقامة الخلافة واجب ديني .

جـ. تولية الخليفة تتم بوصية من الخليفة السابق ومبايعة أهل الحل والعقد ، أو بسيطرة وتغلب حاكم مسلم ولو أنه لا تتوفر فيه شروط الأهلية (ويعلق الدكتور السنهوري على هذه الفقرة بقوله : نرى أن اللجنة لم تفرق بين الخلافة الصحيحة والخلافة الناقصة)

أما تقرير اللجنة الثانية ، فتضمن ما يلي:

أ. إنه في الحالة التي يمر بها العالم الإسلامي حاليًا يتعذر تولية خليفة مع الالتزام بكافة الأحكام الشرعية .

ب. لمواجهة هذا الوضع يجب على المجلس الإداري للمؤتمر الإسلامي العالمي في القاهرة أن يوالي اتصالاته مع العالم الإسلامي بواسطة لجان تؤسس في كل بلد إسلامي والدعوة لعقد مؤتمرات إسلامية من وقت لآخر ؛ لكي يستطيع إيجاد حل لمسألة الخلافة .

في الجلسة العامة تقرر أن المؤتمر القادم سوف ينعقد بالقاهرة (ولكنه لم ينعقد) أما عن مؤتمر مكة فقد علمنا من مصر أنه بتاريخ ٨ يونيو ١٩٢٦م ، افتتحه الملك ابن آل سعود ،

واشترك فيه تسعة وخمسون مندوبًا يمثلون مسلمي الهند وروسيا ، وإندونيسيا ، فلسطين ، نجد وعسير والحجاز ، مصر والسودان ، وقد تولى رئاسته الشريف عدنان ، أما رؤساء بعثات الهند وروسيا فقد عينا نائبين للرئيس) (١) .

وكان الدكتور السنهوري في تقديمه للتصور المستقبلي لإعادة الخلافة الإسلامية معترفًا بالأمر الواقع للأمة حينذاك ، فقال :

(يجب علينا أن نأخذ في الاعتبار الاتجاهات القومية والنزعات الانفصالية في بعض البلاد الإسلامية ، وهي اتجاهات تزداد يومًا بعد يوم ، لذلك ؛ فإنه يجب علينا أن نجد حلًّا يمكن أن يضمن صورة من الوحدة بين الشعوب الإسلامية مع إعطاء كل بلد نوعًا من الحكم الذاتي الكامل) (٢) .

ويفرِّق ـ أيضًا ـ بين ما يسميه : (الخلافة الكاملة) والخلافة الغير كاملة . إذ يرى أن سلطان الخليفة يجب أن ينبسط على جميع العالم الإسلامي ، فوحدة الإسلام حجر أساس في الدولة الإسلامية ، ووحدة الإسلام تستتبع وحدة الخليفة . فيجب أن يكون على رأس الإسلام خليفة واحد ، وهذه هي الخلافة الكاملة .

أما وقد تمزقت وحدة المسلمين ؛ فيجوز تعدد الخليفة للضرورة ، ولكن الخلافة هنا تكون خلافة غير كاملة . ثم يستطرد بعد ذلك فيقول : (على أن الخلافة الكاملة يمكن تحققها ؛ إذا اجتمعت كلمة المسلمين ، لا على أن تكون لهم حكومة مركزية واحدة ، فذلك قد يصبح مستحيلًا ، بل يكفي ـ على ما أرى ـ أن تتقارب حكومات الإسلام المختلفة وأن تتفاهم ، بحيث يتكون منها هيئة واحدة شبيهة (بعصبة الأمم الإسلامية) تكون على رأس الحكومات ، وتكون هي هيئة الخلافة ، ولا سيما إذا ألحق بهذه الهيئة مجلس مستقل عنها يكون قاصرًا على النظر في الشؤون الدينية للمسلمين) (٣) .

---

(١) د/ محمد عمارة (إسلاميات السنهوري باشا) جـ١ ص٣٠٨ .

(٢) نفسه ص٣٠٤ .

(٣) نفسه ص٣٣٠ .

وجدير بالحركات الإسلامية أن تعطي عنايتها لاقتراحات هذا العالم الفذ ، والإفادة من علمه الغزير بدءًا برسالته للدكتوراة في فقه الخلافة الإسلامية وتطورها ، وانتهاءًا باجتهاداته في مجال الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي ، حيث وهب نفسه في نهاية حياته كما يذكر الدكتور محمد عمارة : (كي يحقق لأمته ما نذر نفسه لتحقيقه لها من الآمال العظام)(١) .

ولا نشك أنه على قمة هذه الآمال العظام ، تقف الرغبة في تحقيق وحدتها . وفي ظل ثورات الشعوب العربية الإسلامية بمصر وتونس وليبيا واليمن وسوريا ، أسأل الله ـ تعالى ـ أن يقربّ تحقيق وحدة الأمة ، ولعل نجاح الثوارت ـ بمشيئة الله تعالى ـ يؤذن بانتهاء الصراع الذي كان ناشبًا بين السلطات السابقة والحركات الإسلامية (ذلك الصراع الذي أدى إلى تأخير هذا الهدف ـ هدف إقامة الخلافة الإسلامية على يد الحركة الإسلامية ـ.. وأصبح لزامًا عليها أن تنظر بعين الواقع الممكن وهي تبحث عن أمنيتها في نجاح المشروع الإسلامي في العالم)(٢) .

الخلافة الناقصة أصبحت ضرورة:

(لقد تحدث الفقهاء والمتكلمون عن الخلافة الناقصة ، وهي : الخلافة التي لم ترق إلى المستوى المثالي الذي يتطلبه الإسلام كما تمثل في عهد الخلفاء الراشدين ، ولكن هذه الخلافة الناقصة كانت ترفع شعار الإسلام وتطبق شريعته وتحترم شعائره ، كما أنها حافظت على وحدة دار الإسلام ، وواجهت الحملات الصليبية المتكررة وصدتها عن بلاد المسلمين ، وقامت بوظائف الجهاد والدعوة)(٣) .

---

(١) نفسه ص٩ .

(٢) جاسم الياسين (الدولة الإسلامية ..) ص ٢٨٦ مصدر سابق .

(٣) محمد والي (سفير بوزارة الخارجية المصرية) مقال بعنوان : (العالم الإسلامي ما بعد الخلافة) ص ١٥٠ مجلة (المنار الجديد) شوال ١٤٢٢هـ - يناير ٢٠٠٢م .

ولو كانت هناك خلافة (ناقصة) ؛ لوقفت تدافع عن بلاد المسلمين كالعراق وأفغانستان والبوسنة والهرسك والأقليات الإسلامية في بلاد العالم الغربي وتواجه الحرب الصليبية المعاصرة المعلنة بلا مواربة ، ولما حدث مأساة المسلمين بالجزائر في ١٩٩١م ، الذين فازوا في الإنتخابات النزيهة حينذاك ـ بالإشراف الدولي ـ وانتزعوا أغلب الأصوات من براثن النخبة المرتبطة بالغرب ، فسارعت بإلغائها والاستعانة بالجيش (بل بتأييد ومباركة من هذه الدول الأوربية التي ترفع شعار الديموقراطية والحرية وحقوق الإنسان)[1] .

إن إقامة الخلافة (الناقصة) أصبحت ضرورة ملحة كما سبق بيانه بهذا الكتاب ؛ للإبقاء على كياننا والمحافظة على أمّتنا من الضياع بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، كالنذير ، فنحن (أمام عصر جارف تشكله قيادة النظام العالمي الجديد ، يخطط للقضاء على الإسلام وحضارته ، وعدم قيام مجتمع إسلامي يشاركه القوة والسلطان واستغلال موارده وطاقاته ، حتى لا تقوى الحضارة الإسلامية على المنافسة وكسر الفعل الاحتكاري الحضاري الغربي ونظل على ما نحن عليه) [2] .

ولئن كانت الخلافة ضرورة ملحّة للأمة ؛ فإنها أكثر إلحاحًا للأفراد المسلمين ، (لأنه بعد سقوط الخلافة لم يعد هناك دار إسلام ، أو على الأقل تخلخل مفهوم دار الإسلام ، أولًا : لأن دار الإسلام فقدت وحدتها ، وثانيًا : لأن الأجزاء التي ورثتها لا تملك أمر نفسها في الغالب ، وإنما تتبع نفسيًا وحضاريًا القوى الأجنبية المتنفذة)[3] .

وإزاء الحرب على الإسلام وأهله أصبح المسلم يشعر بالغربة في بلاده ، مما يضطر البعض إلى الهجرة إلى بلاد الكفر ، وتقابلهم مشكلة التجنس بجنسية غير إسلامية ، بما ينطوي عليه الأمر من موالاة غير المسلم ومحبته واتباعه ، الأمر المحرم شرعًا)[4] .

---

(١) نفس المصدر ص١٠٨ .

(٢) د/ محمد إبراهيم الفيومي ، مقال بعنوان : (الفكر السياسي في الإسلام .. والقضايا التي حسبت عليه) ص٣٨ مجلة منبر الشرق (يصدرها المركز العربي الإسلامي للدراسات) العدد ١٧ - شعبان ١٤١٥هـ - يناير ١٩٩٥م .

(٣) محمد والي – ص١٨٠ مصدر سابق .

(٤) نفسه باختصار وتصرف .

الدكتور زكي نجيب محمود حجة على العلمانيين :

في إحدى مقالات الدكتور زكي نجيب محمود، عالج فيه قضية ضرورة الانتماء إلى منابعنا ـ أي : تراثنا الإسلامي ـ ، فبدأ بالتقسيم التاريخي لطريقنا الفكري منذ الغزو الاستعماري، ويتضمن مرحلتين:

الأولى: منذ جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨م ، وكنا في هذه المرحلة على صلة وثيقة بما ينتجه الغرب من علم وأدب وفن ، وكان أعلام هذه المرحلة يسرفون بالتباهي بثقافة الغرب وحضارته ، (وكان الصوت الأعلى هو لأصحاب الثقافة المنقولة عن الغرب ، وكان الشعور بالنقص هو من درس الكنز الموروث مكتفيًا به ، وهو موقف فيه هزال المريض ، وضعف الذليل ، لا سيما إذا تذكّرنا أن بلادنا في قبضة المستعمر ، الذي هو صاحب تلك الثقافة ، التي ينقلها ناقلوها ثم يفاخرون الناس بما نقلوا)[1] .

وبكلمات صريحة تشير بصدق قائلها ، وتلخّص نقده للمستغربين الذي حكم عليهم بالانتحار الحضاري ؛ لأنهم عزفوا عن (الغذاء) الذي يزيد من شعورنا بهويتنا الأصيلة ، ثم استطرد قائلًا: (ولقد كنت لفترة طويلة واحدًا من أولئك الذين ضلّوا سبيل الحق في هذا الصدد ، فبالغتُ كما بالغوا ، حتى أراد لي الله رؤية أهدى)[2] .

المرحلة الثانية: وهي التي نحياها اليوم وتتلخص في إصرارنا على تحقيق ذواتنا بالانتماء الصحيح إلى منابعنا ، ولكن العيب في أبناء هذه المرحلة أنهم لا يريدون أن يسمعوا إلا صوتًا واحدًا ، ويتمثل في سؤال سألني السائل سؤاله : (ألا يكفينا إسلامنا ويغنينا عن الغرب بكل ما فيه)[3] . وقد دُهش للسؤال وكانت إجابته

---

(١) د. زكي نجيب محمود ، قيم من التراث ص١٣٦ مكتبة الأسرة ، سنة ١٩٩٩م .

(٢) نفسه ص١٣٦ .

(٣) نفسه ص١٣٨ .

تتلخص في أن من دعائم هذا العصر وحضارته هو العلم بقوانين الطبيعة في مختلف ظواهرها ، وقد حض الإسلام على طلب العلم ، بدليل أنه بالرجوع إلى معجم القرآن الكريم يتضح أن لفظ (العلم) ومشتقاته جاء فيما يزيد على سبعين صورة من الألفاظ الدالة على (العلم) في آيات القرآن الكريم (فإذا ضممنا هذا القدر الهائل إلى قدر هائل آخر من مادة «فكر» وما يشتق منها علميًا ، فإننا أمام كتاب جعل للعلم والفكر منزلة هيهات أن تجد لهما منزلة أعلى منها في أي مصدر آخر ، إنه لم يرد للإنسان علمًا مجرد العلم بل أراد له «رسوخًا» فيه ، وهداه إلى وجوب التفرقة بين العلم والظن)[1] .

ويرى الدكتور زكي نجيب أن هناك من الآيات القرآنية التي تحض المسلم على التفكير في خلق السموات والأرض ولكنه مطالب بعدم الوقوف عند التلاوة وحدها مجردة عن التنفيذ ، بل يجب التنفيذ لمضامينها للظفر بالعلم المطلوب ، ويقول (فانظر إلى النقلة الكبرى التي نتعلمها إذا نحن من قرأنا كتاب الله قراءة نقفز بها إلى آفاق العلم والتطبيق)[2] .

إنه يضع شرطًا ضروريًا لقراءة القرآن الكريم ؛ لتؤدي إلى النتائج التي حققها السلف الذين قاموا بتفيذ أمر الله ـ تعالى ـ بالتفكير في خلق السموات والأرض (ولقد اضطلع السلف بكثير من التفكير في الكون وكائناته وظواهره . فكان منهم علماء الفلك وعلماء الطب وعلماء الكيمياء وعلماء الطبيعة في هذه الظاهرة أو تلك ، كما كان منهم علماء الحيوان وعلماء الطبيعة)[3] .

أما عن صلة المسلمين بحضارة العصر ، فإنه يبسط الفكرة ويغذيها بمن سماه (المسلم الجديد) و(المسلم القديم) ، فإن المسلم الجديد مطالب كما طولب المسلم

---

(١) د. زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص١٣٩ .

(٢) نفسه ص١٤١ .

(٣) زكي نجيب محمود (عن الحرية أتحدث) ص٨٨ .

القديم بالتصدي لعلوم عصره ، (إنه مطالب بقراءة الكون فيما يعرض أمام حواسنا من صفحات ، لكنها صفحات كُتِبَتْ بلغة الصوت والضوء والمغناطيسية والكهرباء)[١] .

ويرسم الطريق للمسلم ، فيرى أن الانطلاق من كتاب الله ﷻ يجعله يشارك بقوته التي يستمدها منه في هذه الحضارة (مشاركة الأنداد فتكون له السيادة كما كانت لأسلافه)[٢] .

وحجته في هذا أن الإسلام أراد للمسلم أن يكون قويًا ، قوته في علومه ، ومن واجب المسلم الجديد ألا يكتفي بنقل علوم الآخرين ، بل نصيبه من البحث العلمي الأصيل الذي يقدمه إلى الدنيا قائلًا : هأنذا)[٣] .

❋ ❋ ❋

(١) نفسه ص٨١ .

(٢) ، (٣) نفسه ص٩٠ .

الرد على العلمانيين
(الإسلام دين ودولة)

يُعرف الدكتور زكي نجيب محمود الإسلام من حيث هو دين (له أركانه الخمسة التي يعرفها كل مسسلم ويلتزمها) ، فهو يؤكد فكرة الالتزام بأركانه ، ومن حيث الشريعة له أحكامه التي يفصلها لنا علماء الفقه ، فنعتز بها أحكامًا تضبط مناشط حياتنا ، أي أنه لا يقتصر على العبادات فحسب)[1] .

وقد توسّع في عرض تنظيم الدولة في الإسلام فذكر القطاع الحربي وفيه (أمراء القتال وجنده) ، وكتّاب الجيش ، وفارضو العطاء ، والعرفاء رؤساء الجند ... إلخ .

وعلى النواحي كان هناك ولاة وأمراء الأقاليم ، وفيها كان القضاة وعمال الجباية والخراج .. والقائم على الحمى .. وصاحب المساحة ، وعمال الزكاة والصدقات ، والخارصون للثمار ، كما كان هناك (فارضو المواريث) و(فارضو النفقات) .. إلخ .

كذلك كان هناك من يقوم بمهمة (المحتسب) و(صاحب العسس) ، و(متولي حراسة المدينة) ، و(العين : الجاسوس) .. و(السجان) و(المنادي) و(مقيم الحدود) و(متولي التطبيب والعلاج) إلخ .

وعند الغزو ، كان هناك (أمراء الجهاد) و(المستخلفون على المدينة) ومن (يستنفر الناس للقتال) و(صاحب السلاح) و(صاحب اللواء) و(أمراء أقسام الجيش الخمسة) ، و(حراس القائد) عليه الصلاة والسلام ، و(القائمون على متاع السفر) ومن (يخذلون الأعداء) .. ومن (يبشرون بالنصر) إلخ .

ويبدو من إطلاعه الواسع على كتب التراث ، أنه استخرج مثل هذه الوظائف من بطون الكتب ، وربما كدنا ننساها بسبب غياب تطبيق الشريعة ، ويظهر من التعقيب

---

(١) د. زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص١٧٢ مكتبة الأسرة بالقاهرة سنة ١٩٩٩م .

على كل وظيفة بكلمة (إلخ .. إلخ ..) ـ وكان حريصًا على أن يذيل بها الوظائف ـ ؛ ليعرف القارئ أنه أختصر في عرضها ولم يتحدث إلا عن أهمها ، إذ يستطرد قائلًا :

(وكثير من هذه الوظائف الإدارية كان لها أربابها الذين عيّنهم الرسول ﷺ فيها ابتداء ...

فنحن أمام «دولة» اكتملت لها المعالم والمقومات .. نشأت كضرورة اقتضاها الدفاع عن حرية العقيدة الجديدة وحرية الدعوة والدعاة للدين الجديد .. وكضرورة لإقامة شريعة الإسلام ، وتنظيم المجتمع الذي قام بالمدينة بعد هجرة الرسول ﷺ)[١] .

ونراه قد أجاد في تصور الجهاد في الإسلام ؛ لتحقيق الحرية للناس في اعتناق الإسلام أمام قوى البطش التي تريد استعباد الشعوب وإذلالها ؛ لتحول بينهم وبين اختيار العقيدة التي تحقق لهم القيم والفضائل والحياة الإنسانية الطيبة ، ولا نستبعد أنه استوحى مثل هذا التصور من اطلاعه الواسع ، وقد سبقه إلى هذا التفسير ـ أيضًا ـ المهتدي للإسلام (محمد أسد) ؛ إذ علل الفتوحات الإسلامية بقوله : (ولم يكن يحفز المجاهدين الأولين إلى الجهاد طمع في خفض من العيش ورخائه على حساب الآخرين ، ولم يقصد منه إلا بناء إطار عالمي لأحسن ما يمكن للإنسان من ارتقاء روحي ، كما أن العلم بالفضيلة حسب تعليم الإسلام يفرض على الإنسان تبعة العمل بالفضائل ..ويستطرد قائلًا : (فإن الفضيلة ـ كما يقول الإسلام ـ تحيا إذا جاهد الإنسان لبسط سلطانها على الأرض ، وتموت إذا خذلها وتقاعد عن نصرتها)[٢] .

ونعود للدكتور زكي نجيب محمود الذي يتساءل بعد عرضه للدولة الإسلامية (فهل هناك بعد هذا الذي قدّمنا مجال لزعم علماني يدّعي أصحابه أن الإسلام (دين) لا (دولة) ورسالة روحية محضة ، لا علاقة لها بسياسة المجتمع .. وأن رسوله ﷺ ما كان

---

(١) د. زكي نجيب محمود (عن الحرية أتحدث) ص٤٦ ، ٤٧ .

(٢) محمد أسد (الإسلام على مفترق الطرق) ص٢٩ نقلًا عن : الإمام أبو الحسن الندوي بكتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ص١٢١ دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

إلا رسولًا ، كالذين سبقوه لم يقم دولة ، ولم يرأس حكومة ، ولم يسس المجتمع الذي عاش فيه ؟! .. ثم يقرر بحسم قاطع :

(لا أظن أن هناك مجالًا لزعم الذين أجهدوا الحقيقة ؛ ليقرروا « علمانية الإسلام » .

ولا يفوتنا ـ أيضًا ـ تسجيل رأيه في دولة الإسلام حيث يتميز عن (دولة الكهانة) و(الدولة الدينية) التي عرفتها الحضارات غير الإسلامية ، تستبد بها فئة خاصة بزعم أنها مفوضة للحكم بالحق الإلهي[1] .

ويستشهد في ذلك بحرب الردة أيام أبي بكر الصديق ﷺ ؛ ليستخلص منها أن وجود (دولة الخلافة يومئذ) ـ كانت ضرورة مدنية وواجب سياسي ـ كان السبيل لتنظيم (الزكاة) التي هي واجب ديني ، وركن من أركان الإسلام الدين .. وهذا هو المعنى الحقيقي والعميق لعبارة أبي بكر ، التي حسمت الحوار الذي دار حول مشروعية قتال هؤلاء المرتدين عن وحدة الدولة الإسلامية : إن الزكاة هي حق لا إله إلا الله . (والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه لرسول الله ـ ﷺ ـ ؛ لقاتلتهم عليه) .. وبهذا المنطق الذي ربط به أبو بكر (الدين) و(الدولة) ؛ شرح الله صدر عمر ابن الخطاب لرأي الصديق في هذا الموضوع الخطير .

ويستطرد الدكتور زكي نجيب محمود ؛ ليقطع برأي حاسم أمام الذين يخلطون بين الحكومة في الإسلام ، والحكومة الدينية التي عرفها الغرب في العصور الوسطى ، فيقول :

(بل لعلنا لا نغالي إذا قلنا : إن وجود (دولة الخلافة) التي حماها الصحابة ودعموها بقتالهم للمرتدين ـ رغم طابعها المدني ، وانتفاء وصف (الواجب الديني) والفريضة الدينية ، والدولة الدينية عنها ـ إن وجودها كان السبيل لما هو أكثر من إقامة (فريضة الزكاة الدينية) كركن من أركان الدين .. إذ إنها كانت السبيل لإقامة

---

(١) د. زكي نجيب محمود (عن الحرية أتحدث) ص٤٧ .

الإسلام كله كدين .. (فالدولة) هي التي نشرت الإسلام خارج شبه الجزيرة .. بعد أن أعادت رفع أعلامه التي طواها العرب المرتدون .. ولولاها لتهددت الإسلام مخاطر أن يصبح مجرد نِحلة من النِحل التي عرفها التاريخ ، أو ديانة يقف شرف التدين بها عند قلة من الناس .. لقد كانت هذه (الدولة) هي الأداة التي تحقق بها وعد الله ـ سبحانه ـ في قرآنه الكريم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩])[1] .

ولم يقف به التصور الإسلامي الشامل إلى بيان صلة الإسلام بنظام الحكم وإقامة العدل ، بل امتد ليشمل تحقيقه لرغبات الإنسان في شعب الحياة الإنسانية ، فإنه انتهز فرصة لإلقاء محاضرة عن الإسلام في إحدى جامعات أمريكا ، وكان يعلم مسبقًا بجهل الأمريكيين بالإسلام مقرونًا في أنفسهم بشعور يميل بهم نحو الحكم الظالم .

وقد استخدم ﷺ حيلة بارعة في تقديم محاضرته ، فلم يصرّح في بدايتها بأنه سيتحدث عن الإسلام ـ ؛ لأنه يعرف شعورهم نحوه ، بل أخذ ـ كما يقول : (أرسم لهم صورة ثقافية حضارية نتمنى جميعًا أن تتجه الإنسانية إلى تحقيقها ، فما صورة الإنسان الفرد كما نريد له جميعًا أن يكون ؟ ما هي صورة الروابط التي نتمناها جميعًا أن تربط الأفراد في المجتمع ؟

.. وهكذا مضيتُ في حديثي معهم وكأن موضوعنا هو مستقبل الإنسان ومستقبل الثقافة ومستقبل الحضارة .. حتى إذا ما بلغت بحديثي حدًّا ظفر منهم بالموافقة والرضى ، قلت لهم :

لكن هذه الصورة التي رسمتها لكم أيها السيدات والسادة هي صورة الإسلام !!

فقال أحدهم قولًا شديد الشبه بما قاله مسيو جوردان لمعلمه في مسرحية (موليير) ـ قال : أكنا ـ إذًا ـ طوال زماننا مسلمين ونحن لا ندري ؟)[2] .

---

(١) د. زكي نجيب محمود (عن الحرية أتحدث) ص٣٩ .

(٢) د. زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص٣٦٨ .

ويضفي على العقيدة أهميتها الخاصة كأداة مقاومة في الحرب مع إسرائيل ، إذ يرى أن قوة العقيدة لا تقل شأنًا عن قوة الجيش والطيران والأسطول وقوة السلاح الذري وغير الذري من نتاج العلم التكنولوجي الجديد ، فإذا وازنا بين طرفين أحدهما هو : قوة الوسائل المادية ، والآخر هو : قوة العقائد والأفكار ؛ كان السداد في اختيار الطريق الثاني .. (هذه هي حركة التاريخ ، لن يشذ فيها صراع الأمة العربية مع إسرائيل)[1] .

ولنقارن بالتصور الإسلامي للإنسان في الفكر الإسلامي .

يقول د. زكي نجيب محمود :

(وأما عن حياة الروح .. فأهم ما يرد عنها الخاطر ، هو عبادة الله ـ جل شأنه ـ ، وعلى الرغم من أن العبادة في معظم أركانها تعتمد على الجسد ، فالشهادة ينطق بها اللسان ومعه سائر أجزاء الجهاز الصوتي ، والصلاة وقوف وركوع وسجود ونطق ، والحج طواف ووقفة على عرفات وعبارات تقال ورمي للجمرات .. إلخ .. وكلها يؤديها الجسد ، أقول : إنه على الرغم من أن الجسد أداة ضرورية لأداء العبادات ، إلا أنه في ذلك مجرد أداة ، وأما الغاية فهي شأن الروح التي لا يعرف أمرها وسرها إلا ربها)[2] .

❋ ❋ ❋

(١) د. زكي نجيب محمود (ثقافتنا في مواجهة العصر) ص٣١٩ .

ويرى الدكتور زكي نجيب محمود أن هناك تشابهًا بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ، فكلتاهما أرادت أن تنزع شعبًا من أرضه ؛ لتأخذ مكانه ـ وفي ذلك أفلحت أمريكا بالفعل ـ وفي ذلك ـ أيضًا ـ أرادت إسرائيل أن تفلح .

كذلك يؤيد الرأي القائل بأن الاستعمار الأمريكي الجديد الذي حل محل الاستعمار بصورته الكلاسيكية ولكنه استحدث لنفسه أساليب جديدة ينفذ بها إلى الشعوب الآسيوية والأفريقية ، وذلك عن طريق السيطرة الاقتصادية والعقلية والجسمية ، بواسطة مجموعة صغيرة ولكنها دخيلة . (المصدر نفسه ص٣١٧) .

(٢) د. زكي نجيب محمود (في مفترق الطرق) ص٤٥ ط الشروق ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

الإسلام يضفي على الحياة المعنى المفتقد في حضارة الغرب :

وفي وصفه لأهل الغرب يرى أنهم يسعون بلا هدف نهائي وهدفهم الحاضر هو تحصيل لقمة العيش ، ومع التقدم العلمي الذي أنتج الآلات ربما سأل السائل «وماذا جناه الإنسان من العلم وآلاته؟» .

وفي غياب الإجابة نشأ في أهل الغرب ما نشأ من قلق ومن شعور بالاغتراب (لأن الواحد منهم يحس وكأنه انسلخ عن ذات نفسه ؛ ليصنع أشياء الآخرين)[١] .

وقد أسهمت المذاهب الفلسفية المعاصرة في الإحساس بالقلق ، فهي ذات اتجاهين :

الأول : ينصب على العلم في بنيته ومنهجه ، **والثاني** : يصب اهتمامه على حياة الإنسان نفسها (وكلا الاتجاهين ـ كما نرى ـ لايفسح مكانًا لما هو وراء هذه الحياة بتاريخها الماضي وعلمها الحاضر ، إذ هو لا يهتم بما كان من قبل الحياة ونشأتها ، ولا بما سوف يكون بعد فنائها .. فإذا سئل : وماذا بعد؟ فإنه يشعر بالقلق والاغتراب ؛ لأنه لا يجد الجواب)[٢] .

ويقول الدكتور زكي نجيب محمود (لكن المسلمين عندهم في ديانتهم الجواب . فالصورة في عقيدتهم الدينية لما سوف يكون بعد فناء الأرض وما عليها ومن عليها صورة واضحة بكل تفصيلاتها ، فهنالك البعث والنشور ، وهنالك الحساب ، وهنالك الثواب والعقاب .. وهنالك العدالة بأدق موازينها)[٣] .

ولم يفته ـ أيضًا ـ الإجابة عن سؤال آخر ، وهو (فيم الحياة وشقاؤها)؟ فيجيب : (إنك تحيا بأمر الله وتعمل طاعة لله ، وسيكون يوم الحساب موعدًا ؛ لإقامة العدل فيما

---

(١) د. زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص١٣١ . الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م (دار الشروق) .

(٢) ، (٣) د. زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص١٣٢ .

قدمت يداك ، وبهذا تنتفي دواعي القلق والاغتراب وغير ذلك من الحصاد المر الذي تغص به حلوق المعاصرين [١] .

وبهذه الإجابة الواضحة يضيف المسلمون إلى حضارة العصر معنى الحياة ، ويقول : (إننا لا نرفض العصر ، بل نضيف إليه ما ينقصه) [٢] .

الفروق بين الدين والفلسفة :

ويرى الدكتور زكي نجيب محمود أن الفروق بين الدين والفلسفة واسعة وعميقة ، ويعدّد أوجه الخلاف بينهما ، فهو اختلاف في المصدر ؛ إذ الدين مصدره وحي يوحى إلى نبي أو رسول ، وأما الفلسفة فهي قائمة على رؤى يحدسها إنسان من البشر .. واختلاف ـ أيضًا ـ بينهما في الوظيفة ، فالدين منظومة من العقائد والشرائع والعبادات والمبادئ تتكون منها خطة حياة هنا في هذه الدنيا ، وتمهّد للحياة الآخرة يوم يكون الحساب .. بينما الفلسفة تصب فاعليتها على ظاهرة معينة ؛ لتكشف عن طبيعتها أولًا ، وعن علاقاتها ببقية الظواهر ثانيًا ... [٣] .

ويقول في موضع آخر : (فبينما تتعدد البناءات الفلسفية بتعدد الفلاسفة ، يظل البناء الديني واحدًا لوحدانية الموحى به والموحى إليه ، وإذا جعلنا حديثنا هنا مقصورًا على الإسلام ، قلنا : إن شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله تتضمن فيما تتضمنه ، وحدانية من أوحى بالدين ، ومن نزل عليه الوحي ، وذلك يستتبع أن يظل البناء الديني عن المؤمنين به واحدًا عن الجميع) [٤] .

وبعد أن يستطرد بشرح أوجه الخلاف بين الدين والفلسفة يقرر في نهاية المطاف حكمه النهائي بقوله : (إنه الخلط الفكري الذي رزئنا به في حياتنا الثقافية ، وحتى

---

(١) ، (٢) د. زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص١٣٢ .

(٣) د. زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص١٢١ ، ١٢٢ باختصار ، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م .

(٤) نفسه ص١٢٠ .

أصبحنا وكأننا في تلك الحياة نخوض في عماء فوقه سحاب أدكن ، ويكتنفه ضباب قائم كثيف)[١] .

وقد أصاب بهذا الحكم على الفلسفة ، فهي عاجزة عن تحقيق حياة واقعية فاضلة ؛ إذ إنه لا بد من الدين ـ بشريعته وقيمه ـ في تنظيم حياتنا .

هذا ؛ وقد حجبت الفلسفة الغربية ـ قديمًا وحديثًا ـ بمناهجها ومدارسها وروادها ، حجبت الإسلام ـ بمصدريه : كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ ـ عن الأجيال تلو الأجيال منذ عصر الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين ، وهم آلاف المثقفين (الذين ما إن فُتحت عيونهم على فكر أوروبي قديم أو جديد ، حتى سبقت إلى خواطرهم ظنونٌ بأن ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه ؛ لأن عيونهم لم تفتح على غيره لتراه)[٢] .

وتاريخ إدخال الفلسفة الغربية القديمة والوسطى والحديثة إلى جامعاتنا ينمّ عن إحدى أدوات التغريب لشباب المسلمين ؛ لسلخهم من هويتهم الإسلامية وجعل ولائهم الفكري تابعًا للغرب ، وقد نجح الغرب في تحقيق غرضه إلى أبعد حد ، فإن واقعنا المتمثل في مناهج التعليم ، وجهل أغلب أبنائنا بتراثهم الإسلامي دليل ساطع على نجاحه .

يقول فنسامي مونتاي الفرنسي ـ المهتدي للإسلام ـ : « إن مثل الفكر العربي الإسلامي المبعد عن التأثير القرآني كمثل رجل أفرغ من دمه »[٣] .

وفي الختام فقد اتسمت آراء الدكتور زكي نجيب محمود بدقة الملاحظة والصراحة ، والحرص على واقع الحياة ببلادنا ؛ لتصحيح ما يراه من انحرافات ربما تخفى عن أعين الكثيرين .

---

(١) نفسه ص١٢٣ . وكان في أول المقال قد أبدى دهشته ، إذ رأى بين صفوة المثقفين من يحسب الدين فلسفة ، ومن يحسب الفلسفة دينًا ص١١٥ . وعنوان المقال : (الفلسفة شيء ، والدين شيء آخر) .

(٢) د. زكي نجيب محمود (تجديد الفكر العربي) ص٦،٥ .

(٣) مجدي الهلالي (تحقيق الوصال بين القلب والقرآن) ٢١١٢ مؤسسة اقرأ ـ القاهرة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .

ولعل من أبرزها ما لاحظه في البلاد النامية من المفارقات بين القول والعمل، وقد تجسدت الظاهرة في هذه البلاد التي ظفرت بحريتها وتولت الحكم فيه حكومة من أبنائه بعد أن كانت في أيدي أجانب غاصبين، وأخذ يصف الحكام الوطنيين بقوله: (قد تذهلهم السلطة التي جاءت إليهم فجأة بكل ما يتبعها من مكاسب، فتأخذهم خشية أن يكون هذا «العز» المفاجئ مصيره إلى زوال مفاجئ أيضًا ... فيحاولون جمع أكثر ما يمكن جمعه، وفي أقصر مدة ممكنة قبل أن يُباغتوا بأحكام القدر. ومن هنا تراهم يقسّمون حياتهم قسمين: أحدهما في العلن، والآخر في الخفاء، فيبشرون بكل ما يطيب وقعه على الأسماع، لكنهم من وراء ظهر المجتمع يكتزون ويكدسون)[1].

وكذلك الدكتور طه حسين ـ أيضًا ـ:

كان مؤلف كتاب (دور جامعة القاهرة في بناء مصر الحديثة) قد وصف الدكتور طه حسين بأنه (داعية الحداثة المكافح)[2].

وإن صحّ هذا الوصف في بداية حياته الثقافية؛ فلا يصح إذا وقفنا على تحوله في نهاية حياته، كما سنعرض دراسة الدكتور محمد عمارة لمراحل حياته الفكرية:

وقد نشر الشيخ محمود شاكر رحمه الله شهادة الدكتور طه حسين التي تتضمن النقد لحضارة الغرب؛ إذ رأى أنها حملت إلى عقولنا شرًّا غير قليل، ساخرًا من الذين قلدوها تقليد القردة، مشفقًا على ضحايا الحضارة الحديثة الذين ظنوا أن التجديد في إماتة القديم. وقد وصف أحدهم بقوله: (ينفث السم، ويفسد العقول، ويمسخ في نفوس الناس المعنى الصحيح لكلمة التجديد)[3].

---

(١) قيم من التراث ص٣٥٨.

(٢) دونالد مالكولم ريد (دور جامعة القاهرة في بناء مصر الحديثة) ص٩٥ ترجمة إكرام يوسف. مكتبة الأسرة ٢٠٠٧م.

(٣) محمود محمد شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ص٢٤٥، كتاب الهلال - مصر. العدد ٤٨٩ صفر - =

وقد سجل الشيخ شاكر اعتراف الدكتور : بتصحيح مواقفه السابقة ، فقال : « قد بينت في بعض مقالاتي أن الدكتور طه قد رجع في أقواله التي قالها في الشعر الجاهلي بهذا الذي كتبه ، وببعض ما صارحني به بعد ذلك وصارح به آخرين ، ومن رجوعه عن هذه الأقوال ، ولكنه لم يكتب شيئًا صريحًا يتبرأ به مما قال أو كتب .. وهكذا كانت عادة « الأساتذة الكبار » ! يخطئون في العلن ، ويتبرأون من خطئهم في السر »[1] .

وقد استعرض الدكتور محمد عمارة مراحل حياته الفكرية ، حيث استخلص منها تراجعه من مواقفه في مستهل حياته ، وأخذ يفند تلك المواقف وانتقاله فيها من حال إلى حال ، فقد بدأ مدافعًا عن علمنة الإسلام ، مشاركًا في تأليف كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق ، ثم أعلن في النهاية أن الإسلام هو صانع الوطن الأول بالنسبة لكل المسلمين على امتداد عالم الإسلام .. فصوّر الخلافة بأنها نظام مدني ملتزم بمرجعية الشريعة الإسلامية ، وهي نظام تعاقدي أبدعه المسلمون ولا نظير له في الحضارات الأخرى ... وبدأ حياته الفكرية بالتشكيك في الصدق التاريخي لبعض قصص القرآن الكريم ، وانتهى إلى الدعوة للإلتزام بكل القرآن « حتى لا نكون ممن يؤمن ببعض ويكفر ببعضه الآخر ... » ، وبدأ بإنكار دور اللغة العربية في بناء الوطن ووحدته ثم انتهى قطبًا من أقطاب الوحدة العربية وواحدًا من أبرز بلغائها في القرن العشرين ... وبدأ منبهرًا بالنموذج الحضاري الغربي داعيًا إلى الالتزام بخيره وشره ، ثم انتهى إلى بيان تميّز النموذج الحضاري الإسلامي في علاقة الدين بالسياسة وفي دور الإسلام في صياغة الهوية الحضارية للإنسان المسلم .

= سبتمبر سنة ١٩٩١م . وقد علق الشيخ شاكر على الشهادة بقوله (وأخشى أن أقول إن هذه الصفة تشمل عامة المثقفين في زماننا هذا إلى سنة ١٩٧٧م) .

(١) نفسه ص٢٤١ .

وانتهى الدكتور محمد عمارة بعد ذلك كله إلى القول بأنه (كان رحمه الله ـ فارسًا من فرسان المراجعات الفكرية ـ كما كان رغم كبريائه المشهور ـ نموذجًا طيبًا من نماذج نقد الذات والتجدد الفكري .. لكن الغريب والعجيب أن بعضًا من الذين يكرهون طه حسين ، ومن الذين يتمسّحون في طه حسين قد جهلوا ـ أو تجاهلوا ـ هذه الحقائق في المسيرة الفكرية لهذا الرائد العظيم .. وتلك (مصيبة) من (مصائب) الاستقطاب الفكري الذي نعيش فيه ؟!)[1] .

ويضيف الأستاذ شاكر قوله : (وسأحاول هنا أن ألخص ما قاله الدكتور طه بألفاظه هو لا بألفاظي ؛ لأنها شهادة أستاذ كبير ، يقول :

« والذين يظنُّون أن الحضارة الحديثة حملت إلى عقولنا خيرًا خالصًا يخطئون ، فقد حملت الحضارة الحديثة إلى عقولنا شرًّا غير قليل .. فكانت الحضارة الحديثة مصدر جمود وجهل ، كما كان التعصّب للقديم مصدر جمود وجهل أيضًا » .

« هذا الشابّ ، أو هذا الشيخ الذي أقبل من أوربة يحمل الدرجات الجامعية ، ويحسنُ الرطانة بإحدى اللغات الأجنبية ... يجلسُ إليك وإلى غيرك منتفخًا متفشًا ، مؤمنًا بنفسه وبدرجاته وبعلمه الحديث ، أو أدبه الحديث ، ثم يتحدَّثُ إليك كأنه ينطق بوَحْي أبُولُّون . فيعلن إليك في حَزْم وجَزْم أن أمر « القديم » قد انقضى ، وأن الناس قد أظلهم عصر « التجديد » ، وأنَّ الأدب القديم يجب أن يُتْرَك للشيوخ الذين يتشدّقون بالألفاظ ، ويملأون أفواههم بالقاف والطاء وما أشبهها من الحروف الغلاظ ، وأن الاستمساك بالقديم جمود ، والاندفاع في الحياة إلى أمامٍ هو التطوُّر ، وهو الحياةُ وهو الرقُّي . هذا الشاب وأمثاله ضحيّةٌ من ضحايا الحضارة الحديثة ؛ لأنه لم يفهم هذه الحضارة على وجهها ، ولو قد فهمها ؛ لعلم أنها لا تنكر القديم ولا تنفِرُ

---

(١) د/ محمد عمارة ، مقال بعنوان « فرسان المراجعات الفكرية » ص ١٣٥ مجلة (الأزهر) رمضان سنة ١٤٣٢ هـ ـ أغسطس سنة ٢٠١١م .

منه ولا تنصرف عنه ، وإنّما تحبّه وترغّبُ فيه وتَحُثُّ عليه ؛ لأنها تقوم على أساسٍ منه متينٌ ... » ، « هذا الشابُّ ضحيّةٌ من ضحايا الحضارة الحديثة ، أو من ضحايا جهل الحضارة الحديثة ، وشرُّه ليس مقصورًا عليه ، وإنما يتجاوزه إلى غيره من الناس . فهو يتحدَّث وهو يعلِّمُ ، وهو يكتُبُ ، وهو في هذا كُلِّه ينفُثُ السُّمّ ، ويفسد العقول ، ويمسَخُ في نفوس الناس المعنى الصحيح لكلمة « التجديد » . فليس التجديد في إماتة القديم ، وإنما التجديد في إحياء القديم ، وأخذ ما يصلُح منه للبقاء ، وأكادُ أتَّخذ الميلَ إلى إماتة القديم أو إحيائه في الأدب ، مقياسًا للذين انتفعوا بالحضارة الحديثة أو لم ينتفعوا بها ، فالذين تُلهيهم مظاهر الحضارة عن أنفسهم حين تلهيهم عن أدبهم القديم لم يفهموا الحضارة الحديثة ، ولم ينتفعوا بها ، ولم يفهموها على وجهها ، وإنما اتخذوا منها صورًا وأشكالًا ، وقلدوا أصحابها تقليد القردة ، لا أكثر ولا أقل !! » .

« والذين تلفتهم الحضارة الحديثة إلى أنفسهم ، وتدفعهم إلى إحياء قديمهم ، وتملأ نفوسهم إيمانًا بأن لا حياة لمصر إلا إذا عُنِيت بتاريخها القديم وبتاريخها الإسلامي ، وبالأدب العربي قديمه وحديثه ، عنايتها بما يمس حياتها اليومية من ألوان الحضارة الحديثة ؛ هم الذين انتفعوا ، وهم الذين فهموا ، وهم الذين ذاقوا ، وهم القادرون على أن ينفعوا في إقامة الحياة الجديدة على أساس متين » [1] .



(١) محمود شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ص ٢٤٢ / ٢٤٤ ـ كتاب (الهلال) مصر ط ٣ العدد ٤٨٩ صفر/ سبتمبر ١٩٩١م .

مقومات التضامن الإسلامي

يقول الدكتور إبراهيم خليل ـ بحث بعنوان : التضامن الإسلامي ضرورة حتمية .

« إن الاتجاه نحو التجمع والتكتل يفرضه واقع عالم اليوم ، عالم سرعة المواصلات واختصار المسافات ، عالم الطائرات والصواريخ ، عالم الصناعات الثقيلة ، والإنتاج الكبير ، عالم الأقمار الصناعية ، وغزو الفضاء ، عالم لم يعد فيه مجال لحدود مقفولة بين الأمم ، ولا لحواجز فاصلة بين الشعوب ، ولا لدول صغيرة معزولة أو منطوية على نفسها »(١). وها هي مقومات التضامن الإسلامي :

الوحدة الثقافية :

إن رأس كل (ثقافة) كما يرى الشيخ محمود شاكر رحمه الله تعالى ـ هو « الدين » بمعناه العام ، والذي هو فطرة الإنسان ... وبقدر شمول هذا « الدين » لجميع ما يكبح جموح النفس الإنسانية ويحجزها عن أن تزيغ عن الفطرة السويّة العادلة ، وبقدر تغلغله إلى أغوار النفس تغلغلًا يجعل صاحبها قادرًا على ضبط الأهواء الجائرة ومريدًا لهذا الضبط ، بقدر هذا الشمول وهذا التغلغل في بُنيان الإنسان ؛ تكون قوة العواصم التي تعصم صاحبها من كل عيب فادح(٢).

قال تعالى ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة: ١٣٨] ، والعقيدة الإسلامية هي التي ربطت الشعوب الإسلامية برابطة الأخوة والتضامن ، ومهما تحايل أصحاب العقائد المستوردة على تزيين تلك الأفكار والعقائد ؛ فإن شعوبنا ترفضها .

---

(١) إبراهيم خليل أحمد (الاستشراق والتبشير . صلتهما بالإمبريالية العالمية) ص ١٧٢ ـ مكتبة الوعي بالقاهرة عام ١٩٧٢م .

(٢) محمود محمد شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ص ٤٤ كتاب (الهلال) بمصر ط ٣ العدد ٤٨٩ ـ صفر ـ سبتمبر ١٩٩١م .

لذلك ؛ فقد تنبه الاستعمار الغربي لهذه الميزة ، فعمل على مسخ الشخصية الثقافية للمسلمين ، وفرضت إنجلترا وفرنسا ثقافتهما ولغتهما ؛ لكي تربط الأجيال الجديدة بالمستعمرين وتفصلها عن آبائها وأجدادها ، لذلك ؛ أصبح من المهام الأساسية للصحوة الإسلامية في إطار وحدة الدول الإسلامية : بعث الثقافة الإسلامية المشتركة ـ بعد تصفيتها من شوائب الغزو الثقافي الغربي ، مع إعطاء عناية خاصة للغة العربية بإعتبارها لغة القرآن ولغة الإسلام وأداة صالحة لنهضتنا الثقافية والحضارية [1].

وتحقق الوحدة الثقافية خط الدفاع الأول في مواجهة العولمة والتغريب (ولو لم يكن للتضامن الإسلامي من ميزة إلا أن يسد على المسلمين بابًا يأتي منه النفوذ العقائدي الأجنبي ـ وما يتبعه من سيطرة عقائدية تتبعها سيطرة سياسية ـ ؛ لكان هذا وحده كافيًا لتبرير وجوده ودعمه وإصرار المسلمين عليه والتفافهم حوله) [2].

وهناك عدة عوامل تحتم على المسلمين التضامن ؛ لأن هذا التضامن عقيدة كامنة في قلب كل مسلم لا تنفصل عن إيمانه بتوحيد الله ﷻ ووحدة المسلمين في ظل أخوة الإسلام ، وما يتفرع عن تلك الأخوة الإسلامية من حقوق والتزامات متبادلة بين المسلمين أفرادًا وجماعات [3].

وتتأسس ضرورة التضامن على العوامل الآتية :

العامل الجغرافي :

يتضح من خريطة العالم الإسلامي أنه يشمل رقعة فسيحة من سطح الكرة الأرضية في ملتقى القارات الثلاث الكبرى ـ آسيا وأفريقيا وأوروبا ـ ، وهي تمتد من بحار الصين شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا . ومن حدود السوفيات وأوروبا الجنوبية

---

(١) إبراهيم خليل أحمد (الاستشراق والتبشير) ص ١٨٩ بتصرف مصدر سابق .

(٢) نفسه ص ١٨٣ .

(٣) نفسه ص ١٧٧ .

شمالًا إلى المحيط الهندي ووسط أفريقيا جنوبًا ، فلو لم يكن بين المسلمين إلا هذا الاندماج الإقليمي ، وهذا الاتصال الجغرافي بين أقطارهم ـ وما يترتب عليه من تشابك السلالات واختلاط الأجناس والعناصر ، وترابط المصالح المادية والثقافية والروحية ؛ لكان ذلك وحده ـ في نظر كل مفكر منصف مجرد عن الهدى ـ كافيًا لكي تكون الشعوب الإسلامية مجموعة إقليمية عالمية [1].

هذا التشابك هو الذي لفت نظر المؤرخ الفرنسي فرناند بروديل فسجّل ملاحظته بقوله : (إن توحد البلاد الإسلامية حقيقة واقعة اليوم ـ تمامًا ـ كما كانت بالأمس ، ففي الحياة اليومية تجد سمات الحضارة الإسلامية وتلمسها بلا جدال وذلك في نظرنا إلى مظاهر توافق المعتقدات وتطابق العادات وتماسك العائلة ، ووحدة الميول والأذواق والتصرفات ، بل حتى الأطعمة نفسها) [2].

إن قوة الرابطة التي تجمع المسلمين تذيب ما بينهم من فوائد الجنس واللغة والمكان ، بل تذيب الفوارق الناشئة عن اختلاف الزمان والمكان ؛ لتضم الأمة الإسلامية في وحدة كونية ، فهي وحدة لا وجود لها في غير الإسلام من الأديان . وكان آخر ظواهرها في العصر الحديث أيام الخلافة العثمانية ، عندما دعت تركيا إلى إنشاء سكة حديد الحجاز قبل الحرب العالمية الأولى ؛ انهالت التبرعات المالية من شتى بلاد المسلمين من أندونسيا إلى المغرب ، وعندما فرض الغربيون على تركيا شروطًا ظالمة بعد الحرب العالمية الأولى ؛ ثار المسلمون في الهند ثورة عنيفة أفزعت الإنجليز المحتلين ، وعندما مات الزعيم الهندي المسلم مولانا محمد علي في لندن أثناء دفاعه عن الإسلام ؛ دُفن في القدس الشريف حسب وصيته .. وتوالت الأنباء

---

(١) نفسه ص ١٥٩.

(٢) فرناندبروديل (تاريخ وقواعد الحضارات) ص ١٣٠ ترجمة وتعليق سفير د/ حسين شريف الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٩م .

بمحاولات فرنسا السافرة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية للقضاء على الإسلام وعلى اللغة العربية وتشجيع اللغة البربرية في المغرب ؛ اهتز لذلك بلاد العرب والمسلمين ، ولما إزدادت جرائم إيطاليا الوحشية في ليبيا ؛ انهال المتطوعين من شتى بلاد المسلمين للمشاركة في الجهاد بأموالهم وأنفسهم ، واستشهد عمر المختار في هذا الجهاد فرثاه كل شعراء العرب ، وبكاه المسلمون في أندونسيا والهند ، وعندما ازداد خطر اليهود في فلسطين ؛ شُغل الرأي الإسلامي العام بذلك ، وتطوع مسلمون للدفاع عنها من شتى البلاد ، وقاطعت الحكومات الإسلامية الدولة الدخيلة المختصبة بعد ذلك (١) .

ورأى الغرب في هذه الوحدة خطورة على مصالحه وأهدافه الاستعمارية ، فأخذ يعمل على هدم الخلافة العثمانية مستخدمًا كل الأساليب ، كالحروب المتعددة وإثارة النعرات الوطنية والقلائل الدينية حتى حقق هدفه بواسطة عميله اليهودي أتاتورك عام ١٩٢٤م .

ثم استمر هدف الغرب بعد ذلك في الحيلولة دون قيام وحدة إسلامية الذي عانى منها طويلًا لعدة قرون ، وقد افصح عن ذلك المستشرق جب بقوله : (ويجب أن نلاحظ أن موضع البحث ليس هو : هل تبقى الروابط القديمة التي كونت هذه الوحدة ثابتة دون أن تتغير أو تتطور ؟ فقد تتطور مظاهر هذه الروابط . وقد يصبح مفهوم هذه الوحدة مغايرًا لمفهومها في العصور الوسطى . فكل ذلك ثانوي ليس بذي خطر . ولكن المهم هو : هل ستكون هناك ميول مشتركة بين الشعوب الإسلامية ؟ وهل سيقوم إحساس بوحدة العمل والهدف ؟ أم أن الآراء الجديدة ستنجح آخر الأمر في تشتيت المجتمع الإسلامي وتحطيم وحدته ؟) (٢) .

---

(١) د/ محمد محمد حسين (الإسلام والحضارة الغربية) ص ٥٨/ ٥٩ بتصرف يسير ، دار الإرشاد ـ بيروت ط ١ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩م ، ونضيف ـ أيضًا ـ موقف الشعوب من جرائم الروس في أفغانستان ، وكيف شارك شباب الإسلام في الجهاد مع شعب الأفغان في تحقيق الانتصار على الجيش الروسي .

(٢) نفسه ص ١٠٤ .

وهو يقصد بذلك أن حرص الاستعمار على (تغريب) المجتمعات الإسلامية، وتطوير الفكر الإسلامي حسب مخططاته سيؤدي إلى تفتيت الوحدة الإسلامية.

العامل التاريخي (أمجاد الخلافة الإسلامية):

إن الشعوب الإسلامية كانت تجمع بينها في الماضي سلطة سياسية واحدة ـ أي: الخلافة ـ طوال أربعة عشر قرنًا، وعاشت في ظل وحدة إسلامية وليدة حضارة وإمبراطورية إسلامية، ولم تنفصل الشعوب الإسلامية عنها برغبتها، وإنما فرض عليها هذا الانفصال فرضًا بواسطة غزوٍ أوروبي واحتلال استعماري أجنبي مزق وحدة العالم الإسلامي وفصل أقطاره بعضها عن بعض [1].

لقد جعلت الخلافة ـ كما يذكر الدكتور محمد ضياء الدين الريس ـ العالم الإسلامي أقوى الأمم على وجه الأرض، وأرقاها حضارة، والتي تحت علمها المرفوع سارت الجيوش المنتصرة فهزمت قوى الإمبراطوريتين الرومية والفارسية، وحررت الشعوب والأقطار من حكمها الظالم، .. إن تاريخ الخلافة الإسلامية ـ والدول التي تفرعت عنها ـ كان سلسلة من الأمجاد وحلقات من الانتصارات: ففي عهودها حدثت المواقع المجيدة: في اليرموك والقادسية ونهاوند وأجنادين وبابليون والقيراون وغيرها، ثم مواقع حطين وعين جالوت والمنصورة وأمثالها .. وحتى الدولة العثمانية ـ التي لم تكن خلافة كاملة ـ حققت المجد والانتصارات للإسلام والمسلمين، ففتحت القسطنطينية، ووقفت جيوشها على أسوار فيينا، وظلت حاكمة لشرق أوروبا عدة قرون، ولولا أن حكامها في العهود الأخيرة عجزوا عن تطويرها لتجاري روح العصر ولم ينفذوا مبادئ الإسلام: من الشورى والعدل والحرية والتفوق في العلم؛ لظلت محتفظة بقوتها. ومع ذلك فإنها ظلت حصنًا ثابتًا ومنعت غزو الاستعمار الأوروبي للبلاد العربية الإسلامية حقبة طويلة) [2].

---

(١) نفسه ص ١٨١.

(٢) د/ محمد ضياء الدين الريس (الإسلام والخلافة في العصر الحديث ـ نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم) ص ٢٨٤ منشورات العصر الحديث ـ بيروت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.

ويقول الدكتور جمال عبد الهادي : (ولعل هذا الموقف يخرس الأفواه التي تحاول النيل من الخلافة العثمانية التي ظلت تحرس العالم الإسلامي وتحميه من الوقوع في يد المغتصب الأوروبي طيلة أربعة قرون أو يزيد) (١) .

أضف إلى ذلك أن (فلسطين) ظلت في أمان من العدوان اليهودي الصليبي طيلة عهد العثمانيين .. وكان العثمانيون في دفاعهم عن بلاد المسلمين ينطلقون من عقيدة الإسلام .

﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] ، و« إن استنصرك أخوك المسلم ؛ فانصره ... » ، وفي هذا - أيضًا - صفعة للذين يحاولون أن ينالوا من الخلافة العثمانية .

وهم يقفون موقف الخذلان لإخوانهم المسلمين الذين تنتهك أعراضهم وتُستحيى نساؤهم ، ويُذبح علماؤهم في (البوسنة والهرسك) وعلى أرض (فلسطين) (٢) .

وأضيف : وها نحن بسبب الانقسامات والتشرذم نقف مكتوفي الأيدي أمام اغتصاب القدس وتهويدها ، ومحاولات هدم المسجد الأقصى!

التضامن السياسي :

والتضامن السياسي بين الدول الإسلامية سيحقق هدفين داخليًا وخارجيًا ، لا يقل أحدهما عن الآخر في الأهمية .

ففي الداخل ، فقد (أثبتت تجاربنا التاريخية أن للإسلام طاقة عجيبة في إذابة الفوارق العنصرية والطائفية والطبقية وإقامة مجتمع منسجم على أساس الأخوة الإنسانية .

---

(١) د/ جمال عبد الهادي (أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ) ص ٥٧ - دار الوفاء بالمنصورة ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

(٢) نفسه ص٥٨ .

وتدعيم التضامن الإسلامي هو خير وسيلة تُريح كثيرًا من الدول الإسلامية من المشاكل الداخلية الناتجة عن المنازعات العنصرية أو الطائفية أو الطبقية تثقل كاهلها) [١] .

أما في الخارج فإن هناك قضايا سياسية ووطنية ما زال الجهد الفردي للشعوب صاحبة الحق فيها عاجزًا عن حلها ، وعلى رأسها : قضية فلسطين ثم كشمير وقبرص ، والبوسنة والهرسك ، والأقليات المسلمة في الدول الغربية والبلقان والصين ، (إن التضامن الإسلامي يحول تلك القضايا إلى قضايا إسلامية عامة يتحمل عبئها جميع الدول الإسلامية في إطار التضامن والتعاون ووحدة الأهداف ووحدة الخطة والعمل ، وهذا وحده يكفي ؛ لإخراج تلك القضايا من الجمود الذي وصلت إليه ، ويزيد من إمكانيات الوصول إلى حلول سلمية لها بتأثير الوزن الدولي للمجموعة الإسلامية الضخمة المتضامنة التي لا يمكن أن يقارن به الوزن السياسي لأي دولة منفردة ، ولا أي مجموعة أضيق وأصغر ، كالجامعة العربية ـ مثلًا ـ التي عجزت إلى اليوم عن إسماع صوت الحق في المجال الدولي بالنسبة لقضية فلسطين) .

وستعين وحدة الأمة السياسية على مباشرة رسالتها كأمة دعوة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فهي لا تفعل كما فعلت الدول الكبرى في العصر الحديث بفرض مذاهبها السياسية ، أو السيطرة على الشعوب المغلوبة على أمرها ، كما فعل الاتحاد السوفيتي في ظل الماركسية ، أو الولايات المتحدة الأمريكية في ظل العولمة .

(أما المسلمون ، فإن أحدًا لا يمكن أن يفكر في أن يتهمهم بأنهم يتجمعون لفرض سيطرتهم على العالم . فهم لا يفكرون إلا في أن يتمتعوا في بلادهم بحرية العقيدة والرأي ، وألا تفرض عليهم إحدى الدول الكبرى مذهبًا أجنبيًا عنهم) [٢] .

(١) إبراهيم خليل (الاستشراق والتبشير) ص١٩١ .

(٢) نفسه ص١٨٢ .

العامل الاقتصادي :

وعلى المسلمين كغيرهم من شعوب الأرض أن يعيدوا نظمهم ومجتمعهم للتطور عن طريق التكتلات الاقتصادية الضخمة التي تتجاوز حدود القوميات الوطنية الضيقة ، فإن شعوب العالم الإسلامي تعيش في مساحات شاسعة متباينة الأجواء ، متنوعة الثروات ، فلا بد من تنسيق الجهود حتى يمكن استثمارها في مجال التصنيع وتشغيل الأيدي العاملة بالتخطيط المشترك وتنسيق الجهود بواسطة الخبراء والفنيين في كل ماله علاقة بالتعاون الاقتصادي ؛ للانطلاق في العمل الجدي في ميادين الصناعة والإنتاج والتنمية والتطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي [1] .

تحقيق الأمن القومي للأمة :

إن الأمة الإسلامية معرضة للخطر ما دامت إسرائيل مغروسة في وسط أراضيها وشعبها كله - لا جيشها فحسب - يتحفز للانقضاض على جيرانه ، أو على البلاد البعيدة بالذراع العسكري الطويل . ولا أحد يغفل التأييد السياسي والعون الاقتصادي والعسكري بواسطة الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد نجحت إسرائيل منذ عام ١٩٤٨م بتحقيق انتصارات عسكرية مفاجئة وسريعة لكل بلد على حدة ؛ لأنها تعلم عجزها عن مواجهة قوى الأمة العسكرية في حرب طويلة الأمد تعرضها للاستنزاف .

ومن أوليات تحقيق الأمن القومي هو التنسيق العسكري بين الدول الإسلامية ، وتصبح قوى الجيوش بأعدادها وأسلحتها سدًا منيعًا أمام مطامع الدولة اليهودية ، بل تحقق نوعًا من الردع تجعلها تردد ألف مرة قبل الإقدام على الغزو والانقضاض العسكري كما فعلت بحربي ١٩٥٦م و١٩٦٧م .

---

(١) نفسه ص١٨٤ و ص١٩٢ باختصار .

والأمن القومي (أوسع من دائرة الوطن ؛ لأنه يشمل أمة بأكملها لها أيدولوجية ورؤية للواقع ذات أهداف تسعى لتحقيقها ، وبالتالي فإن مشروع الأمن القومي للأمة يقوم على رؤية جامعة لمجموع الأوطان التي تتفق معًا في تلك العقيدة الواحدة والفكر الواحد ، وهنا يلزم التخلي عن الخصوصية والمصالح الذاتية من أجل الهدف الأسمى ، وتتحمل الأوطان المزيد من التضحيات من أجل الأمة الأكبر) [1] .

وإذا قررنا بأن الأرقام هي أدق لغة علمية ، فقد قام المهندس الدكتور مصطفى مؤمن بعمل إحصائية معبّرة عن العالم الإسلامي ، والمطلع عليها سيقتنع بنفسه بمدى قوة هذا العالم وإمكانياته الهائلة وقدرته على استئناف حضارته من جديد في ظل وحدته المرتقبة .

يقول د. مصطفى مؤمن :

(والآن ، ما ظننا بدولة شامخة تحتل رقعة من الأرض مساحتها ٣٠١٢٧٦٠٩ كيلومترًا مربعًا ، وتعدادها ٧٧٠٥٩٥٠٠٠ نسمة ، وقوتها الضاربة البرية قوامها ٢٩٥٧٤٠٠ جندي ، وأسطولها البحري يضم ٨٨١ قطعة ، وسلاحها الجوي يتألف من ٣٨٤٦ طائرة مقاتلة وقاذفة وناقلة ، ودخلها السنوي يزيد عن ٦٣٥٧٧ مليون دولار أمريكي ..

وقبل هذا وبعده دولة دينها الحق والحق واحد ، وقبلتها واحدة ودستورها الدائم واحد هو الكتاب المكنون .

أظن أن هذه غاية ما يرجو كل مسلم على الأرض ، ويقيني أنه لو قامت هذه الدولة الشامخة يومًا ؛ لنافست ـ بل ناجزت ـ الدولتين المتعاليتين (الولايات المتحدة) و(الاتحاد السوفيتي) على السواء .

---

(١) عبود الزمر ، مقال بعنوان : (المفهوم الحقيقي للأمن القومي) ص٨٠ مجلة (المنار الجديدة) العدد٤٩ شتاء ٢٠١٠م .

فهل يمكن أن يتحقق ذاك الحلم الجميل الذي يداعبنا في غمرة من اليقظة أو نوبة من الرقاد ؟ ، إنه ليس حلمًا ، لقد كان حقيقة بالأمس وأراه اليوم غير بعيد المنال)[1] .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[الإسراء: ٥١] .

عقبات في طريق الوحدة :

أدري أننا أمام عقبات كثيرة تقف عثرة في تحقيق وحدة الأمة سواءً في إطار نظامنا السياسي التليد (الخلافة الإسلامية) أو أي رابطة أخرى تؤدي إلى نفس الهدف .

ولا بد من تذليل العقبات في مجتمعاتنا الإسلامية بخطة طويلة الأمد ؛ لتهيئة الرأي العام لقبول الفكرة ، وإقامتها على قاعدة عريضة من الأغلبية حتى نضمن نجاحها والبداية بإقناع الجماهير بمزايا الوحدة وآثارها الكبرى على بلاد المسلمين سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا ، وعلى رأسها : تجديد حضارتنا وإعادة أمجادها وتمكينها من أداء دورها العالمي كصاحبة رسالة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

بل إن الوحدة تحقق الحفاظ على أمن المسلمين في الصراع الحضاري القائم الآن ـ حسب مصطلح هانتنجتون المنظّر الأمريكي ـ ، وقد تسببت أوضاعنا الحالية من الانقسامات إلى هزائم منكرة حيث تتربص بنا إسرائيل التي تقع في قلب العالم العربي الإسلامي وتُمثل تحديًا سافرًا .

التحدي ـ إذن ـ تحدٍّ حضاري ، يستلزم تجنيد القوى الكامنة الروحية في الأمة ، وتغذية وعيها الإيماني ، وتوظيف كافة طاقاتها ـ وبخاصة الاقتصادية والعسكرية ـ ، مع استعادة خبراتها في الحروب الصليبية التي حققت بها النصر .

---

(١) يُنظر كتاب (قسمات العالم الإسلامي المعاصر) للدكتور مصطفى مؤمن ط دار الفتح ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .

وإذا صحت بعض الدراسات السياسية التي عدّت الدولة اليهودية رأس حربة للحضارة الغربية وامتدادًا لها ؛ فإن المواجهة ستأخذ شكل الحروب الصليبية ، (وكان الرئيس الأمريكي الأسبق بوش قد أعلنها عند غزوه لأفغانستان) ، ولم يكن يعني أفغانستان وحدها ، بل الأمة الإسلامية نفسها بدليل أنه ثنى بغزو العراق ، ولا مفرّ من مواجهة الغرب برمته ، وهو البادئ بالغزو العسكري الاستعماري منذ نحو قرنين من الزمان ، بينما نحن في حالة دفاع ، وهذا قدرنا ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

يقول الأستاذ مجدي أحمد حسين : (كل التقارير الاستراتيجية والتصريحات الأمريكية الرسمية تؤكد ـ دومًا ـ حرص الولايات المتحدة على استمرار التفوق العسكري الإسرائيلي الكاسح ، ليس على مصر فحسب ، بل على كل الدول العربية مجتمعة) [١] !

أيشك أحد في ضرورة الوحدة العسكرية للأمة الإسلامية بكافة بلادها ؛ لكي تضمن النصر في معركة كبرى لا بد قادمة ؛ لتحرير القدس من براثن اليهود وإنقاذ المسجد الأقصى؟

آفاق المستقبل ـ بمشيئة الله تعالى ـ :

ولسنا في عجلة من أمرنا ، فإن البناء والتشييد يقتضي الإعداد والتخطيط ، وانفصام وحدة مصر وسوريا ليس منا ببعيد [٢] .

---

(١) مجدي أحمد حسين (أحكام القرآن الكريم في موالاة الكفار والمشركين) ص٨٥ بدون اسم الناشر عام ٢٠٠٠م .

(٢) قال محمد أحمد فرغلي (باشا) : الوحدة في تصوري بين بلدين تعد من المسائل الشائكة والمعقدة ، والتي يجب أن تسبقها الدراسات والبحوث والخطوات القصيرة . صحيح أن هناك عوامل تساعد على إتمام هذه الوحدة مثل اللغة المشتركة ، والدين والأمن والأماني والمصلحة ، لكن هذه العوامل وحدها لا تكفي لإنجاح الوحدة ، فالوحدة لا تأتي بقرارات من القيادة السياسية ، بل إنها ـ يجب أن تكون رغبة جارفة لشعوب تجد في هذه الوحدة تحقيقًا لمصالحها ، والشعوب كي تصل إلى مرحلة النضج ، والقدرة على تصور مصلحتها في الوحدة يجب أن تُعد =

وقد يستغرق الأمر جيلًا أو جيلين ؛ لإزالة العقبات ، وعلاج الجروح ، وجمع الشمل بعد عشرات السنين من جهود الهدم بيد أتاتورك ومن قلّده ببلاد العرب والمسلمين إلى يومنا هذا .

ففي الوحدة إنقاذ الأمة من الضياع ، وانقاذ الفرد المسلم من الإحساس بالغربة والهزيمة النفسية إزاء حضارة الغرب التي لا ترحم الضعفاء ، وتستكبر على المخالفين لها في العقائد والفلسفات والنظم ، بل تريد فرضها عليهم تحت مظلّة (العولمة) .

وندعو المخالفين لرأينا بالحسنى ؛ لتقويم مناهجهم التي تلقوها بالتسليم والافتتان ، ونحن نثق في أنهم بلغوا من النضج العقلي والثقافة الواسعة ما يؤهلهم لإعادة النظر وتقويم آرائهم .

وخطابنا موجه إلى الشرفاء الباحثين عن الحق بموضوعية ، بعيدًا عن الأهواء ، الحاملين على أكتافهم هموم أمّتهم ؛ بحثًا عن مخارج لأزماتها ، الراغبين في قيام نهضة بمعناها الشامل في دروبها الثقافية والتعليمية والتربوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية .. إلخ .

= إعدادًا جيدًا ، وتصل إلى مرحلة من التطور في كافة المجالات تؤهلها للاختيار الواعي الناضج ، وهذا التطور يجب أن يشمل النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية ... فالوحدة بين ولايات الشعب الأمريكي ناجحة ؛ لأنها تمت بين شعب وصل إلى مرحلة النضج والتطور التي أهلته للاختيار ، وتحمل مسئولية الاختيار .

ولقد كان الحال مختلفًا بين مصر وسوريا ، فالشعب في كلا الدولتين لم يكن قد مضت على تحرره من نير الاستعمار والأنظمة الفاسدة إلا سنوات محدودة غير كافية لنضجه ونطوره ، وإعادة ترتيب المجتمع ، وتنميته والوصول به إلى الدرجة التي تجعله يحسن التقدير والاختيار .

لقد تمت الوحدة ولم يكن الشعب في كلا الدولتين قد تعدى مرحلة الطفولة بعد استقلاله ، لذلك ؛ فشلت الوحدة ، وإن بقيت هدفًا عزيزًا نأمل أن يتحقق بين الشعوب العربية ..

المصدر : محمد أحمد فرغلي باشا (عشت حياتي مع هؤلاء) ص١٧٠ ط دار الأهرام بمصر عام ١٩٨٤ م .

وتربية الإنسان وفق المبادئ الاعتقادية الإسلامية التي انبثقت عنها الصور الماضية التي عرفها التاريخ من ثقافة الإسلام وحضارته) [١] .

وما حققته الأجيال الإسلامية الأولى نستطيع أن نحققه ـ بمشيئة الله تعالى ـ ؛ لو سرنا على طريقهم والتزمنا بمنهجهم .

ونحن ـ بعون الله تعالى ـ قادرون على استرجاع روح حضارتنا ؛ لأن مصادرنا موثقة ، وشريعتنا رحبة ، وقيمنا الأخلاقية ثابتة ، وظلت الأجيال محافظة على طريقة الحياة الإسلامية المتميزة ـ نعترف بأنها وهنت في فترات ، وأهملتها الأغلبية أحيانًا ، ولكن ظلت الفئة الظاهرة على الحق رغم قلّة عددها ـ مستمسكة بمنهجها الرباني . وهذه ميزة لا تتوافر إلا في الحضارة الإسلامية ، يقول الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور : (لقد فقدت أمم غير الأمة الإسلامية استقلالها ثم استرجعته ، ولكنها لم تسترجع كلها روح حضارتها وثقافتها ؛ لتبنى عليها مستقبلها ، بل إن أكثرها جعل من استقلاله اتجاهًا جديدًا نحو تقليد غيره ، فلم يكن استقلاله ليحدث أثرًا في تاريخ الحضارة الإنسانية ؛ إذ قصر على أثره المادي في السياسة والاقتصاد ، فكان شأن هذه الأمم : الشرقي منها والغربي شأن العائد على غيره في شؤون الفكر ، والثقافة ، وطوابع الحضارة ، فليست نهضة اليابان نهضة بوذية ، ولا نهضة الصين نهضة كونفوشية ولا نهضة اليونان بعد استقلالها منذ القرن الماضي نهضة بيزنطية ، ولا أفلاطونية ولا أرسطوطاليسية ، بل ولا هي يونانية ـ على الحقيقة ـ بأي حال من الأحوال) [٢] .

تلك كلمتنا للشرفاء من بني جلدتنا كما أسلفنا ، ولا يعنينا أولئك الذين ارتبطوا بمخابرات أجنبية عدائية تموّلهم بهدف إعلان الحرب على كل ما هو إسلامي ، حتى تظل الأمة مغيبة بإثارة المناقشات البيزنطية التي تصدّع الرؤوس وتحجب الحقائق .

---

(١) الشيخ محمد الفاضل بن عاشور (روح الحضارة الإسلامية) ص٦٢ المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط٤ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٢) نفسه ص٦٣.

يقول الدكتور حلمي القاعود : (وأظن ـ والله أعلم ـ أن فكرة تجريد مصر من إسلامها ، والإصرار على ما يسمى الدولة المدنية « ليست ضد البوليسية أو العسكرية ، بل ضد الإسلام » ، والإلحاح على فصل الدين عن الدولة ، ليست فكرة محلية بقدر ما هي رغبة أجنبية استعمارية محمومة تسعى لالتهام مصر ، وتقييدها بوثائق التبعية والإذلال ، عبّرت عنه عمليات الإنفاق الهائلة على ما يسمى منظمات المجتمع المدني ومراكز البحوث ، وتدريب الناشطين السياسيين في الغرب) [1] .

❋ ❋ ❋

(١) د/ حلمي محمد القاعود ، مقال بعنوان : (حظر التجول على الإسلام) ص١٠ جريدة (الأهرام) ١٣ شعبان ١٤٣٢هـ ـ ١٤ يوليو ٢٠١١م.

ضرورة قيام النهضة على تراث الأمة

يصيب الباحث الملل من تكرار العبارة التي تتردّد في كتابات العلمانيين عن رواد النهضة الحديثة في العصر الحديث أمثال رفاعة الطهطاوي وأحمد لطفي السيد وقاسم أمين وسلامه موسى وطه حسين وغيرهم ممن ولّوا وجوههم قبل الثقافة الأوروبية، ينهلون منها، ويعيشون لإذاعتها والمطالبة بإحلالها محل ثقافتنا الإسلامية.

إن النهضة المزعومة ـ حسب آرائهم ـ أن تتجه الأمة غربًا وتقلد حضارة أوروبا، واتخذوا أتاتورك اليهودي أسوةً كرائد مصلح وقائد ثوري.

وقد ناقشنا في بعض رسائلنا مجمل آراء التغريبيين، وسنثبت بالأدلة المنطقية ووفق منهج فلسفة التاريخ أن نهضة الأمة العربية والإسلامية لن تتحقق إلا وفق مقوماتها الذاتية، المتمثلة في تراثها الإسلامي في جوانب الحياة الثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية الممتدة طيلة نحو ثلاثة عشر قرنًا من الزمان، وهو الأصل المكين لحضارتنا الإسلامية، إلى أن أقصاها أتاتورك اليهودي بعيدًا عندما هدم الخلافة العثمانية، وفرض على تركيا التغريب بوسائل القمع الوحشية التي لا مثيل لها منذ هولاكو قائد التتار ومدمر الثقافة الإسلامية، وتابعه قادة الانقلابات العسكرية في البلاد العربية والإسلامية أيضًا؛ إذ تحققت المأساة الكبرى على يد أتاتورك؛ إذ انقطعت صلة الأمة بتراثها الحضاري انقطاعًا تاريخيًا لم يسبق له مثيل، وبدأت في التدهور والانحدار، مع أنه زعم كاذبًا أنه يتطلع إلى نهضة بلاده وتقدمها.

وبموازين فلسفة التاريخ فقد كانت جرائمة نكسة حضارية محققة بكل المعايير؛ لأنه كان ينبغي لأي زعيم مخلص لأمته، وجاد في نهضتها أن يعالج أسباب الانحطاط، كمن يرمم بناءً آيلًا للسقوط، فيقوي أعمدته باستشارة المهندسين الأكفاء للعمل على بنائه على أسس قوية؛ لإعادته إلى ما كان عليه، لا أن يحطمه تحطيمًا كاملًا، ويقتلعه من أساسه.

بعد هذه الصورة الرمزية المعبرة عن جريمة أتاتورك التي لا تُنسى ، معرفة مغزى التطورات الأخيرة نأتي إلى ما كان في تركيا ، والدالة على رفض الشعب التركي للإصلاحات المزعومة التي تبناها أتاتورك ، والحنين الجارف للعودة إلى الإسلام ، الذي بذل هذا اليهودي جهودًا خارقة لاقتلاعه من قلوب الأتراك .

والتجربة الكمالية دليل ما بعده على فشل إقامة نهضة بثقافة مستوردة ، والدارس للشئون التركية يلاحظ أنه منذ أن سطع اسم المهندس نجم الدين أربكان (رحمه الله تعالى) مؤسس حزب السلامة الوطني ، والغرب منزعج من التحول الذي حدث في تركيا وفق سياسته ؛ إذ أنه كان يريد ـ رحمه الله تعالى ـ تحويل تركيا عن الغرب والعودة بها من جديد إلى تراثها الإسلامي والشرقي [(١)] .

وقالت « الإيكونومست البريطانية » حينذاك بأن الشئ المثير للقلق في الغرب هو أنه لا يزال إلى الآن (أي : منذ عام ١٩٢٤م الذي هدم فيه أتاتورك الخلافة العثمانية فئات كبيرة من الشعب التركي لم تستطع ـ حتى الآن ـ هضم الإصلاحات التي قام بها أتاتورك [(٢)] .

وهذه مغالطة سافرة ؛ لأنها في حقيقتها كانت هدمًا للتراث الإسلامي ، وإبعادًا لتركيا قسرًا عن دينها وحضارتها ؛ ليلقي بها في أحضان الغرب تقليدًا ومحاكاة .

وكتبت جريدة (لوفيغارو الفرنسية) ، « تركيا وصلت إلى مفترق طرق ، والمراقبون السياسيون ينظرون بتشاؤم إلى تركيا التي تدل تطوراتها الأخيرة أنها تريد استرجاع أمجاد الإمبراطورية العثمانية ، وتعيد أمجاد الإسلام » [(٣)] .

---

(١) ، (٢) محمد الحسن (المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي) ، ص ١٣٩ ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ـ قطر ، ط٣ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م .

(٣) نفسه ص ١٣٩ ، ويلفت نظرنا في تعليق الجريدة الفرنسية ربطها بين الإمبراطورية العثمانية وأمجاد الإسلام ! والحق ما اعترف به العدو .

وإذا جاء هذا التحول مزعجًا للغرب ؛ فإنه مصدر غبطتنا وسرورنا ؛ لأنه دال على فشل حركة التغريب التي قادها أتاتورك ، ولعله يصبح درسًا للعلمانيين في بلادنا المصرين على المكابرة والعناد ـ هداهم الله ـ !

أثر القرآن الكريم في بناء حضارة الإسلام :

في دراسة للدكتور محمد جمال الدين ألفندي أثبت أن للقرآن الكريم أثره الواضح في بناء الحضارة الإسلامية على نمط خاص تميزت به دون سائر الحضارات[1] ، فبالرغم من أنه كتاب هداية قبل كل شيء ، إلا أن أثره الحاسم يتضح كحقيقة لا سبيل إلى إغفالها ، بل أن الشعوب الإسلامية لا زالت تحيا في ظل توجيهات هذا الكتاب الذي يصلح لكل زمان ويعتبر معاصرًا لكل حضارة[2].

ويتضح أثر القرآن في التحول المذهل لأحوال العرب ؛ إذ هذَّب أخلاقهم وصحح مفاهيمهم ، ووحد صفوفهم ، وارتقى بهم إلى مرتبة القيادة والصدارة لأهل الأرض في كل المجالات ... واتسعت رقعة البلاد الإسلامية حتى صارت على أيدي الأمويين تمتد من المحيط إلى الخليج[3].

كذلك يتبين أثر القرآن الكريم في نشأة العلم الطبيعي عند المسلمين ؛ إذ نشأ في أحضان الدين وفي ظل تعاليم القرآن ؛ إذ كانت أولى آيات الذكر الحكيم ـ على الإطلاق ـ طلبًا للعلم والمعرفة ، وإيذانًا ببزوغ فجر عصر العلم ، عندما نزل جبريل عليه السلام يردد قول المولى ـ جل وعلا ـ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥] ، وبينما يصف القرآن الكريم الرسول ﷺ بأنه اكتملت فيه مكارم الأخلاق ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

---

(١) ، (٢) ، (٣) د/ محمد جمال الدين ألفندي ، دراسة بعنوان : (تراث المسلمين في ميدان العلوم) ص ٢٤٠/ ٢٤٦/ ٢٤٧ بكتاب بعنوان : (دراسات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) جـ٢ ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٨٥ م.

[القلم: ٤] ، إذ به في مجال العلم يقول ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] ، وطلب المزيد من العلم هو في هذا العصر أساس البحث العلمي [١].

ويقول الدكتور ألفندي (وعندما فهم المسلمون القرآن على حقيقته وعملوا به ؛ تمت نهضتهم العظمى ، حتى أن المأمون قاس نصف قطر الأرض بمعرفة ثابت بن قرة ، ثم انتقلت تلك القياسات إلى أسبانيا حيث عرف المستكشفون أبعاد الأرض وقاموا برحلاتهم التاريخية ، إلا أن الفضل يرجع إلى ما سبق ذلك من قياسات وأبحاث شجعها الخلفاء المسلمون في بغداد ودمشق والقاهرة وسائر العواصم الإسلامية [٢].

العالمية :

تميزت الحضارة الإسلامية بأنها حضارة عالمية نتيجة أنها ثمرة لانصهار حضارات شعوب متعددة في بوتقة واحدة ، فتحقق على يد المسلمين ما لم تستطع بيزنطة وريثة الرومان أن تحققه ، كما أن الفرس بدورهم لم يكونوا حلقة لانصهار الحضارات ونشرها في عز دولتهم [٣].

« فلما جاء الإسلام بدفعته الإنسانية الكبيرة ـ وما صاحبها من الوحدانية المثالية ـ ؛ حدث التغيير ، وكأنه زلزال كبير ، فبرزت الأمة العربية (وحقيقتها : الإسلامية) الواحدة لأول مرة في تاريخها ، كما ظهرت دينامية حضارية جديدة شاركت فيها شعوب كثيرة على مختلف أجناسها وألوانها وأديانها ، مما أوجد دفقًا حضاريًا وإطلاقًا لطاقة الإنسان بشكل لا مثيل له من قبل) [٤].

---

(١) ، (٢) نفسه ص ٢٤٩.

(٣) د/ عبد المنعم ماجد ، دراسة بعنوان : (الحضارة الإسلامية على مدى أربعة عشر قرنًا ـ علم التاريخ الإسلامي) ص ١٢٦ بكتاب بعنوان : (دراسات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) جـ ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٨٥ م .

(٤) نفسه ص ١٣٧ .

فبفضل الإسلام ظهرت حضارة مؤثرة تحمل اسمه شملت منطقة واسعة امتدت من المحيط إلى حدود الصين (١) .

إبراز تاريخ الأفراد المميزين الخيرين على أساس أنهم علامات مضيئة على الحياة ، وأنهم يحركون التاريخ ويحددون مساره ، وأن الفرد الخيّر يجسد الأمة وأنه الطاقة الكامنة المؤثرة ، والقيمة التي أرادها الله ﷻ مقومًا لنهجه ، وما يحيط طريقه من عقبات ... ومثل هذا التعرض التاريخي للأفراد المميزين هو ـ في الواقع ـ تقليد عربي إسلامي ، فيما يُعرف بالأنساب والسير والطبقات والتراجم والمناقب (٢) .

أمة الإسلام : أمة شاهدة :

قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] ، توطئة لتفسير هذه الآية ، يتساءل الدكتور محمد سيد محمد : ما هي مبررات أن تكون الأمة الإسلامية شاهدة على الناس ؟ وما هو مفهوم الشهادة ؟

ثم يجيب بقوله :

المبرر الأول : هو الاعتراف ، فالمسلم معترف بحكم دينه وبحكم أن يكون مؤمنًا بالإسلام ، بالأديان والأنبياء والرسل السابقين لمحمد ﷺ الذين أرسلهم الله ﷻ للبشرية عبر القرون والأجيال والأمم .

والمبرر الثاني : أن الإسلام هو آخر الأديان السماوية .

والمبرر الثالث : أن رسالة الإسلام شملت الجوانب التشريعية التي لم تكن بصورة شاملة في الديانات السابقة والشمولية والعمومية للبشر جميعًا .

---

(١) نفسه ص ١٣٨ .

(٢) نفسه ص ١٤٨ فلم ينفرد ـ إذن ـ كارليل بكتابه (الأبطال) الذي رأى فيه أن دور البطولة ضروري في التاريخ .

وضمان حقوق الإنسان غير المسلم في ظل الإسلام ، كان ذلك كله مبررات أن تكون الأمة الإسلامية في موقع الشاهد .

ولكن نحدد مفهوم الشهادة ، ولكي نحدد دور الشاهد ؛ ينبغي أن ندرك المعنى القضائي والمعنى الثقافي في مجال الشهادة ، إن المعنى يتلخص في أن تقوم هذه الأمة بشهادة الحق في الفصل بين القيم والأحكام والثقافات التي لدى الأمم الأخرى ، فتُجلِّي ما هو متفق مع الحق ، وتبين ما هو موافق للباطل ، وتلخص آية في القرآن الكريم مفتاح الشهادة بقول الله ﷻ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] ، بمعنى أن القرآن فيه تصديق الرسالات السابقة ، وهو ـ في الوقت نفسه ـ شامل وعام وجديد وناسخ لما قبله) [١] .

وكان استشهاده بجزء من آية رقم ٣٨ بسورة المائدة ، أما الآية فهي كما وردت كاملة بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨] ، وفي تفسيرها ، قال الإمام ابن كثير : (لما ذكر ـ تعالى ـ التوراة التي أنزلها الله على موسى كليمه ومدحها وأثنى عليها ، وأمر باتباعها حيث كانت سائغة الاتباع، وذكر الإنجيل ومدحه، وأمر أهله بإقامته واتباع ما فيه ـ كما تقدم بيانه ـ ؛ شرع ـ تعالى ـ في ذكر القرآن العظيم، الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم ﷺ ، فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله، ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكْرَه ومَدْحَه ..

---

(١) د/ محمد سيد محمد (الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر) ص ٣٧٠ دار الفكر العربي بالقاهرة، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م.

وقوله: ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ قال ابن عباس، أي: مؤتمنًا عليه. وقال: القرآن أمين على كل كتاب قبله.

وقال ابن جريج : القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله فما وافقه منها ؛ فهو حق ، وما خالفه منها ؛ فهو باطل . وعن ابن عباس أي : حاكمًا على ما قبله من الكتب .

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى ، فإن اسم (المهيمن) يتضمن هذا كله ، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله ، جعل الله هذا الكتاب العظيم ـ الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها ـ أشملها وأعظمها وأكملها ، حيث جمع فيه محاسن ما قبله ، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ... وتكفل ـ تعالى ـ بحفظه بنفسه في الآية الكريمه فقال﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] (١) ، إن هذه الآية الكريمة تمنح المسلم الثقة بالنفس ، وتحصنه فلا يقع في أسر الثقافات الأخرى ـ ومنها : الثقافة الغربية ـ ، بل تجعله في موقع في الحكم والشاهد ؛ ليفرزها ، فيقبل ما يتفق مع الحق ويلفظ ما عداه ، كما لا تفتنه حضارة العصر ـ المتفوقة مدنيًا بلا ريب ، ولكنها متدهورة ثقافيًا بإجماع فلاسفتها الكبار .

ونعود إلى تحليل مفهوم الشهادة عند الدكتور محمد سيد محمد التي اقتبسناه آنفًا ، ونضيف إليه قوله : (وقد يسخر صرعى الغزو والثقافي ، كما يسخر الغازون من هذا التحليل في زمن أصبح المسلمون فيه تحت حصار الجوع والفقر ، وتحت حصار المدافع الصليبية وتحت حصار التبعية الاقتصادية والسياسية ، وتحت حصار العجز العقلي والتشتت وخيبة الأمل وغيبة الهدف . وهذا ـ في جملته ـ شبه صحيح ، ولكن حال المسلمين ليس هو حال الإسلام باعتباره فكرًا وأيدولوجية (والأصح القول بأنه عقيدة وشريعة وقيم أخلاقية رفيعه) . وهذا سبب الضرب المستمر بالأيدي الصليبية المتوحشة لجسد

---

(١) مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير جـ ١ ، ص ٦٠٧ ، إختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الوفاء بالمنصورة ، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م .

هزيل ؛ لأن الوحوش الصليبية تعرف أن هذا الجسد الهزيل تنقصه الإرادة وأن الخطورة ليست في الجسد الهزيل ، ولكن في القلب والعقل المسلم إسلامًا حقيقيًا) [١] .

ومن الدارسين الذين حاولوا فك إشكالية المقارنة بين عظمة الإسلام وقيمه وبين واقع المسلمين المتردي : الإمام أبو الحسن الندوي بكتابه الشهير (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ، وقد أصدر حكمه بعد المقارنة بين أسباب نهضة الأمة الإسلامية وبين عوامل تدهورها وكلها ترجع إلى انحرافها عن دينها ، فقال تحت عنوان : « المسلمون على علاتهم موئل الإنسانية وأمة المستقبل » ، (ولكن برغم كل ما أصيب به المسلمون من علة وضعف فإنهم هم الأمة الوحيدة على وجه الأرض ، التي تعد خصيم الأمم الغربية وغريمتها ومنافستها في قيادة الأمم ، ومزاحمتها في وضع العالم ، والتي يعزم عليها دينها أن تراقب سير العالم وتحاسب الأمم على أخلاقها وأعمالها ونزعاتها ، وأن تقودها إلى الفضيلة والتقوى ، وإلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ، وتحول بينها وبين جهنم بما استطاعت من قوة ، والتي يحرّم عليها دينها ويأبى وضعها وفطرتها أن تتحول أمة جاهلية .. هذه هي الأمة التي يمكن أن تعود في حين من الأحيان خطرًا على النظام الجاهلي الذي بسطته أوروبا في الشرق والغرب وأن تحبط مساعيها [٢] .



(١) د/ محمد سيد محمد (الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر) ، ص ٣٧٠ ، مصدر سابق.

(٢) أبو الحسن الندوي (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) ، ص ٢٦٤ ط ٧ دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

من معالم حضارتنا :

«الثوابت والأصول الاعتقادية في الإسلام»

وهي : (وحدانية الله في ذاته وصفاته ، وهي جوهر الاعتقاد والصحيح الذي جاء به الرسل فيما يتعلق بأصل الوجود ، وأن هذه الوحدانية كلما شاب مفهومها عبر العصور غبش أو اختلاف ؛ فإن الرسل يُبعثون لإعادة الناس إلى جادة الصواب فيها ، وكان آخر هذا : مبعث النبي محمد ﷺ مجددًا لملة التوحيد والحنيفية التي جاء بها إبراهيم عليه السلام)[1].

يقول الدكتور مصطفى السباعي : (هذا السمو في فهم الوحدانية كان له أثر كبير في رفع مستوى الإنسان وتحرير الجماهير من طغيان الملوك والأشراف والأقوياء ورجال الدين ، وتصحيح العلاقة بين الحاكمين والمحكومين ، وتوجيه الأنظار إلى الله وحده فهو خالق الخلق ورب العالمين .. كما كان لهذه العقيدة أثر كبير في الحضارة الإسلامية تكاد تتميّز به عن كل الحضارات السابقة واللاحقة ، وهي خلوها من كل مظاهر الوثنية وآدابها وفلسفتها في العقيدة والحكم والفن والشعر والأدب ...

إن الإسلام الذي أعلن الحرب العوان على الوثنية ومظاهرها لم يسمح لحضارته أن تقوم فيها مظاهر الوثنية وبقاياها المستمرة من أقدم العصور ، كتماثيل العظماء والصالحين والأنبياء والفاتحين . وقد كانت التماثيل من أبرز مظاهر الحضارات القديمة والحضارة الحديثة ؛ لأن واحدة منها لم تذهب عقيدة الوحدانية إلى المدى الذي وصلت إليه الحضارة الإسلامية)[2] .

---

(١) د/ عبد العزيز مصطفى كامل (معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية) ، ص ١٠٨ كتاب (البيان) ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م ، سلسلة تصدر عن مجلة (البيان) .

(٢) د/ مصطفى السباعي (من روائع حضارتنا) ص٤٥ المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

الشريعة الإسلامية :

وكفلت الشريعة الإسلامية إقامة العدل ، أما العقوبات التي نصت عليها فإن الحكمة منها : المحافظة على كيان الأمة من الجرائم المهلكة : كالقتل ، والزنا ، وارتكاب الفواحش ، وشرب الخمر ، والسرقة ، وغيرها كما سيأتي .

والعقوبات الشرعية بنيت على أمرين :

أحدهما : العدل ، والثاني : الردع .

والعقوبة بقدر الجريمة ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾[الشورى: ٤٠] ، والردع كفيل بالتحذير من ارتكاب الجرائم ، ومن ثَمَّ تقل إلى أقصى حد ، ويسلم المجتمع الإسلامي من شرّها [١] .

وتتضح الحكمة بصورة أوضح من عقوبات الشريعة الإسلامية ؛ إذا ما قارنا آثارها في مجتمعاتنا بما تعاني منه حضارة العصر من جرائم .

تعددت مقاصد الشريعة الإسلامية ، فمنها :

١ . المحافظة على النفس ، فحظرت قتل النفس بغير حق .

٢ . المحافظة على الأنساب والأعراض ، فعنيت ببيان أحكام الزواج وأحكام الزنا .

٣ . المحافظة على الأموال ، فمنعت أن يستولي المرء على مال غيره بدون طيب نفس .

٤ . المحافظة على العقول ، فلم تسمح بتناول شيء من المسكرات يغطي العقل ويستره أو يزيله ، بل أمرت باجتنابه [٢] .

العدل:

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ ﴾[الأنعام: ١٥٢]

---

(١) عاطف عبد المعز الفيومي (مجالات الدعوة في القرآن وأصولها) ص١٦٢ مكتبة أولاد الشيخ للتراث سنة ٢٠٠٦م.

(٢) الشيخ محمد عبد الله الجزار (الذخيرة في تفسير أجزاء قرآنية) ص٥٥٨/ ٥٥٩ مطبعة أحمد مخيمر بالقاهرة ١٩٧٢م .

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨]

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ [النحل: ٩٠]

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى: ١٥]

كذلك جاءت أحاديث الرسول ﷺ مليئة بالدعوة للعدالة وإحقاق الحق محرمة للظلم والبغي .

والعدل في الإسلام كامل مطلق حتى مع الخصوم والأعداء ، وهو أحرى أن يكون عدلًا مع الذميّين والمعاهدين ، وقد قال الرسول ﷺ : « **من آذى ذميًا فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه ؛ خصمته يوم القيامة** » .

والعدل شامل الفرد والمجتمع ، كذلك يطلب الإسلام العدل في الحكم ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨] ، والإمام العادل أحد سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وسيد الشهداء : حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه ؛ فقتله)[1] .

إن الله ﷻ ـ وقد جعل العدل من أوصافه ـ ما أرسل رسله ولا أنزل كتبه ولا كلف الناس بالشرائع إلا لإقامة العدل والحق ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥] ، وإقامة العدل إحدى وظائف الرسول ﷺ ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى: ١٥] ، أما الظلم فإنه أمر حرمه الله ـ تعالى ـ على نفسه وحرمه على عباده ، يقول ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣١][2] .

---

(١) د/ عبد الكريم عثمان (معالم الثقافة الإسلامية) ص٧٩ .

(٢) نفسه ص٧٨ .

المساواة:

أعلن الإسلام وحدة الجنس البشري ، وضمن ذلك عن طريق تنمية وجدان الفرد وتحرير ضميره .. وأعلن القضاء (على نظام الأجناس والطبقات والطوائف ، وخلف وراءه كل ما يظنه الناس من أسباب التمايز وعدم المساواة : كالجنس ، والطبقة ، واللون ، والغنى ، إلى غير ذلك)[1] .

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]

وقال الرسول ﷺ في خطبة الوداع : « **أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى** » متفق عليه .

التسامح :

أمر الله ﷻ بالصفح والتسامح في أكثر من موضع ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٩] ، ﴿ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤] ، ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥] .

كذلك طالب الإسلام المسلم بألا يحمل في قلبه غلًا لغيره : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] ، ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] .

وبهذه الروح نظر الإسلام إلى أهل الذمة نظرة كلها تسامح ، فأعطاهم حقوقهم كاملة غير منقوصة ، الأمر الذي جعلهم - تحت مظلة الإسلام - يسهمون إسهامًا جادًا في بناء الحضارة الإسلامية)[2] .

---

(١) د/ عبد الكريم عثمان (معالم الثقافة الإسلامية) ص٧٣ مؤسسة الأنوار بالرياض ط٣ ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

(٢) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور (حضارة الإسلام) ص١٧/ ١٨ .

وبهذا المبدأ ترك الإسلام الحرية لأصحاب الديانات الأخرى من أهل الكتاب ؛ ليمارسوا شعائرهم وعباداتهم في المجتمع الإسلامي .

ولقد دخلت جيوش المسلمين معظم الأقطار الأهلة بالسكان بعد سنوات قليلة من ظهور الإسلام ، وكان بإمكان هذه الجيوش أن تكره الناس على ترك أديانهم ، إلا أن المسلمين لم يفكروا أبدًا أن يفعلوا ذلك ؛ لأن دينهم يأمرهم بترك الحرية للناس في أديانهم وعبادتهم قال ـ تعالى ـ : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩] ، وقد وصىّ الرسول ﷺ بعدم إيذاء أهل الذمة من أصحاب الأديان الأخرى . وقد عاش اليهود والنصارى تحت الحكم الإسلامي قرونًا طويلة ، ووصلوا إلى أرقى الدرجات في وظائف الدولة ، وكان فيهم الكتاب والأطباء والحكماء والمهندسون ، ولم يقف اختلاف دينهم عن دين المسلمين أمام هذا كله [١] .

يقول جوستان لوبون : (إن العرب هم أول من آمن بما نطلق عليه : حرية الفكر والتسامح الديني) .

ويقول الأستاذ محمد جلال كشك :

(إن أول حضارة يحرِّم دينها قتل الآخرين لمجرد اختلافهم معنا في العقيدة أو الرأي ، وأول حضارة يقوم تشريعها على افتراض الوجود الأبدي للمخالفين في الرأي والدين .. نحن لم نتعلم التسامح من أوروبا ، بل علمناه للدنيا كلها) [٢] .

الحيوية :

لذلك اتصفت حضارة الإسلام بالحيوية والاستمرار والوحدة ؛ لأنها قامت على أسس متينة من الدعائم الروحية والخلقية ، فهي منذ مولدها وحتى اليوم (ظلت

---

(١) د/ عبد الكريم عثمان (الثقافة الإسلامية) ص٥٨/ ٥٩ باختصار .

(٢) محمد جلال كشك (الغزو الفكري) ص١٢٩ مكتبة الأمل ـ الكويت ط ٣ ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

حية قائمة ، لم تمت مطلقًا . ولئن تعرضت للذبول حينًا نتيجة لعوامل طارئة ـ منها : الهجمات الاستعمارية الشرسة على شتى أنحاء العالم الإسلامي ـ فان مثل هذه العوامل كانت تؤثر فيها تأثيرًا مؤقتًا لا يلبث أن يزول بزوال المؤثر)[١] .

وأوضح الأدلة على ذلك : أن الإسلام واجه أكبر التحديات العلمية والعقلية في الاتحاد السوفييتي السابق وانتصر عليها وعلى الملحدين[٢] .

* * *

(١) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور (حضارة الدراسات الإسلامية) ص١٨ معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

(٢) د/ إحسان حقي (المسلمون أمام التحدي العالمي) ص٨٨ بيروت ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م.

المشروعات المقترحة
لإعادة الوحدة

وهناك ثلاثة مشروعات مقترحة ، وهي مطروحة للدراسة والبحث تعديلًا أو إضافة بواسطة فقهاء الدساتير وعلماء السياسة والقانون الدولي بالجامعات العربية والإسلامية وبخاصة جامعة الأزهر ، من المتخصصين في الشريعة والنظم الإسلامية السياسية والاجتماعية ، ونقترح إقامة مؤتمرات دورية ؛ لدراسة كيفية إحياء الخلافة الإسلامية من جديد .

كذلك ينبغي إدارج مشروع وحدة الأمة الإسلامية ضمن أهداف الأحزاب السياسية باعتبارها ضرورة ملحة في هذه الفترة العصيبة التي تجتاحها الشعوب العربية والإسلامية في مواجهة العولمة ، وأساليب الغزو الاستعماري الجديد

وهذه المشروعات حسب الترتيب التالي :

أولًا: (فقه الخلافة وتطورها ؛ لتصبح عصبة أمم شرقية).

ثانيًا : مالك بن نبي (كومنولث إسلامي) .

ثالثًا : مشروع الدكتور محمد ضياء الدين الريس (منظمة الدول الإسلامية) .

أولًا: لخص الدكتور محمد عمارة النتائج النهائية لدراسة السنهوري عن (فقه الخلافة وتطورها ؛ لتصبح عصبة أمم شرقية) بالأفكار الثلاث الأساسية الآتية :

أ. بما أنه يستحيل اليوم تصور إقامة نظام الخلافة الراشدة أو الكاملة فلا مناص من إقامة حكومة إسلامية للظروف التي يمر بها العالم الإسلامي حاليًا .

ب. هذا النظام الإسلامي الناقص يجب اعتباره نظامًا مؤقتًا ، وهدفنا المثالي هو السعي إلى العودة مستقبلًا للخلافة الراشدة (أي : الحكم الإسلامي الكامل الشامل) .

جـ. أن نظام الخلافة الراشدة التي يجب إقامتها مرة أخرى في المستقبل يجب أن يتصف بالمرونة[1].

ثانيًا: مالك بن نبي (كومنولث إسلامي):

عندما بحث الأستاذ مالك بن نبي ﷺ فكرة (كومنولث إسلامي) ؛ اتضح له أنه إزاء عوالم إسلامية عديدة وهي :

١. العالم الإسلامي الأسود أو الإفريقي.

٢. العالم الإسلامي العربي.

٣. العالم الإسلامي الإيراني (فارس وأفغانستان وباكستان).

٤. العالم الإسلامي الماليزي (أندونيسيا والملايو).

٥. العالم الإسلامي الصيني والمنغولي[2].

وقال (وإذن فإننا إذا ما تناولنا موضوع «كومنولث إسلامي» باعتباره مجرد موضوع للدراسة ، المقصود منه معرفة أكثر بالعالم الإسلامي ، أو بغية وضع تصميم لهذا العالم ، يتعين علينا بالضرورة أن نأخذ بعين الاعتبار عددًا معينًا من المعطيات العضوية والضرورات المنطقية ، ومن بين هذه المعطيات يأتي «المبدأ الكامل» في الاعتبار الأول ، إذ لا جدال في أن العالم الإسلامي قد احتفظ ـ بالرغم من تقلبات تاريخية ـ بوحدة روحية تكون عاملًا أساسيًّا من الوجهة النفسية في تماسك المشروع ، ومن الوجهة الفنية في التوفيق بين عناصره ، وعلاوة على ذلك فإن هذه الوحدة لا تستطيع

---

(١) لخص الدكتور محمد عمارة ما قدمه السنهوري من تصور مستقبلي لإعادة الخلافة الإسلامية بكتابه (إسلاميات السنهوري باشا) جـ١ ص٣٠١-٣٣٦ دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

ويُنظر د. محمد عمارة (الدين والدولة في الإسلام لفقيه الشريعة والقانون : الدكتور عبد الرازق السنهوري) ص٥٧/ ٥٨ هدية مجلة الأزهر – شعبان ١٤٣٢هـ.

(٢) مالك بن نبي (فكرة كومنولث إسلامي) ص٣٣ ـ ترجمة الطيب الشريف – سلسلة الثقافة الإسلامية بمصر (رقم١٦) شعبان ١٣٧٩هـ ـ فبراير ١٩٦٠م.

أن تقوم فعَّاليًا بدورها « المتكامل » إلا إذا تجسمت في صورة موائمة تمثل بشكل إنشائي إرادة العالم الإسلامي الجماعية . ومنذئذ تتعين مراجعة النظر في مشكلة «الخلافة» على ضوء المعطيات الراهنة للعالم الإسلامي)[١] .

وقد استقى الأستاذ مالك بن نبي فكرة (كومنولث إسلامي) من الكومنولث البريطاني ، الذي يصفه بأنه ليس دولة ، ولا فيدرالية دول ما دامت كل البلاد عضوة فيه تمارس سيادتها في كل المجالات ، وتملك تمثيلها الديبلوماسي الخاص بها في الخارج[٢] .

وفي ختام دراسته يذكر أنه لم يوضح بعض النقاط الخاصة بما فيه الكفاية تاركًا لمن سيأخذون على عاتقهم الأعمال التحضيرية إعطاء تحديد أكثر دقة ، ثم يحدد الوظيفة السياسية للمثال الإسلامي من عبارة اقتبسها من الشيخ محمد أبو زهرة ﷺ بكتابه (الوحدة الإسلامية) حيث قال : (إن الوحدة التي نبتغيها لا تمس سلطان ذي سلطان يقوم بالحق والعدل في المسلمين ، ولا شكل الحكم في الأقاليم الإسلامية ، فلكل إقليم أسلوب حكمه ما دام يؤدي إلى إقامة الحق والعدل فيه ، ويحقق المعاني الإسلامية السامية)[٣] .

ثالثًا : مشروع الدكتور محمد ضياء الدين الريس ﷺ لإنشاء منظمة تسمى « منظمة الدول الإسلامية »[٤] :

يقول الدكتور الريس : (على أنه ـ في نفس الوقت ـ كانت تقوم الأمة ببعض جهود أو محاولات لتعويض هذا النقص أو ملء الفراغ ، فتدعو إلى عقد مؤتمرات بين

---

(١) نفسه ص٣٤ .

(٢) نفسه ص٧٠ .

(٣) نفسه ص٧٧ .

(٤) المصدر د/ محمد ضياء الدين الريس (الإسلام والخلافة في العصر الحديث) نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم ـ منشورات العصر الحديث ـ بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م الصفحات من٣١٣ إلى ٣٢٥.

الحين والحين ؛ إذا اقتضت مناسبة أو طرأت مشكلة ، كما قامت بإنشاء بعض مؤسسات وحدوية أو عقد مواثيق ومعاهدات . فمن ذلك : المؤتمر الإسلامي الذي عقد بالقدس في عام ١٩٣١م ؛ لبحث مشكلة فلسطين وبعض المسائل الإسلامية الأخرى ، وقيام وفد من مصر ؛ لإنهاء النزاع بين اليمن والسعودية في عام ١٩٣٤م ، وعقد معاهدات بين السعودية والعراق أو بينها وبين مصر ، وعقد ميثاق «سعد أباد» بين الدول الإسلامية في آسيا ، ثم تأسيس الجامعة العربية في عام ١٩٤٥م ـ وكان عملًا لإيجاد وحدة بين مجموعة الدول العربية الإسلامية ، فهو اتحاد جزئي في داخل العالم الإسلامي ، ويعتبر تحقيقًا ـ في دائرة معينة ـ لمبدأ الإسلام .

وفي الأعوام الأخيرة عقدت مؤتمرات عديدة : في الحجاز وماليزيا وليبيا ومصر وباكستان . وأخيرًا عقد مؤتمر قمة من رؤساء وملوك الدول الإسلامية في «الرباط» بعد أن اعتدى اليهود على القدس وقاموا بإحراق المسجد الأقصى . وفي الحجاز توجد «رابطة إسلامية» في مكة ، وتأسس في «جدة» مؤتمر لوزراء خارجية الدول الإسلامية عقد دورة له قريبًا .

فهذه المحاولات والجهود تدل على أن العالم الإسلامي كان يشعر ـ دائمًا ـ بالحاجة إلى التضامن والتجمع والترابط ، وأن المشاكل والقضايا التي تواجهه من الأهمية أو الخطورة بحيث تقتضي جهودًا مشتركة وعملًا تعاونيًا موحدًا ، وأن هناك ضرورة فعلًا ؛ لإيجاد نظام يكفل هذا التعاون والتضامن بصفة مستمرة .

لكن هذه المحاولات كانت موقوتة أو ارتجالية ، أو ناقصة التكوين ومحدودة العمل . فالذي يحتاجه العالم الإسلامي اليوم هو هيئة أو نظام دائم على نطاق أوسع وبصورة أكبر . وله قوة فعالة ونفوذ عام وأثر دولي .

وها نحن قد بينا فيما مضى ـ آنفًا ـ الصفات والخصائص الرئيسية لهذا النظام ، ونحدد ـ الآن ـ معالمه في صورة محدودة أو مشروع عملي قابل للتنفيذ ، فالمشروع

الذي أقدمه في نهاية هذا البحث نتيجة تفكير ودراسة ، وأضعه أمام قادة الرأي وعلماء ورؤساء الأمة ـ وآمل أن يبحثوه ويعملوا على تنفيذه ؛ قيامًا بالواجب الذي يفرضه عليهم الدين ، ولصالح الأمة وتلبية لدواعي الوطنية ـ أجمل خطوطه فيما يلي :

اقترح أن تنشئ الدول الإسلامية منظمة تسمى : «منظمة الدول الإسلامية» ، تكون منظمة دائمة ، وتجمع فيها كل الصفات التي ذكرناها فيما تقدم . فتكون هيئة عامة ذات سيادة ولها صفة دولية ، وتسير أمورها بالشورى وقيادتها جماعية ، وقراراتها واجبة التنفيذ .

تشترك فيها كل الدول الإسلامية بأن ترسل كل دولة مندوبًا ـ دائمًا ـ لها لدى المنظمة . وينبغي أن يكون ممن يجمعون بين الثقافة السياسية والثقافة الإسلامية . وتختار الدول سكرتيرًا عامًا للمنظمة يجوز أن يلقب بلقب «المدير» أو «المراقب» ، ويكون من خير رجال الأمة علمًا ودينًا وخلقًا ومعرفة بأحوال الشعوب الإسلامية والشؤون الدولية ، ومع هذا ـ أيضًا ـ من المعروفين بالغيرة على الإسلام والاهتمام بمستقبل الأمة الإسلامية ، وبلوغها أكبر قدر من القوة والمكانة في العالم ، وبأداء رسالتها إلى جميع الشعوب .

يكون للمنظمة «جمعية عمومية» . تعقد دورة لها كل عام لمدة ثلاثة أشهر ، أو كلما اقتضت الظروف ، يرأسها بالتناوب مندوبو الدول الإسلامية ، رئيس لكل دورة ، ويجوز أن تعقد الجمعية على مستوى رؤساء الحكومات ، أو وزراء الخارجية ، ولها أن تدعو إلى عقد مؤتمر قمة من رؤساء الدول في نطاق نظامها لمعالجة القضايا والمسائل الخطيرة .

إلى جانب الجمعية العمومية يوجد مجلس تنفيذي يشكل من عدد محدود من الأعضاء لا يزيد على عشرة ، تنتخبهم الجمعية العمومية ، يكون بمثابة لجنة تنفيذية ، يجتمع مرة كل شهر بصفة عادية ، ويتحتم أن ينعقد على الفور إذا طلبت ذلك أية دولة ،

وتشمل اختصاصاته جميع المسائل المشتركة المتعلقة بالدول الإسلامية ، وترفع إليه المشاكل العاجلة ، فله حق إصدار القرارات فيها ، ويحول القضايا غير المستعجلة إلى الجمعية العامة ، ويؤخذ الرأي بالاتفاق أو الأغلبية ؛ إذا حدث خلاف .

وقد يبدو أن هناك مشابهة بين هذا المجلس التنفيذي ومجلس الأمن المعروف في الأمم المتحدة ، وهناك حقًّا وجه تشابه ، ولكن الفروق بينهما أن هذا المجلس الإسلامي ليس لأحد من الأعضاء فيه حق « الفيتو » - أي : الرفض أو إبطال القرار - ، وأيضًا فإن اختصاصه ليس قاصرًا مثل المجلس الآخر على مسألة الحرب والسلام ، ولكن اختصاصه شامل لجميع المسائل وهو مجلس دائم مستمر ؛ لأنه كما بينا هو اللجنة التنفيذية العملية للجمعية العمومية ، وهو الذي يتولى - أيضًا - تنفيذ قراراتها بالتعاون مع المدير أو المراقب العام للمنظمة .

كما أنه قد يظن أن الجمعية العمومية للمنظمة الإسلامية تشبه الجمعية العامة للأمم المتحدة ، لكن الفرق الكبير بينهما أن الجمعية الأخيرة هي فقط جمعية وساطة ، وقراراتها أشبه بالتوصيات وليست ملزمة إلا من الوجهة الأدبية ، أما الجمعية العمومية الإسلامية فهي جمعية قيادة وتوجيه وشورى ؛ لأنها تنوب عن الأمة الإسلامية وتمثلها فهي أشبه بالبرلمان أو الجمعية النيابية أو مجلس نواب الأمة ، ولذا ؛ فإن قراراتها لها الصفة القانونية ، وتكون ملزمة للأعضاء ، ليس فقط من الوجهة القانونية ، بل - أيضًا - من الناحية الدينية ؛ لأن الخروج على هذه القرارات يكون خروجًا على الجماعة ، ومحادة للرأي العام الإسلامي أو اتباعًا لغير «سبيل المؤمنين» . ولا بد - طبعًا - أن ينص في ميثاق المنظمة على أن كل دولة تعلن التزامها بقرارات المنظمة عند بدء تكوينها ، وبناء على ذلك يكون للمنظمة الحق في أن تتخذ إجراءات ، أو تفرض عقوبات على من يخالف قراراتها ويخرج على الجماعة والوحدة .

فالمنظمة هي ممثلة الأمة التي تنوب عنها ، ووظيفتها قيادية بالشورى واتفاق الجماعة ، ولها صفة سيادة ، ولكن في المسائل العامة المشتركة أو المسائل التي تتعلق بالصالح العام ومصير ومستقبل الأمة ـ ولا سيما الأخطار التي تهدد الأمة أو أحد أوطانها ـ ، فهي تنظر وتقرر ما يتعلق بالدفاع والتعاون في درء هذه الأخطار ، أو رد العدوان ، أو التضامن إزاء العدو الذي يقوم بالعدوان وهكذا ، أما المسائل الإقليمية أو المحلية فتترك لكل دولة تعالجها في إقليمها .

فينبغي ـ إذن ـ أن ينص على أن كل دولة تحتفظ بكيانها ، ولها استقلالها في التصرف في شؤونها الخاصة بها ، إلا إذا كانت هذه المسائل تتعلق ـ أيضًا ـ بالصالح العام للأمة الإسلامية ، أو لها أثر على قوتها أو مكانتها أو وحدتها ، أو تكون مناقضة للمبادئ الأساسية التي ينص عليها ميثاق المنظمة .

فإذا شئنا أن نجد مثالًا من التاريخ ، فإن الدول الإسلامية في عصر سابق ، كالعصر العباسي الثاني ، كانت دولًا متعددة وكل منها تدير شؤونها في داخل إقليمها ، ولكن كان هناك ميثاق أو دستور غير مكتوب بأنه يجب أن تتعاون هذه الدول في كل الأمور التي تتصل بالدفاع عن الإسلام أو أوطانه ، وبأن رؤساء هذه الدول يدينون بالطاعة والولاء للخليفة الذي كان يمثل الدولة الإسلامية ، ولو لم تكن له سلطة تنفيذية .

فالمنظمة ـ الآن ـ تقوم مقام الخليفة في العصور الماضية ، وتمثيلها للأمة أقوى وتقوم على مبدأ الشورى والاختيار والرضا والتعاون ، ولذا ؛ فهي التي تؤدي الوظائف العامة التي كان واجبًا على الخليفة أن يؤديها .

ولكن إذا كان لا بد أن يمثل المبادئ شخص ـ وكل أسرة لا بد لها من راع أو أب ، وينبغي أن يكون هناك من يعبر عن المبادئ في صورة مجسمة مباشرة ، ومن يمثل وحدة الأمة الإسلامية أمام العالم الخارجي ـ فإنه يمكن للمنظمة أن تختار من

يمثل هذه المبادئ والوحدة من أفضل رجالها ، لكن تكون صفته الحقيقية أنه نائب عن المنظمة أو معين من قبلها ، وليس رئيسًا له صفة سيادة ولا سلطة تنفيذية له ، وإنما هو بمثابة الأب الروحي أو الراعي العام للأسرة ، فله حق النصح والإرشاد ، ويعبر عن الشعور العام للمسلمين ، ويعمل بالتعاون مع المنظمة ؛ لتنفيذ قراراتها ، كما أنه يكون ممثل الأمة والإسلام أمام الأمم والهيئات الخارجية ، أما الوصف أو اللقب الذي يعطى له فيكون بعيدًا عما يفهم منه معنى الرئاسة أو السيطرة ، فيسمى مثلًا : نائب أو وكيل أو أمين الأمة الإسلامية ، فهو ليس الخليفة ؛ لأن الخلافة انتقلت إلى «المنظمة العامة» ، أما هو فوكيل عن المنظمة .

والمنظمة هي التي تعينه لمدة محدودة : سبع أو عشر سنوات مثلًا ، ثم تعين غيره . ولها حق تغييره خلال المدة ؛ إذا وجدت أسبابًا تقتضي ذلك ، ويجوز أن يكون وكيل أو أمين الأمة الأسلامية هذا أحد رؤساء الدول الإسلامية ، المتوفرة فيه شروط العدالة والخلق والثقافة والمعروف بشدة غيرته على الإسلام ، والاهتمام بوحدة الأمة الإسلامية وقوتها والعمل لخدمة وتحقيق مصالحها ، وذلك حتى يمكن أن يضع إمكانيات دولة في خدمة المنظمة العامة .

وهذه المنظمة الإسلامية تصير منظمة دولية ، لها اتصال بهيئة الأمم المتحدة وتعترف هذه بها ، وتتعاون مع هذه الهيئة في حفظ السلام العالمي وتحقيق التقارب والتفاهم بين الشعوب كافة .

ولا تلغي هذه المنظمة وجود جامعة الدول العربية أو أمثالها ، من وحدات أو اتحادات بين مجموعات من الدول .

بل إن الجامعة العربية تكون بمثابة فرع أو جزء منها ؛ لأن الجامعة هي تعاون أو اتحاد بين مجموعة من الدول الإسلامية .

ولا شك أن الشعور الإسلامي كامن وراء الرابطة العربية ، والإخاء الذي يوحيه من أقوى دعائم هذه الرابطة ، حتى لغير المسلمين في تلك الدول ؛ لأن الإسلام يدعو للإخوة الإنسانية والمودة والبر والعدل للمواطنين مع اختلاف العقيدة ، فيعيش الجميع في أمن وتعاون وسلام . وليس من اللازم أن تكون الجامعة فرعًا من المنظمة بصفة رسمية ، بل تستمر في عملها مستقلة ؛ لأن عملها لا يناقض أهداف المنظمة ، بل هو عامل مساعد أو تحقيق لبعض هذه الأهداف في دائرة معينة .

ويكون للمنظمة لجان عاملة دائمة ، فأما اللجنة التي تختص بالشؤون السياسية فيمكن أن تعتبر المجلس التنفيذي هو هذه اللجنة ؛ لأن نشاطه سيكون أكثره سياسيًا ، وإما أن تشكل لجنة خاصة بهذه الشؤون . اللجنة الثانية : هي اللجنة القانونية أو التشريعية ، وهذه تؤلف من العلماء أي : المتخصصين في القانون الإسلامي والثقافة الإسلامية ، ورجال القانون العام الدارسين ـ أيضًا ـ للشريعة الإسلامية ، والجميع من المعروفين بحسن إسلامهم ، فهذه اللجنة تستشار في التشريعات أو القرارات التي يراد إصدارها ، وتستفتى في المسائل الدينية .

وتقدم ـ أيضًا ـ اقتراحاتها فيما يتصل بكل ذلك إلى الجمعية العمومية أو لجنتها التنفيذية .

واللجنة الثالثة : هي اللجنة العسكرية ، وهي تتألف من كبار الخبراء والقادة العسكريين في الأمة ، ومهمة هذه اللجنة على أكبر جانب من الأهمية ؛ لأنها تنظر في مسائل الدفاع وشؤون الحرب والتنظيم وإعداد وسائل القوة ، فهي ـ إذن ـ تقوم بواجب خطير للأمة الإسلامية ، ويجب أن تعمل الدول الأعضاء على تنفيذ قراراتها بروح التعاون والإخلاص والاتحاد .

واللجنة الرابعة : هي اللجنة الثقافية الاجتماعية ، فهذه يشمل اختصاصها جوانب عديدة ، فهي تختص بمسائل التعليم ، ووسائل الثقافة من كتب وصحف ومحاضرات وتوجيه أجهزة الإعلام ، فتعمل اللجنة على أن تكون هذه الأمور كلها

- ولا سيما التعليم - متفقة مع الروح والأهداف الإسلامية ، كما أن هذه اللجنة تهتم بحماية المجتمع الإسلامي في كل هذه الدول من الناحية الأخلاقية ، فتقترح أن توصي بالتشريعات اللازمة ؛ لحماية هذه المجتمعات من أخطار الرذيلة الناتجة عن التقليد الأعمى لبعض المجتمعات أو الأوساط المنحلة في أوروبا أو أمريكا ، ومن الدعايات السامة التي يبثها أعداء الأمة الإسلامية ؛ للترويج للفساد والفجور والانحلال ؛ لإضعاف قوى الأمة المعنوية والروحية .

واللجنة الخامسة : هي التي يعهد إليها نشر الدعوة الإسلامية في الخارج .

أما مقر المنظمة فيمكن أن يكون في أية دولة إسلامية ، ويترك للدول الأعضاء أن تختاره ، فالقاهرة يمكن أن تكون مكانًا صالحًا ؛ لأنها مركز لنشاط سياسي وثقافي كبير ، وإن كانت مشغولة - الآن - بمشكلة العدوان الصهيوني الاستعماري وما يقترن بها من مسائل سياسية ودولية معقدة . وطرابلس أو بنغازي يمكن - أيضًا - أن تكون إحداهما مقرًا مناسبًا ؛ إذ أن إتجاه المسؤولين في ليبيا الآن هو اتجاه إسلامي ، وقد أعلن رئيسها أن الإسلام هو رسالة سماوية سامية تحل التناقضات بين الشعوب في العالم ، وهو كلام يعبر عن حقيقة ، غير أن الدولة لا تزال في بداية التنفيذ ، كما يمكن أن يكون مقر المنظمة - ولو في مرحلة الإعداد - مدينة « جدة » بالجزيرة العربية ، فهي في الأراضي المقدسة على مقربة من الحرمين ، ولأنه وجدت فيها نواة تصلح أن تكون تمهيدًا للمنظمة وهي الأمانة العامة الإسلامية ، أو فلتكن « مكة » نفسها ملتقى المسلمين هي مركز المنظمة بجوار الحرم الشريف وفيها الرابطة الإسلامية ، أو فليكن المقر إحدى عواصم أو مدن الدول الإسلامية غير العربية ، ومهما يكن فاختيار المكان ليس مشكلة ، فالمهم التنفيذ والتحقيق ، وينبغي أن لا تكون هناك نوازع أو حساسيات فيما يتصل بالشؤون الإسلامية ؛ إذ يجب أن تكون هذه كلها خالصة لوجه الله والدين والمصلحة العامة للأمة .

والأمر في النهاية متروك للدولة الإسلامية أو ممثليها في اللجنة التمهيدية ؛ ليتقرر بالتراضي والاتفاق .

فهذه هي « منظمة الدول الإسلامية » ومؤسساتها ولجانها .

وهذه هي التي تحقق معاني الخلافة أو تؤدي مهامها ، ولكن في صورة حديثة : في صورة شورية جماعية منظمة دستورية قائمة على فكرة التخصص وتوزيع الأعمال والمشاركة في الرأي ، وهذه هي خصائص العصر الحديث ، وهي في نفس الوقت تطبيق لمبادئ الإسلام ، وبإقامة هذه المنظمة ؛ يكون المسلمون قد أدوا الفرض الواجب عليهم من الإسلام ، وهو : إيجاد قيادة عامة للأمة الإسلامية تمثل وحدتهم وتضامنهم ، وتحفظ دينهم وتعمل على تحقيق مبادئه ، وتسهر على حماية المسلمين وأوطانهم من اعتداد الأعداء أو أذاهم ، وتنهض بالأمة الإسلامية من جميع وجوه حياتها ، وتقدم رسالة الإسلام إلى العالم ؛ لنشر مبادئه بين الأمم ، وهي رسالة التوحيد والتوحد على عبادة الله ، وإطاعة أوامره بالرحمة والتعاون في أعمال الخير والبعد عن أفعال الشر ، والعمل لمنع الحروب وتحطيم الأصنام المادية التي هي سبب إيقاد الحروب والمنازعات ، وسيادة الفضيلة والمساواة بين الأمم ، فلا فضل لإحداها على الأخرى إلا بالأعمال الصالحة لخير الإنسانية وسعادتها .

وتعلن « المنظمة » عند قيامها للعالم أنها ليست مؤسسة دينية بالمعنى المحدود الذي يفهمه الغرب ، ولكنها مؤسسة سياسية وثقافية وحضارية ، فالإسلام ـ كما أثبتناه من قبل ، وكما قرره علماء الغرب أنفسهم ـ ليس دينًا فحسب ، ولكنه نظام معين من الحضارة يشمل : الدين والسياسة والثقافة وأخلاق المجتمع ، وله ـ أيضًا ـ فلسفته الاقتصادية ، فهو نظام وسط بين تطرف الشيوعية وجمود الرأسمالية ، يرفض المادية والوثنية من جهة ، كما يرفض الاستغلال والأنانية ـ من جهة أخرى ـ ، ويحترم حقوق الفرد ويضمن حرياته ، في نفس الوقت الذي يحرص فيه على مصلحة المجتمع

وتقدمه ، فهو يوفق بين الأمرين ، فلا يجعل الدولة تعتدي على حقوق الأفراد ، كما لا يسمح للأفراد أن يضروا بصالح الجماعة ، وليس نظامًا جامدًا ، ولكن يسمح بالتطور وتنوع التطبيق ، وإمكان التغيير بحسب تنوع وتغير الحاجات واختلاف الظروف والمجتمعات ، غير أن رائده العام أو قاعدته الأساسية هي تحقيق العدالة والسعادة والكرامة الإنسانية .

وينص في ميثاق المنظمة ـ ويعلن ذلك إلى العالم ـ على أنها إنما قامت من أجل تحقيق تلك المبادئ ، وأن أهدافها العامة هي :

« **أولًا** » : ـ أنها منظمة للسلام ، لا للحرب أو العدوان .

« **ثانيًا** » : ـ أنها ستعاون هيئة الأمم المتحدة والمنظمات العالمية في حفظ السلام المقترن بالعدل .

« **ثالثًا** » : ـ أنها للدفاع عن أوطان المسلمين وحقوقهم ، ورد أي اعتداء على هذه الأوطان أو الحقوق .

« **رابعًا** » : ـ أنها تقف جبهة واحدة قوية ضد عدوان الصهيونية والاستعمار بصفة خاصة .

« **خامسًا** » : ـ أنها تهدف إلى تحقيق المبادئ الإسلامية وجعلها أساس حياة المجتمع .

« **سادسًا** » : ـ أنها تعمل للنهوض بالمجتمعات الإسلامية من جميع وجوه حياتها ولا سيما من ناحيتي : العلم والأخلاق .

« **سابعًا** » : ـ أن من واجباتها إبلاغ رسالة الإسلام إلى العالم ؛ لتسود مبادؤه السامية .

« **ثامنًا** » : ـ أنها تدعو ـ تطبيقًا لأهداف الإسلام ـ إلى توحيد بني الإنسان في مجتمع إنساني عالمي ، فالإسلام رسالة عالمية تدعو إلى وحدة العقيدة والإنسان .

« تاسعًا » : ـ أنها ضد العنصرية والتعصب واستغلال أي شعب لشعب آخر .

« عاشرًا » : ـ أنها تسعى لإيجاد حكومة عالمية أو نظام عالمي يطيعه الجميع ؛ لتحقيق العدالة والسلام والإخاء .

وأقدم ـ الآن ـ هذا المشروع ـ بتوفيق الله ومستعينًا به ـ إلى رؤساء الدول الإسلامية ـ وهم الذين يملكون التنفيذ ، وإلى علمائها وذوي الرأي فيها ـ وهم الذين يقدرون على الدعوة والتوجيه ؛ لكي يبحثوه ويعملوا على تحقيقه ، فإذا نهضوا بذلك ؛ فقد أدوا الواجب الذي يفرضه عليهم الدين ، وأسدوا خدمة جليلة لأمتهم يسجلها لهم التاريخ بالثناء بل الفخر ، ويكونون قد ساهموا في تنظيم شؤون حياة أمتهم والعمل على تقدمها وقوتها ، وانقاذها من مكايد الأعداء وأخطار العصر ، كما يكونون قد أوجدوا الأداة أو الهيئة التي تسعى ؛ لنشر رسالة الإسلام وبث مبادئه ، والدعوة إلى إخاء عالمي والتعاون بين الشعوب والدول ، بل إلى وحدة الدين وإقامة حكومة إنسانية عالمية ، فبذلك يكون لهم فضل ـ أيضًا ـ في التاريخ العام ، والرؤساء والقادة والعلماء هم الذين يتحملون المسؤولية الأولى أمام الله وأمام الأمة والأجيال ، وأمام ضمائرهم أيضًا ، ومن يبدأ عمل الخير والإصلاح ؛ يكن له الثواب الأجزل من الله .

وأقترح ـ تنفيذًا للمشروع وكخطوة للبدء في العمل ـ أن يبادر أحد رؤساء الدول الإسلامية ـ محتسبًا مخلصًا النية لله ـ فيدعو إلى تأليف لجنة تأسيسية ؛ لوضع ميثاق المنظمة ودستورها ثم يدعو سائر الدول إلى الإتفاق على الميثاق وتوقيعه ، ثم يعلن قيام المنظمة وتذاع أهدافها إلى العالم .

وقد وصلنا الآن إلى نهاية البحث ، وأحمد الله على إعانته وتوفيقه ، وندعو لقادة الأمة وأولي الأمر فيها بالتوفيق . وها قد بلغت اللهم فاشهد .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله المبعوث لهداية العالم ، وتوحيده على دين الحق لعبادة رب واحد على شريعة الفضيلة والإخاء وسمو الروح

والتقدم والسلام، وصدق الله - تعالى - إذ يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

وفي ختام الكتاب أدعو الله أن يشملني رضاه، وأن يمن علي بأن أكون من بين الذين قال فيهم: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

❋ ❋ ❋

ملحق

وثيقة سرية

تكشف الستار عن العلاقة بين حركة ٢٣ يوليو وأمريكا

ترجمة الوثيقة :

من القاهرة

إلى : وزير الخارجية

برقية رقم : ٧٣٠/ ١٨ سبتمبر : الساعة السابعة مساء

برقية ذات أولوية في العرض

جاءني اليوم المقدّم أمين حاملًا معه رسالة من الفريق محمد نجيب ومن المجموعة العسكرية الحاكمة في مصر ، ويتلخص مضمون الرسالة فيما يلي :

بعد ثمانية أسابيع كان التركيز فيها منصبًا على القضايا الداخلية ترى المجموعة أنه قد آن الأوان « الآن » لدخول المرحلة التالية من مراحل الثورة والالتفات إلى الموقف الداخلي في البلاد .

يقف أفراد المجموعة في جانب الولايات المتحدة معارضين للشيوعية على طول الخط .

تتركز مشكلتهم الأولى في كيفية الترويج للولايات المتحدة في مصر وفي توعية المواطن المصري العادي بأخطار الشيوعية .

وللقيام بالترويج للولايات المتحدة « بيعها للشعب المصري » يحتاج المصريون إلى امدادت عسكرية ومساعدات اقتصادية من الولايات المتحدة .

وهم مستعدون في المقابل لإعطاء بعض التعهدات السرية الخاصة بأهداف التحرك بعيدة المدى بما في ذلك مشروع MIDO .

وكذا إقامة علاقة مشاركة مع الولايات المتحدة الأمريكية .

يعتقد المصريون أن إعلان مثل هذه التعهدات في الوقت الراهن إنما يقضي على الفرص المتاحة لتحقيق تلك الأهداف ، ولكنهم مع ذلك يودون العمل بأقصى سرعة ممكنة ؛ لتمهيد الطريق للإعلان عن هذه التعهدات .

وحدد أمين تساؤلات المجموعة العسكرية فيما يلي :

١. هل ترغب الولايات المتحدة في إقامة مثل هذا النوع من التعاون مع مصر ؟

٢. ما هو نوع التعهدات السرية التي ترغب الولايات المتحدة في الحصول عليها من مصر ؟ . وهل تعتقد الإدارة الأمريكية أن الفريق محمد نجيب هو الشخص المناسب لصياغة مثل هذه التعهدات ؟

والواضح أن المجموعة لم تحدد بعد ماهية المساعدات العسكرية والاقتصادية التي تحتاجها مصر ، وذلك بالنظر إلى أن هذه المحادثة قامت أساسا بغرض جس النبض ، أما السؤال الذي يدور في ذهن أمين فكان في اعتقادي هو فيما يتعلق بالمساعدات الاقتصادية : هل تستطيع الولايات المتحدة أن تقوم بشراء القطن المصري ؟ أما فيما يتعلق بالجانب العسكري فكان السؤال : هل ترغب الولايات المتحدة في إمدادنا بقطع غيار للدبابات وتزويدنا بالعربات المصفحة والذخيرة التي تستخدم في الأسلحة الصغيرة وكذلك أجهزة الراديو .

ثم إنه أكد مرة بعد أخرى أن مصر لا تنتوي أن تجدد العداء بينها وبين إسرائيل أو بريطانيا ، وأنه سوف يجري تقديم الضمانات الوفيرة بشأن استخدام المواد ، وقال - أيضًا - أن مصر سوف تقبل المساعدة من قبل بريطانيا .

ولقد عبرت عن التقدير لتعاطف المجموعة مع الولايات المتحدة ، وقلت أنه متعادل ، وأقترح أن تقوم العسكرية بالتفكير المتأني في نوع الالتزام الذي يرغبون في تحمله ، وكذلك إعداد قائمة مبدئية بمقدار المساعدة التي يرغبون فيها بالتحديد ، وفي

نفس الوقت أكدت لأمين أني سوف أبلغ الإدارة بذلك ، وأوصي أن تقوم بالتفكير المتأني والتعاطف « كمبدأ » ، وسر أمين بهذه الاجابة .

وفي سياق حديث الأصدقاء أشار أمين لعلاقات العمل اليومية شديدة الاستقرار التي تقيمها المجموعة بالكامل مع سفارتي وسؤلت عما إذا كان في رأيي قد حان الوقت لإقرار نوع من العلاقات مع بريطانيا ، حتى لو كانوا لن يصبحوا بالطبع على درجة حميمة فقلت أن الوقت قد حان ، ووافقت على أن أقترح على ستيفنسون تكليف أحد العاملين بالسفارة بمهمة الاتصال بالمجموعة العسكرية ، واعتبر هذه الخطوة خطوة هامة بالمقارنة برد المجموعة على اقتراح مشابه قد قدم قبل أسبوعين ، وكان الرد أن الوقت بعد لم يزل غير ملائم .

وعدت أوضح لأمين مرة أخرى أن الهدف الأول لنا هو : تحقيق مشروع MIDO وأن تنفيذ المشروع ليس ممكنًا بدون مشاركة بريطانيا .

وهنا أرغى أمين وأزبد كثيرًا عن الجلاء ومع هذا فقد وضح كلامه أنه يوافقني في الأساس .

لم أعط أمين أية وعود فيما يتعلق برد فوري من الوزارة ، وأقترح أن يناقش الأمر برمته مع ستابلر عقب عودته إلى واشنطن يوم ٢٣ فقد حضر ستابلر جميع المداولات التي تمت هنا ، وهو يعرف ـ أيضًا ـ أعضاء المجموعة المشتركة في المحادثات [١] .

التوقيع

كافري

---

(١) د/ سهير اسكندر (موقف الصحافة المصرية من القضايا الوطنية ١٩٤٦م ـ١٩٥٤م) جـ٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦ م صفحات ٢٩٤ـ٢٩٥ـ٢٩٦ .

الرسالة طبقًا لمذكرات ثروت عكاشة ما يلي :

سري وشخصي

سيادة السفير .

(على الرغم من أني لم أتشرف بمعرفتك ومن عدم قيام علاقات دبلوماسية ـ بكل أسف ـ بين بلدينا فإني أبادر بأن أسمح لنفسي أن أتوجه إليكم بكل صراحة وإخلاص بصفة شخصية وسرية كي أبلغكم أنه في مساء الإثنين ١٠ فبراير أعلنت إذاعة القاهرة الناطقة بالعربية بأنه عندما تتم وحدة الدول العربية ؛ ستجد إسرائيل نفسها بين خيارين : فإما أن تعيش معزولة تحت وطأة الضغط الذي يتهددها ، وإما أن تندرج ضمن هذه الوحدة [1] ، ونحن نعتقد أن مثل هذا الانضمام ممكن مع استطاعة اليهود في هذه الحالة الاحتفاظ باستقلالهم الداخلي مستمتعين بحريتهم التامة ويتابعون التعاون ضمن الوحدة العربية بكل ما تحمله كلمة التعاون من معنى وفي كل المجالات ، وهكذا يكتب الختام للصراع العربي الإسرائيلي ..

هذا هو الحل المناسب للقضية الفلسطينية من خلال احتواء إسرائيل في الوحدة العربية احتواء تامًا ، أي : التعاون داخل الوحدة من أجل صالح الشعب كله .

ومع اقتناعي اليوم كما كنت مقتنعًا بالأمس بأن الطريق لم يغلق بعد أمام حل مرضٍ بين إسرائيل والدول العربية عامة وبين إسرائيل ومصر خاصة ، فإنه من الأهمية الكبرى بالنسبة لي أن أعلم من شخصية مسئولة مخولة مثل سيادتكم إذا ما كان النص الذي أذيع باللغة العبرية في الإذاعة العربية يمثل بحق تفكيرًا جديًا من جانب قادة مصر ، وإذا ما كان يعبر عمليًا عن إمكانية مناقشة هذا الموضوع جديًا مع ممثلين رسميين لإسرائيل ، فإذا اتضحت لي هذه النقاط ؛ فإني على استعداد لاتخاذ المبادأة بالرجوع إلى رئيس الوزراء السيد دافيد بن جوريون ووزيرة الخارجية السيدة

---

(١) نفس المصدر .

جولدا مائير اللذين يولياني ثقتهما التامة ؛ لأطلب منهما في سرية تامة دراسة النص المذاع من راديو القاهرة ، وألا يعدونه مجرد بث بغرض الدعاية البحتة .

وأحب أن أؤكد لسيادتكم أن نواياي الطيبة ورغبتي الشديدة في رؤية السلام والاستقرار يرفرفان على منطقة الشرق الأوسط هما العاملان الوحيدان اللذان حفزاني على الكتابة إليكم متحملًا ـ منذ هذه اللحظة فصاعدًا ـ كل ما يترتب على هذه الخطوة من جانبي من مسئولية شخصية ، وإني في الوقت نفسه أرحب بلقائكم في سرية مطلقة في اليوم والساعة والمكان الذي تحددونه ؛ كي أتلقى الإيضاحات اللازمة نحو هذا الموضوع ، ولا أخفي عليكم مدى سعادتي إذا ما استجبتم بقبول اقتراحي وإن رقم تليفوني الخاص في المنزل هو ٨٥٩١١٧ ، وأنسب الأوقات للاتصال بي شخصيًا ما بين الثامنة والتاسعة صباحًا .. وتفضلوا بقبول فائق التقدير)

الياهو ساسون

فضيحة موثقة

في عددها رقم ١٩٤ الصادر بتاريخ ٢٩ أكتوبر نشرت مجلة حواء حوارًا مطولًا مع الكاتب الصحفي إبراهيم عزت الذي كشف فيه النقاب عن تفاصيل رحلته السرية إلى إسرائيل وقد روى قائلًا : (إن زيارتي لإسرائيل جاءت بناء على رغبة راودت الرئيس جمال عبد الناصر ؛ لكشف نوايا العدو ، وما هي تصوراته حول إشكالية الصراع العربي الإسرائيلي) .

وبدأت الرحلة في عام ١٩٥٦م من خلال علاقة وثيقة ربطته بالسير كينيث ليفي مراسل جريدة النيويورك تايمز بالقاهرة ، حين قام بإقامة مأدبة عشاء جمعت إبراهيم عزت والسفير الإسرائيلي في لندن الذي أبدى رغبته في دعوة إبراهيم عزت لزيارة إسرائيل وإجراء مفاوضات بها مع القادة السياسيين والعسكريين في إسرائيل من هنا ، أخبر إبراهيم عزت بدوره ثروت عكاشة الملحق الحربي في باريس بوقائع

هذا اللقاء وملابسات تلك الدعوة ، وأرسل الدكتور ثروت عكاشة من باريس ما سمعه إلى القاهرة يطلب المشورة في الأمر من المسئولين المصريين ، وتمت مناقشة ودراسة العرض أمام الرئيس جمال عبد الناصر ومعاونيه ، وقد تمخض عن تلك الدراسات والمناقشات الموافقة على سفر إبراهيم عزت إلى إسرائيل في إطار من السرية البالغة ؛ تجنبًا لإثارة مشاعر العالم العربي الذي كان ثائرًا وهائجًا من الاستفزازات الإسرائيلية خاصة بعد الغارة الإسرائيلية على غزة والتي راح ضحيتها نحو ٣٨ جنديًا مصريًا في عام ١٩٥٥م ، وفي التو تلقى ثروت عكاشة إشارة توحي بقبول وموافقة الرئيس جمال عبد الناصر على إتمام الزيارة التي سيقوم بها الصحفي المصري ومراسل روز اليوسف في سويسرا إبراهيم عزت ؛ لمقابلة رموز المؤسسات العسكرية والسياسية في تل أبيب .

في تلك الأثناء كان اللواء صلاح نصر مدير المخابرات العامة قد بعث بجواز سفر برازيلي لإبراهيم عزت احتوى على صورته بوصفه صحفي برازيلي من أصل عربي ، وتسلم إبراهيم عزت جواز سفره الجديد الذي أبرزه في وجه السفير الإسرائيلي الذي أبدى موافقته على هذا التصرف تقديرًا منه لمشاعر صانع القرار السياسي في مصر الذي يتطلع إلى تكتم خبرالزيارة .

ويضيف إبراهيم عزت بعد ذلك أنه تلقى أمرًا ببدء زيارته إلى تل أبيب في صباح اليوم التالي فاستقل طائرة بريطانية كانت في طريقها إلى تل أبيب .

وبعد ساعات هبطت به الطائرة في مطار اللد سابقًا (بن جوريون حاليًا) ، وكان في استقباله مدير المطار إلى جانب مندوب خاص من وزارة الخارجية الإسرائيلية وضابط من جهاز الموساد الإسرائيلي ؛ لمرافقته في سيارة تابعة للخارجية يتولى قيادتها أحد رجال الموساد .

ويقول إبراهيم عزت في حواره لمجلة المجلة : إنه قضى في إسرائيل أحد عشر يومًا ، تنقل فيها بين تل أبيب والقدس الغربية وبئر سبع وحيفا فضلًا عن قيامه بزيارة بعض المستوطنات الإسرائيلية إلى جانب عشرات المصانع والمزارع والمدارس والدواوين الحكومية !!! وفي أثناء هذه الزيارة التقى إبراهيم عزت ـ طبقًا لروايته ـ مع السيد ديفيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل ويوسي شاريت وزير خارجيتها والجنرال إيجال باديس رئيس الأركان والسيدة جولدا مائير رئيسة اتحاد العمال اليهود المعروف باسم (الهتسدورت) ... ويقول إبراهيم عزت مبعوث جمال عبد الناصر إلى تل أبيب : إن بن جوريون قد طلب منه في ختام زيارته السرية إبلاغ رسالة للرئيس جمال عبد الناصر مفادها (أنني على أتم استعداد للقائه دون شروط مسبقة وفي أي مكان يختاره سرًا أو علنًا للنقاش في أي شيء وفي كل شيء) ، ويختتم إبراهيم عزت حديثه قائلًا : بعد انتهاء الزيارة عدت إلى القاهرة على طائرة قبرصية وقد التقيت فور عودتي بالدكتور محمد عبد القادر حاتم الذي كان يشغل منصب رئيس الهيئة العامة للاستعلامات ، وقد سلمته تقريرًا احتوى على أدق تفاصيل زيارتي لإسرائيل وما دار فيها من مناقشات وحوارات مع ساسة إسرائيل وعلى رأسهم : ديفيد بن جوريون وجولدا مائير ثم بعدها مباشرة التقيت مع اللواء صلاح نصر الدين مدير جهاز المخابرات العامة وقد استغرقت المقابلة نحو ثلاث ساعات دارت حول أسرار وخبايا زيارتي لتل أبيب .

ويؤكد إبراهيم عزت أن محمد عبد القادر حاتم وصلاح نصر طلبا منه في حزم عدم البوح لأي شخص بما يتعلق بهذه الزيارة السرية ، ثم عليه أن ينتظر رد الرئيس جمال عبد الناصر بعد إطلاعه على التقرير الخاص بزيارته .

وبعد أيام قامت الدنيا ولم تقعد في العالم العربي بعد أن تسرب الخبر إلى سليم اللوزي وسعيد فريحة أشهر الصحافيين اللبنانيين .

سري جدًا

وإليك هذه الوثيقة التي نشرتها الولايات المتحدة الأمريكية مؤخرًا، وقد دارت وقائعها بين وزير الخارجية المصري آنذاك محمود فوزي ورالف بانش ممثل الأمم المتحدة ـ وللعلم فإن محمود فوزي هو الذي قال عنه جمال عبد الناصر «ما من جنرال يستطيع أن يلعب دور محمود فوزي في الشئون السياسية والعسكرية».

أما الوثيقة فقد نشرت على هذا النحو:

سري جدًا **٧ فبراير ١٩٥٣**

(أبلغني وزير الخارجية محمود فوزي الليلة الماضية أنه يفكر في عقد اتفاق مع إسرائيل .. وهو يعي أن اللاجئين لن يعودوا أبدًا إلى إسرائيل بأعداد كبيرة .. وأنهم يجب أن يواطنوا في البلاد العربية وقال: (نحن نرغب في أخذ أكبر عدد ممكن إذا ما استطاعت (الأونرا) (هيئة إغاثة اللاجئين) أن تجد مشاريع لتشغيلهم في سيناء)، ولمن لا يعرف فقد توافق هذا الاقتراح مع سياسة حسني الزعيم في سوريا الذي نادى بتوطين اللاجئين.

إذن حكومة الثورة ـ وعلى رأسها جمال عبد الناصر ـ كانت لا تفكر في حروب مستقبلية على الكيان الصهيوني حيث أن هدفها كان يتلخص في كيفية تفادي الصدام مع إسرائيل وتحاشي مواجهتها، حتى إن جمال عبد الناصر في حرب ٥٦، ٦٧ اعتمد خطة دفاعية بل وحتى إن رحل عن دنيانا، والدليل على ذلك رضوخه وقبوله مبادرة روجرز التي أعلنتها الولايات المتحدة الأمريكية، وهو القرار الذي أدهش وأذهل خصومه وألجم أنصاره، وقد برروا له ذلك في مهزلة تقول: إن ناصر وافق على مبادرة روجرز لحين الانتهاء من بناء الجيش المصري لمهاجمة إسرائيل، ولأننا لا نصدق أقوال الأفاقين ومزروي التاريخ؛ فلا نملك سوى أن نكذب ما يقولون ونقر

ونستشهد بما ذكره الفريق محمد فوزي وزير حربية جمال عبد الناصر بعد إعفاء المشير عبد الحكيم عامر ، حيث قال فوزي وهو بالمناسبة كان ناصريًا حتى النخاع :

(مصر تطبق الخطة الدفاعية المصدق عليها من سنة ١٩٦٦م واسمها : (قاهر) ، الخطة الدفاعية لا تعني قيامنا بأي ضربات جوية أو غيرها ، أي أن الرئيس عبد الناصر ملتزم بالخطة الدفاعية ويرفض الخروج عنها .. إذن قيامنا بأي ضربات يعتبر خارج الموضوع) [١] .

وهو قول يتناغم مع ما قاله أحمد حمروش في كتابه (فريق عبد الناصر) صفحة ٣٣ جاء فيه : « مما يدل على أن عبد الناصر لم يكن ضد إسرائيل ولم يكن من دعاة تدميرها » ثم كيف كان ينوي القضاء على إسرائيل ؟ ومتى ؟ وبماذا ؟ فها هو نفسه يقول (لمجلة الشئون الخارجية الأمريكية) عام ١٩٥٥م : « ليس هناك محل للحرب مع سياستنا الإنشائية التي قررناها لتحسين مستوى الشعب » ، وطبعًا كما أكد مستشار السوء قام الزعيم بتخفيض ميزانية الجيش بقدار خمسة ملايين جنية في ذلك الوقت !! كيف سيدمر إسرائيل وأمريكا قد ضغطت عليه ؛ لقبوله بقوات طوارئ دولية تقف حجر عثرة دون إطلاق رصاصة واحدة ؟! وها هو أحمد حمروش يقول : (ضغطت أمريكا على إسرائيل ؛ للانسحاب ، وضغطت على مصر ؛ لتبقي قوات طوارئ دولية في شرم الشيخ حتى لا تتاح للقوات المصرية مستقبلًا فرصة قفل خليج العقبة ومنع الملاحة فيه .. ولم يشأ جمال عبد الناصر أن يعاند ويواصل تحدي أمريكا ؛ لأنه وجد في ذلك ـ على حد تعبيره ـ موقفًا غير سياسي ، وقبل هذا الشرط مرغمًا كما يقول ناتنج) .

كيف سيدمرها يا عبدة صنم عبد الناصر ويا حملة صوره ؟!

إن ما تزعمونه هو إسفاف واستخفاف بنا وبالأمة العربية التي أضلها إفككم وكذبكم [٢] .

---

(١) ثورة يوليو الأمريكية للأستاذ محمد جلال كشك ص ٦٨٦ نقلًا عن جريدة الوطن العربي .

(٢) هشام خضر (عبد الناصر وعلاقته الخفية بالموساد والمخابرات الأمريكية) ص ٦٠ ـ ٨٢ ـ ١٠٧ ط العالمية / بمصر ط ٢ عام ٢٠٠٦ م .

المصادر

١. الأحزاب السياسية في مصر ١٩٠٧م - ١٩٨٤م ـ د/ يونان لبيب رزق ـ كتاب « الهلال » بمصر ديسمبر سنة ١٩٨٤م العدد ٤٠٨ .
٢. أحكام القرآن الكريم في موالاة الكفار والمشركين ـ مجدي أحمد حسين ـ بدون اسم الناشر ـ عام ٢٠٠٠م .
٣. الاختراق الصهيوني للمسيحية ـ القس إكرام لمعي ـ دار الشروق ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .
٤. أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ـ د/ جمال عبد الهادي ـ دار الوفاء بالمنصورة ط٢ ـ ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م .
٥. الأدب المصري في ظل الحكم العثماني ـ محمد سيد كيلاني ـ دار القومية العربية للطباعة سنة ١٩٦٥م .
٦. أرنولد توينبي ـ لمعي المطيعي ـ دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٧م ـ العدد ١٤٨ .
٧. الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبرالية العالمية ـ إبراهيم خليل أحمد ـ مكتبة الوعي بالقاهرة عام ١٩٧٢م .
٨. إسرائيل : أردوغان أسقط آخر حصون ضد الإسلام ـ خبر بقلم : أحمد عطا ـ جريدة الشروق المصرية بتاريخ ٢ رمضان سنة ١٤٣٢هـ ـ ٢/ ٨/ ٢٠١١م .
٩. الإسلام كبديل ـ ت . إي . لورنس ـ تعريب : عادل المعلم ـ دار الشروق ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .
١٠. الإسلام والحضارة الغربية ـ د/ محمد محمد حسين ـ دار الإرشاد . ط بيروت ـ ط ١ ـ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩م .
١١. الإسلام والغرب .. آفاق الصدام ـ تأليف صموئيل هانتنجتون ـ ترجمة مجدي شرشر ـ مكتبة مدبولي بالقاهرة ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

١٢. الإسلام والغرب في كتابات الغربيين ـ د/ زغلول النجار ـ نهضة مصر ط٥ سنة ٢٠٠٧م .
١٣. الإسلام وخرافة المواجهة ـ ترجمة محمد مستجير ـ مكتبة مدبولي سنة ١٩٩٧م .
١٤. الإسلام والخلافة في العصر الحديث .. نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم ـ د/ محمد ضياء الدين الريس ـ منشورات العصر الحديث ـ بيروت ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م .
١٥. الإسلام وصراع الحضارات ـ د . أحمد القديري ، كتاب الأمة ، قطر ـ ذو الحجة ١٤١٥هـ ، مايو ١٩٩٥م .
١٦. إسلاميات السنهوري باشا ـ د/ محمد عمارة ـ دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م .
١٧. أصل الأشياء ـ السعيد صالح عبده ـ الشركة المصرية للطباعة ـ بورسعيد سنة ٢٠٠٤م .
١٨. أضواء على حادث المنشية ـ مقال بقلم : أحمد عبد المجيد ـ مجلة (المنار الجديدة) شوال ١٤٢٢ هـ ـ يناير ٢٠٠٢م .
١٩. إعادة كتابة التاريخ الإسلامي في مركز الأبحاث بإستانبول ـ استطلاع : سليمان الشيخ بمجلة العربي العدد ٣١١ أكتوبر سنة ١٩٨٤م .
٢٠. أفول الغرب ـ مقال بقلم : دومينك مواسي (التايمز البريطانية) ، ونشرته أخبار اليوم المصرية في ١١ شوال ١٤٢٩ ـ ١١/ ١٠/ ٢٠٠٨م .
٢١. إنهم يذبحون المسلمين .. مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك ـ محمد جلال كشك ـ مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة ١٩٩٢م .
٢٢. أين الخلل ؟ لماذا تخلف العرب والمسلمون وتقدم غيرهم ؟ ـ مقال بقلم : حسين ياسين ـ مجلة (التبيان) رجب ١٤٣٢هـ ـ يونيو ٢٠١١م .
٢٣. باشوات وسوبر باشوات .. صورة مصر في عصرين ـ د / حسين مؤنس ـ الزهراء للإعلام العربي بمصر ط ٢ ـ ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م .
٢٤. البوسنة والهرسك .. من الفتح إلى الكارثة ـ د/ محمد حرب ـ المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي والبلقان رقم (١) سلسلة بلدان العالم الإسلامي

القاهرة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٥. تاريخ التاريخ ـ علي أدهم ـ سلسلة (كتابك) رقم ٦ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧.
٢٦. تاريخ الصحافة الإسلامية ـ الأستاذ أنور الجندي ـ دار الأنصار بالقاهرة، سنة ١٩٨٣م.
٢٧. تاريخ وقواعد الحضارات ـ فرناندبرودبل ـ ترجمة وتعليق سفير د/ حسين شريف الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٩م.
٢٨. التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي ـ تأليف: ج. ويدجري ـ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
٢٩. تحقيق الوصال بين القلب والقرآن ـ مجدي الهلالي ـ مؤسسة اقرأ ـ القاهرة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
٣٠. تجديد الفكر العربي ـ د. زكي نجيب محمود.
٣١. تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ـ دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٣٢. تفكيك أمريكا ـ رضا هلال ـ دار مصر المحروسة ٢٠٠٣م.
٣٣. تفكيك الديموقراطية ـ د/ رفيق حبيب ـ دار الشروق ط١.
٣٤. تهافت العلمانية ـ د. عماد الدين خليل ـ مؤسسة الرسالة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٣٥. ثقافتنا في مواجهة العصر ـ د. زكي نجيب محمود.
٣٦. الثقافة الإسلامية ـ د/ عبد الكريم عثمان.
٣٧. ثلاثون كتابًا في كتاب ـ بدر محمد بدر، إصدارات سطور الجديدة بالقاهرة ٢٠٠٩م.
٣٨. ثورة ٢٣ يوليو الأمريكية .. علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية ـ محمد جلال كشك.
٣٩. جريدة (اللواء الإسلامي) العدد ١٥٤٦ الخميس ١٧ شوال ١٤٣٢هـ ـ ١٥ سبتمبر ٢٠١١م.
٤٠. حاضر العالم الإسلامي ـ شكيب أرسلان.

٤١. حقيقة الانقلاب الأخير في مصر ـ د / راشد البراوي ـ مكتبة النهضة المصرية ط ٢ سنة ١٩٥٢م.

٤٢. الحداثة .. سرطان العصر ـ د / عبد العظيم المطعني ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ـ ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م.

٤٣. الحضارة ـ د . حسين مؤنس ـ سلسلة (عالم المعرفة) الكويت يناير سنة ١٩٧٨م ـ محرم/ صفر سنة ١٣٩٨هـ

٤٤. حضارة الإسلام ـ د/ سعيد عبد الفتاح عاشور .

٤٥. حضارة الإسلام في دراسة توينبي ـ تأليف فؤاد محمد شبل ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ ١/ ٢/ ١٩٦٨م .

٤٦. حضارة الدراسات الإسلامية ـ د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ـ معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

٤٧. حظر التجول على الإسلام ـ مقال بقلم د/ حلمي محمد القاعود ، ص ١٠ جريدة (الأهرام) ١٣ شعبان ١٤٣٢هـ ـ ١٤ يوليو ٢٠١١م .

٤٨. الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر ـ جمال حماد ـ الزهراء للإعلام العربي عام ١٤١٢ هـ ١٩٩١م .

٤٩. حوار مع د/ زغلول النجار في مجلة اللواء الإسلامي ـ العدد ١٥٣٧ ـ ١٣ شعبان ١٤٣٢هـ ـ ٣١ يوليو ٢٠١١م .

٥٠. الخلافة والملك ـ المودودي ـ تعريب : أحمد إدريس ط دار القلم بالكويت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.

٥١. خلف الستار .. وجه آخر لأفغانستان ـ خالد منصور ـ كتاب اليوم ـ العدد رقم ٥٤٩ ـ نوفمبر ٢٠١٠م .

٥٢. دراسات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري ـ د/ محمد

جمال الدين ألفندي ط ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٨٥ م.

٥٣. دستور أمة الإسلام .. دراسة في أصول الحكم وطبيعته وغايته عند المسلمين ـ د/ حسين مؤنس ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨م .

٥٤. دعوة للمراجعة .. رسالة موجّهة إلى قادة الفكر والرأي في الغرب ـ رسالة صادرة من مؤتمر (تعظيم حرمات الإسلام) المنعقد في شهر المحرم سنة ١٤٢٨هـ - يناير ٢٠٠٧م ، وأصدرتها مجلة (البيان) اللندنية .

٥٥. دور جامعة القاهرة في بناء مصر الحديثة ـ دونالد مالكولم ريد ـ ترجمة إكرام يوسف ـ مكتبة الأسرة ٢٠٠٧م .

٥٦. الدولة الإسلامية بين الواجب والممكن ـ الشيخ جاسم بن محمد بن مهلل الياسين ـ شروق للنشر والتوزيع ـ المنصورة ـ مصر ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .

٥٧. الدولة العثمانية .. دولة إسلامية مفترى عليها ـ الدكتور عبد العزيز الشناوي ـ مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٤ م .

٥٨. الدين والدولة في الإسلام ـ د/ عبد الرزاق السنهوري ـ تقديم وتحقيق د/ محمد عمارة ـ هدية مجلة (الأزهر) شهر شعبان سنة ١٤٣٢ هـ .

٥٩. الذخيرة في تفسير أجزاء قرآنية ـ الشيخ محمد عبد الله الجزار ـ مطبعة أحمد مخيمر بالقاهرة ١٩٧٢م .

٦٠. رؤية إمبراطورية ـ مقال بقلم السيد ياسين ، جريدة الأهرام في ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٠م .

٦١. رجل وامرأة ونهاية أسطورة ـ مقال بقلم : محمد عيسى الشرقاوي ـ جريدة (الأهرام) القاهرة في ١١ شوال ١٤٢٩هـ - ١١/ ١٠/ ٢٠٠٨م .

٦٢. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ـ محمود شاكر كتاب الهلال - مصر . العدد ٤٨٩ صفر ـ سبتمبر سنة ١٩٩١م .

٦٣. روح الحضارة الإسلامية ـ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور ـ ص٦٢ المعهد

العالمي للفكر الإسلامي ط٤ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م .

٦٤. سقوط اليسار ـ د / مصطفى محمود ـ دار المعارف بمصر ط ٢ سنة ١٩٩١م .

٦٥. سلوك المالك في تدبير الممالك ـ د/ حامد ربيع ـ ط . دار الشعب بالقاهرة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م .

٦٦. صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي ـ صموئيل هانتنجتون ـ ترجمة طلعت الشايب ، تقديم د . صلاح قنصوة ـ ط. سطور بالقاهرة ، سنة ١٩٩٨م .

٦٧. الصراع بين الحضارات سنة كونية والهجوم عليه وليد العصر ـ مقال بقلم د . مانع الجهني ـ مجلة الحرس الوطني بالرياض ، ذو القعدة ، ذو الحجة ١٤١٦هـ ، مارس ، أبريل ١٩٩٦م .

٦٨. الصراع بين الموالي والعرب ـ د / محمد بديع شريف .

٦٩. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ـ أبو الحسن الندوي ـ تقديم وتعليق محمد عبد الرحمن عوض دار البشير بمصر سنة ١٩٩٧م .

٧٠. صليبية إلى الأبد ـ عبد الفتاح عبد المقصود ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٥م .

٧١. الصهيونية غير اليهودية ـ الدكتورة ريجينا الشريف ـ سلسلة (عالم المعرفة) الكويت ـ ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ / ديسمبر سنة ١٩٨٥م .

٧٢. طالبان تجدد مستقبل أفغانستان ـ بقلم : أماني عبد الرحيم ـ جريدة (أخبار اليوم) القاهرة في شوال سنة ١٤٢٩ هـ - ١١/ ١٠/ ٢٠٠٨م .

٧٣. عالم الإسلام ـ دراسة في تكوين العالم الإسلامي وخصائص الجماعات الإسلامية ـ د/ حسين مؤنس ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣م .

٧٤. العالم الإسلامي جغرافيته وثرواته وإمكانياته الاقتصادية ـ أحمد محمود حماية ـ مؤسسة النفس المطمئنة بمصر سنة ٢٠٠١م .

٧٥. العالم الإسلامي ما بعد الخلافة ـ مقال بقلم : محمد والي (سفير بوزارة الخارجية

المصرية) ـ ص ١٥٠ مجلة (المنار الجديد) شوال ١٤٢٢هـ - يناير ٢٠٠٢م .

٧٦. عبد الرحمن بن خلدون ـ د. علي عبد الواحد وافي ـ سلسلة (أعلام العرب) العدد رقم ٤ مكتبة مصر بالفجالة سنة ١٩٦٢م .

٧٧. عبد الناصر وعلاقته الخفية بالموساد والمخابرات الأمريكية ـ هشام خضر ـ ط. العالمية / بمصر ط ٢ عام ٢٠٠٦ م .

٧٨. عشت حياتي مع هؤلاء ـ محمد أحمد فرغلي باشا ـ ط. دار الأهرام بمصر عام ١٩٨٤م .

٧٩. عن البعد المسيحي في المعركة الراهنة ـ مقال بقلم صلاح حزين ، (جريدة الحياة) ـ لندن ـ ١٤/ ٤/ ٢٠٠٢م .

٨٠. عن الحرية أتحدث ـ زكي نجيب محمود .

٨١. غارة التتار على العالم الإسلامي وظهور معجزة الإسلام ـ أبو الحسن الندوي ، ط. المختار الإسلامي بمصر سنة ١٩٨٥م .

٨٢. الغرب والإسلام ـ رجب البنا ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٩٧م .

٨٣. الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر ـ د/ محمد سيد محمد ـ دار الفكر العربي بالقاهرة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م .

٨٤. الغزو الفكري ـ محمد جلال كشك ـ ط٣ ـ مكتبة الأمل ـ الكويت ـ رجب ١٣٨٧هـ ـ أكتوبر ١٩٧٦م .

٨٥. فرسان المراجعات الفكرية ـ مقال بقلم : د/ محمد عمارة ـ مجلة (الأزهر) رمضان سنة ١٤٣٢ هـ ـ أغسطس سنة ٢٠١١م .

٨٦. الفكر السياسي في الإسلام .. والقضايا التي حسبت عليه ـ مقال بقلم د/ محمد إبراهيم الفيومي ـ مجلة منبر الشرق (يصدرها المركز العربي الإسلامي للدراسات) العدد ١٧ - شعبان ١٤١٥هـ - يناير ١٩٩٥م .

٨٧. فكرة كومنولث إسلامي ـ مالك بن نبي ـ ترجمة الطيب الشريف - سلسلة

الثقافة الإسلامية بمصر (رقم١٦) شعبان ١٣٧٩هـ ـ فبراير ١٩٦٠م .
٨٨. فلسفة وايتهد في الحضارة ـ تأليف أ. هـ . جونسون ـ ترجمة د . عبد الرحمن ياغي ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ سنة ١٩٦٥م .
٨٩. في منزل الوحي ـ د/ محمد حسين هيكل ـ ط. دار المعارف ٢٠٠٢م .
٩٠. في فلسفة التاريخ ـ د/ أحمد صبحي ـ مؤسسة الثقافة الجامعية ـ إسكندرية ١٩٩٠م .
٩١. في مفترق الطرق ـ د. زكي نجيب محمود ـ ط الشروق ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .
٩٢. قال الناس ولم أقل في حكم عبد الناصر ـ عمر التلمساني ـ ط دار الأنصار بالقاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٩٠م .
٩٣. قسمات العالم الإسلامي المعاصر ـ للدكتور مصطفى مؤمن ـ ط. دار الفتح ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .
٩٤. قيام تركيا الجديدة ـ مقال بقلم الدكتور يونان لبيب بجريدة الأهرام ص ٥ ، في ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٠م .
٩٥. قيم من التراث ـ د. زكي نجيب محمود ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م .
٩٦. الكتاب المقدس والاستعمار ـ القس مايكل بريور ـ ترجمة وفاء بجادي ـ مراجعة وتقديم : أحمد الشيخ ـ مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .
٩٧. كلمتي للمغفّلين ـ محمد جلال كشك ـ دار ثابت بالقاهرة ط ٢ سنة ١٩٨٥م .
٩٨. كلمة لغير المسلمين وكلمة للمسلمين ـ مقال بقلم : السيد محمد ناصر (رئيس وزراء أندونيسيا الأسبق) مجلة (المسلمون) رمضان ١٣٧١هـ ـ يونيو ١٩٥٢م .
٩٩. كيف غيَّر أكثر أسفار الكتاب المقدس إثارة للجدل حضارة الغرب ـ ترجمة د. عبد الوهاب علوب ، مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .
١٠٠. لطفي السيد في مرآة عواطف سراج الدين ـ مقال بقلم : فاروق شوشة ـ

جريدة الأهرام ١٦ شعبان ١٤٣٢هـ ١٧/ ٧/ ٢٠١١م .

١٠١ . ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ ـ أبو الحسن الندوي ـ دار الكتاب ـ بيروت ط٧ ـ ١٣٧٨هـ ـ ١٩٦٧م .

١٠٢ . مجالات الدعوة في القرآن وأصولها ـ عاطف عبد المعز الفيومي ـ مكتبة أولاد الشيخ للتراث سنة ٢٠٠٦م .

١٠٣ . المجتمع العربي ـ د / إبراهيم أحمد العدوي ـ مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٦٨م .

١٠٤ . مجلة (العالم الإسلامي) مكة المكرمة ١٥-٢١ ذو القعدة سنة ١٤١٧هـ ٢٤-٣٠ مارس سنة ١٩٧٧م .

١٠٥ . مجلة العربي الكويتية ـ العدد (٥٦٣) أكتوبر ٢٠٠٥ م .

١٠٦ . مجلة المختار الإسلامي ـ العدد ١٦٩ ، ١٥ رمضان سنة ١٤١٧هـ ، ٢٣ يناير سنة ١٩٩٧م .

١٠٧ . محمد الفاتح ـ د / عبد السلام فهمي ـ ط دار القلم ـ دمشق بيروت ـ ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م .

١٠٨ . مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ـ اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الوفاء بالمنصورة ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م .

١٠٩ . المد والجزر في تاريخ الإسلام ـ أبو الحسن الندوي ـ الشركة المتحدة بيروت ، دمشق دار القلم ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م .

١١٠ . المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي ـ محمد الحسن ـ دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ـ قطر ، ط٣ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م .

١١١ . مذكرات السلطان عبد الحميد ـ ترجمة وتقديم د . محمد حرب عبد الحميد ، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٨م .

١١٢. المرايا المقعرة .. نحو نظرية نقدية عربية ـ د. عبد العزيز حمودة ـ عالم المعرفة ـ الكويت ـ العدد ٢٧٢ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ ـ أغسطس ٢٠٠١م .
١١٣. المسلمون أمام التحدي العالمي ـ د/ إحسان حقي ـ بيروت ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م .
١١٤. المسيح اليهودي ونهاية العالم ـ المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا ـ رضا هلال ـ مكتبة الشروق ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .
١١٥. مصر الفتاة ودورها في السياسة المصرية ١٩٣٣-١٩٤١م ـ د/ علي شلبي .
١١٦. مصطفى كمال أو الذئب الأغبر ـ أرمسترونج ـ ترجمة حلمي مراد ، دار المعارف بمصر ، سلسة « اقرأ » ١٤٠٧ ، سنة ١٩٧٦م .
١١٧. معالم التاريخ الإسلامي المعاصر ، من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية ظهرت خلال القرن الرابع عشر الهجري ـ أنور الجندي ـ دار الإصلاح بالقاهرة ١٩٨١م .
١١٨. معالم تاريخ الإنسانية ـ هـ . ج . ويلز ـ تعريب : عبد العزيز توفيق جاويد ـ راجعه : زكي علي ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٩٤٨م .
١١٩. معالم الثقافة الإسلامية ـ د/ عبد الكريم عثمان مؤسسة الأنوار بالرياض ط٣ ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .
١٢٠. معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية ـ د/ عبد العزيز مصطفى كامل ـ كتاب البيان ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م ، سلسلة تصدر عن مجلة (البيان) .
١٢١. المفهوم الحقيقي للأمن القومي ـ مقال بقلم : عبود الزمر ـ مجلة (المنار الجديدة) العدد ٤٩ شتاء ٢٠١٠م .
١٢٢. مقدمة ابن خلدون ـ دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور علي عبد الواحد وافي ـ ط نهضة مصر ، يناير سنة ٢٠٠٤م .
١٢٣. مقدمة كتاب محاضرات في فلسفة التاريخ ـ بقلم د . إمام عبد الفتاح الذي ترجم الكتاب ، وراجعه د . فؤاد زكريا ـ دار الثقافة بالقاهرة ـ سنة ١٩٨٠م .

١٢٤ . مقومات العمل الإسلامي .. اتجاهات وبرامج وآراء للحركة الإسلامية - إعداد جماعة مسلمي يوغوسلافيا ـ شركة الشعاع للنشر ـ الكويت ١٩٨١م .
١٢٥ . الملامح العامة للفكر السياسي في التاريخ المعاصر ـ طارق البشري ـ دار الشروق بمصر ط٢ ـ ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .
١٢٦ . الملكة تحب المسلمين ـ مقال بقلم : جمال الشاعر ـ الأهرام في ١٠ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، ١٩/ ٤/ ٢٠٠٥م .
١٢٧ . من روائع حضارتنا ـ د/ مصطفى السباعي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
١٢٨ . المنهج السلفي لا الحداثة طريق النهضة ـ د/ مصطفى حلمي ـ دار العقيدة ـ باكوس بالإسكندرية ودرب الأتراك خلف جامع الأزهر بالقاهرة .
١٢٩ . موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ـ مكتبة النهضة المصرية ـ أحمد شلبي .
١٣٠ . موقف الصحافة المصرية من القضايا الوطنية ١٩٤٦م-١٩٥٤م ـ د/ سهير إسكندر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦ م .
١٣١ . نحن والحضارة والشهود ـ د / نعمان عبد الرزاق السامرائي ـ كتاب الأمة ـ قطر العدد ٨٠ ـ ذو القعدة سنة ١٤٢١ هـ .
١٣٢ . نصر بلا حرب ـ ريتشارد نيكسون ـ إعداد وتقديم : المشير محمد أبو غزالة ـ مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٩٩م .
١٣٣ . النظريات السياسية الإسلامية ـ د/ محمد ضياء الدين الريس ـ ص ٢٤ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ط٣ صفر سنة ١٣٨٠هـ ـ يوليو سنة ١٩٦٠م .
١٣٤ . نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ فرانسيس فوكوياما ـ ترجمة حسين أحمد أمين ط. مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

١٣٥. وبالحق صدعنا في وجه الطغيان ـ محمود عبد الوهاب فايد ـ دار الاعتصام بالقاهرة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م.
١٣٦. ودخلت الخيل الأزهر ـ الأستاذ محمد جلال كشك ـ ط الدار العلمية بيروت ـ ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧٢م.
١٣٧. وصمة في جبين الإنسانية ـ مقال بقلم: د/ عبد الله غرباوي ـ الأهرام المسائي ١٧ جمادي الثانية سنة ١٤٢٦ هـ، ٢٣ يوليو سنة ٢٠٠٥م.
١٣٨. يوميات ألماني مسلم ـ د / مراد ويلفريد هوفمان ـ ترجمة د/ عباس رشدي العماري ـ مركز الأهرام بمصر ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٣٩. يوميات خلف الأسوار ـ الأستاذ مجدي أحمد حسين ـ العائلة للنشر والتوزيع بمصر ٢٠٠٨م.

❋ ❋ ❋

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تمهيد	٨
آثار الانشطار الثقافي على الساحة السياسية	١١
تعليل مرحلة القلق الفكري الذي مرت به الأمة	١٣
التفسير الديني للتاريخ	١٦
ـ سنن الله تعالى في قيام الأمم وتدهورها	١٧
ـ نظرية ابن خلدون	١٨
ـ التفسير الديني للتاريخ في ثقافة الغرب	٢٠
ـ نظرية (صدام الحضارات) لصامويل هنتنجتون	٢٤
ـ مناقشة النظرية في ضوء الفكر الإسلامي	٢٨
ـ التنبؤ بالمستقبل	٣٠
نشأة نظام الخلافة	٣٤
ـ مناهج البحث في قضية الخلافة الإسلامية	٣٥
خصائص الأمة الإسلامية طبقًا لدستور المدينة	٤٧
الخلافة الإسلامية مناط الوحدة	٤٩
لنتعلم من دروس التاريخ	٥٣
التيارات الفكرية السائدة بمصر في أواخر القرن التاسع عشر	٥٦
التيارات السياسية عقب إلغاء الخلافة عام ١٩٢٤م	٦٢

كلمة عن الخلافة العثمانية ٦٤
العداء الأوروبي الصليبي ٦٩
محاولات إحياء الخلافة الإسلامية ٧٦
الجامعة الإسلامية والقومية العربية « دراسة مقارنة » ٧٩
سلك الثوريون طريق الانحطاط لا طريق النهضة ، فما المخرج ؟ ٨٢
القاسم المشترك بين الحركات الانقلابية ٨٦
حركة الانقلاب العسكري بمصر في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م « الوجه الآخر » ٩٥
إضعاف الإسلام في مصر ١٠٢
في مواجهة التزييف (منجزات الثورة : الرأي الآخر) ١٠٣
١. الانتصار في حرب ١٩٥٦م ١٠٣
٢. الإصلاح الزراعي ١٠٤
٣. السد العالي ١٠٥
ـ حادث الاعتداء على حياته بالمنشية بالإسكندرية ١٠٦
ـ الدكتور مصطفى محمود شاهد على عصر عبد الناصر ١١٠
محاربة الغرب لفكرة الوحدة من خلال الحملات العدائية للتراث الإسلامي ... ١١٣
ـ المفهوم المعنوي للأمة الإسلامية ١١٦
ـ تفوق النموذج الحضاري الإسلامي ١١٧
ـ خيريتها ١٢٠
حضارة الإسلام ، هي حضارة المستقبل بمشيئة الله ١٢٢
ـ تنبؤ توينبي باستمرارية الحضارة الإسلامية ١٢٦

المسلمون واللحاق بالعصر ١٢٩
التجربة الكمالية تمثل الانقطاع الحضاري للأمة الإسلامية ١٣٣
ـ شخصية أتاتورك ١٣٣
ـ الانقطاع الحضاري ١٣٦
محاولات إعادة الخلافة بعد هدم الخلافة العثمانية ١٣٨
ـ الخلافة الناقصة أصبحت ضرورة ١٤١
ـ الدكتور زكي نجيب محمود حجّة على العلمانيين ١٤٣
الرد على العلمانيين (الإسلام دين ودولة) ١٤٦
ـ الإسلام يُضفي على الحياة المعنى المفتقد في حضارة الغرب ١٥١
ـ الفروق بين الدين والفلسفة ١٥٢
ـ وكذلك الدكتور طه حسين أيضًا ١٥٤
مقومات التضامن الإسلامي ١٥٨
ـ الوحدة الثقافية ١٥٨
ـ العامل الجغرافي ١٥٩
ـ العامل التاريخي (أمجاد الخلافة الإسلامية) ١٦٢
ـ التضامن السياسي ١٦٣
ـ العامل الاقتصادي ١٦٥
ـ تحقيق الأمن القومي للأمة ١٦٥
ـ عقبات في طريق الوحدة ١٦٧
ـ آفاق المستقبل ـ بمشيئة الله تعالى ـ ١٦٨

ضرورة قيام النهضة على تراث الأمة ١٧٢
ـ أثر القرآن الكريم في بناء حضارة الإسلام........................ ١٧٤
ـ العالمية ١٧٥
ـ أمة الإسلام : أمة شاهدة ١٧٦
من معالم حضارتنا : الثوابت والأصول الاعتقادية في الإسلام ١٨٠
ـ الشريعة الإسلامية ١٨١
ـ العدل ١٨١
ـ المساواة ١٨٣
ـ التسامح ١٨٣
ـ الحيوية ١٨٤
المشروعات المقترحة لإعادة الوحدة ١٨٦
ملحق : وثيقة سرية تكشف الستار عن العلاقة بين حركة ٢٣ يوليو وأمريكا .. ٢٠٠
المصادر ٢٠٩
الفهرس ٢٢١

رسائل إلى الشباب عن

الخلافة الإسلامية وحضارة الإسلام

يحتوي الكتاب على عدة رسائل للشباب تدور حول قضيتي الخلافة الإسلامية وحضارة الإسلام ويهدف لتحقيق غرضين

١- تصحيح بعض المفاهيم التى تسربت إلى عقولهم من خلال موجات الغزو الثقافي

٢- الارتفاع بمستوى الوعي السياسي للأجيال الصاعدة

عرض تاريخ الخلافة الإسلامية ودراسة جوانب لحضارة الإسلام مع مناقشة آراء العلمانيين والليبراليين

التفسير الديني للتاريخ

نظرية صدام الحضارات

نشأة نظام الخلافة

مناهج البحث فى قضية الخلافة

خصائص الأمة الإسلامية

التيارات الفكرية السائدة فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر

التيارات السياسية عقب إلغاء الخلافة

العداء الأوربي الصليبي

محاولات إحياء الخلافة

حضارة الإسلام هي حضارة المستقبل إن شاء الله

المشروعات المقترحة لإعادة وحدة الأمة

وثائق سرية تكشف الستار عن العلاقة بين حركة ٢٣ يوليو وأمريكا

الناشر



0111 819 480 - 0100 282166
daralamal@hotmail.com
alamalpublishing.com

© HQP: 0100 411 9727

نحو وعي سياسي

رسائل إلى الشباب عن

الخلافة الإسلامية وحضارة الإسلام

للدكتور/ مصطفى حلمي

